الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية قسم اللغة العربية وآدابها

الشعر في صدر الإسلام ، بين الدعوة والمعارضة

ـ دراسة موازنة ـ

مذكرة مقدمة لقسم اللغة العربية لنيل شهادة الماجستير

ـ شعبة الأدب العربي القديم ـ

إعداد الطالب : إشراف الدكتور :
سعيد صيد المكي العلمي

لجنة المناقشة :

د/العلمي لراوي	أستاذ محاضر بقسم أ	جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي	رئيسا
د/المكي العلمي	أستاذ محاضر بقسم أ	جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي	مشرفا ومقررا
أ.د/حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	جامعة منتوري قسنطينة	عضوا مناقشا
أ.د/بوجمعة بوبعيو	أستاذ التعليم العالي	جامعة باجي مختار – عنابة	عضوا مناقشا

السنة الجامعية : 2009 / 2010 م

إهداء

إلى الساهرين على حمل مشعل النور ليضيئوا للأجيال طريق الهدى والتقدم .

إلى السالكين دربهم أملا في غد بالعلم أرقى وأفضل .

إلى مصابيح الدجى وينابيع الحب والحنان .

إلى رموز البراءة : سندس ، أبَي ، رحمة ، هبة ، أسماء ، وشيماء .

إلى عائلتي الكريمة التي تحملتني طيلة فترة البحث .

إلى كل أساتذة معهد الآداب واللغات بجامعة العربي بن مهيدي ، أم البواقي .

إلى كل الزملاء في الدراسات العليا بقسم اللغة والأدب العربي .

إلى جميع الأصدقاء والزملاء في كل مكان .

وإلى أستاذي الفاضل : الدكتور المكي العلمي ، الذي تبنى هذا العمل بالرعاية والإشراف .

إليهم جميعا أهدي هذا العمل المتواضع .

سعـــيـــد

مـــقدمـــة

ينفرد صدر الإسلام من بين العصور الأخرى ، بأحداث عظيمة في تاريـخ العرب ــ والمسلمين ــ أهلتـه لأن يحتل مكانة حضارية في تاريخ البشـر . فلما ظهر الإسـلام في الجزيرة العربية ، هيأ لها دورا عظيما ، وأحدث نقلة كبيـرة للمجتمع العربي ، إذ ألغى قيما وأحل محلـها أخرى ، واستحدث أنظمة وشرائع ، من نشر مبادىء ومعتقدات ومنطلقات حول الشؤون الدينية والدنيوية ، كانت كافية لتبيان الأسس التي تكفل الحيـاة السليمة للبشر ، خالية من الشوائب على مختلف الأصعدة .

وقد استقطب هذا العصـر اهتمام الدارسين ، فراحوا يبحـثون في نواحيـه المتعددة ، فأولوا دراستهم وأبحاثهم للجانب الديني في مختلف مقاماته وأضربه من دراسـة للقرآن والحديث والفقه والأصول والسيّر وغيرها ، وكان لتلك الدراسات أثرها في إثراء الساحة الإنسانية ، بمزيد من التشريع والدعوة ، وذلك لخصوصية الجانب الديني في حياة الإنسان ومسارات المجتمع ككل .

ثم تـلاه الاهتمام بالدراسات التاريخية ، التي تتبعت هذه الفترة بالتدقيـق والإحاطة ثم الدراسة والتحليل ، لتعطي جانب الدعوة مداه التاريخي والحركي .

وجاءت بعد ذلك الدراسات اللغوية والأدبية ، وغيرها .إلا أن اللافت للانتباه أن الدراسات الأدبيـة حول هذه الفتـرة قليلـة ، وذلك راجع إلى كون معظم الدارسين يقرنون فترة صدر الإسـلام بالفترة الأموية ، فيجعلونهما عصرا واحدا متجاوزين بذلك هذه الفترة المهمة التي تربط العصـر الجاهلي بالعصر الأموي ، وتبدأ من بعثـة النبي (ص) ، إلى زمن قيام دولة بني أمية سنة (41 هـ) ، ومن جانب آخر نجد أصحاب الدراسات في هذا العصـر يتعقبون الأحداث السياسيـة والاجتماعية محاولين بيان أثرها في الأدب ، لكنهم يجنحون نحو الجانب السياسي والاجتماعي حتى غدا الأدب في النهايـة من الوثائق التي يستعان بها في دراسة الحياة الاجتماعية والتاريخية والفكرية .

من هنا انصب اهتمامي على هذه المرحلة ، لإلقاء الضـوء على الجانب الأدبـي في هذا العصر ، فرحت أنقب في مصادر التراث ، من كتب الصحابـة والسيرة والتاريـخ ، فكان موضـوع بحثـي " الشعر في صدر الإسـلام بين الدعوة والمعارضة " << دراسة موازنة >> .

وما دفعني لتناول هذا الموضوع والكتابـة فيه ، وإعطائه أهمية خاصـة ، هي ثلاثة دوافع :

أولها : ما لاحظته خلال اطلاعي على المصنفات القديمة ، من إهمالٍ لشعر المعارضة ، وحتى لشعـر بعض المسلمين الذي توشـح ببعض الفحش والسباب والإقذاع ، وهو ما حَرم الدارسين من شعر كثير ، وإذا كان للقدامى الجانب الأكبر في ضياع هذا الشعر و إهماله ؛ فإن للدارسين المحدثين نصيب من هذا الجانب ، خاصة وأنهم توجهوا إلى شعر المسلمين في هذه الفتـرة ، يدرسونه و يبحثون في مبلغ تأثره بالديـن الإسلامي ، كما تتبعوا دوره في معركة الدعـوة الإسلامية ، متناسين أن هناك شعـرا لا يقل شأنا عن شعـر المسلمين هو شعر المعارضة . وإن كانوا درسوا بعضه ، أو أشاروا إليه في كتبهـم وأبحاثهم ؛ إذ أننا نجد يحي الجبوري ، يخصص معظم كتابه " شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه " لدراسـة شعر المسلمين ، مع الإشارات القليلة لشعر المشركين ، كما خصص فايز ترحيني معظم كتابه " الإسـلام والشعر " لدراسة شعر المسلمين ، في حين لم يتوسع فيه . وغيرها من الأمثلة والنماذج ، وهذا يدل على التجاوز إن لم نقل الإهمال المقصود لشعر المشركين قديما وحديثا .

وثانيها : أن معظم الباحثين لم يدرسوا شعـر الدعوة دراسة كافية من حيث مضامينه وأغراضه ، وقيمته الفنية ، فما بالك بشعر المعارضة الذي لم ينل حظه من الدراسة ؛ وهذا ما يؤهل للموضوع مكانة في الدراسات الأدبية والإسلامية .

ثالثها : أن الفـن الشعـري يعد نموذجا طيبا من نماذج الإبداع ، يجدر بنا أن نعيـد قراءته وتحليله مرارا ، لعلـه يقدم بدوره إضافات جديـدة قد تثـري محاور الإبداع الأخـرى في تراثنا الأدبي القديـم . ولعل تناولي لهذا الموضوع يخرج بمعالجة تختلف ولو قليلا عما جادت به الدراسات الأدبية في وطننا العربي. وإن كنا نشيد في هذا المقام بجهـود يحي الجبوري الذي يعد من أبرز الأقـلام العربية التي سبقـت إلى مثل هذه المواضيع ، في كتابه " شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه " .

وتبقى دراسة الجبوري من أجود الدراسات في موضوعها ، إلا أن الباحث قد أغفل فيها الكثير من شعراء هذه الفتـرة المغمورين منهم والمقليـن الذين كان لشعرهم أثره البارز في هذه المرحلة ، كما أنه لم يتطرق إلى أغراض ومضامين

شعر هذه الفتـرة ، إلا بصفة مجملة تبقى بحاجة ماسـة إلى المزيد من التفصيل والتدقيق .

وكذلك صلاح الدين الهادي في كتابه " الأدب في عصر النبوة والراشدين "، وعلى الرغم من أن دراسته جاءت مجملة وموجـزة إلا أنها قدمت معلومات قيمة تغني عن الكلام الكثير .

كما شارك المجهود في دراسـة هذه الفتـرة سامي مكي العاني في كتابـه " الإسلام والشعر " ، إلا أن ما يعاب عليه هو تجاوزه لعصر صدر الإسلام إلى العصر الأموي ، من جهة ، وإغفاله لشعر المعارضة تماما ، من جهة ثانية .

كما ساهمت إبتسام مرهون الصفار هي الأخـرى في هذا المجـال ، لكنها أغفلت شعـر المعارضة تماما حينما درست الأغراض الشعريـة الجديدة والقديمة في صدر الإسلام .

وممن ساهم في دراسة هذه الفتـرة ، وكان له حق التقدير والإشـــادة ، فايز ترحيني في كتابه " الإسـلام والشعر " ، حيث استطاع أن يبين لنا معالـم شعـر الدعـوة والمعارضة إلا أن دراسته فقيـرة من شعراء الجانبين ، كما أنها جاءت سريعة وموجزة ، وبحاجة إلى التوسع في شتى جوانبها ، وخاصة ما تعلق بشعر المعارضة .

وهناك دراسات أخرى تناولت جوانب معينة من هذه الفتـرة . أما دراستي " الشعر في صدر الإسـلام بين الدعـوة والمعارضة " ، فالهدف منها أساسا هو عرض واقع شعر الدعوة والمعارضة في صدر الإسـلام ، عرضا وصفيا تحليليا دقيقا ، من حيث دراسة مضامينه وأغراضه ، وموازنتها ببعضها ، وغيرها من القضايا .

ولأحقق فرضياتي قسمت بحثي إلى مدخل وثلاثـة فصول ، بدءا بمقدمـة وانتهاءً بخاتمة .

إذ خصصت المدخـل للحديث عن الشعـر في العصر الجاهلي ، ومكانـة الشاعر بين الجاهلية وصدر الإسلام ، ولأختمه بالحديث عن ظهور الإسلام ومبلغ تأثيره في حياة العرب .

أما الفصل الأول فقد خصصته للحديث عن شعـر الدعـوة والمعارضة من حيث مضامينه وأغراضه ، فقسمته إلى قسمين ؛ تناولت في القسـم الأول شعـر الدعـوة ، فدرست شعـراء المدينة ، وتحديدا حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، ثم درست الشعراء المهاجرين ، كعبد الله بن جحش وأخيه عبد ، وعبـد الله بن الحـارث السهمي ، وصـــفية بنت عبد المطلب ، وهند بنت أثاثة ، وغيرهم .

ثم تناولت بعد ذلك دراسـة مضامين شعر الدعوة وأغراضه ، فتحدثت عن المضامين الجديدة ، كالوعظ والإرشاد ، والهجرة في سبيل الله ، وغيـرها . كما تحدثت عـن المضامين والأغراض القديمـة ، وما طرأ عليها من تغيـر وتطور بفضل شعراء الدعوة ، مثل : المدح ، الرثاء ، وغيرها .

أما القسم الثاني ، فقد خصصته للحديث عن شعـر المعارضة ، وقسمـته إلى قسمين ، تناولت في القسم الأول شعـراء المعارضة ، فدرست شعـراء مكة كعبد الله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب الفهـري ، وهبيـرة بن أبي وهب المخزومي ، وأبو سفيـان بن الحارث ، وهند بنت عتبة ، وغيرهم ، و شعـراء الطائـف ، كأمية بن أبي الصلت ، وكنانة بن عبد ياليل ، ثم شعـراء اليهـود ، ككعب بن الأشرف ، وسماك اليهودي .

وتناولت في القسم الثاني ، مضامين شعر المعارضة وأغراضه ، كالمدح ، والفخر ، والرثاء ، والهجاء ، وغيرها .

وجاء الفصـل الثاني : للحديث عن أثر الدعـوة الإسلامية في شعر صدر الإسـلام وسماته الفنية ، فقسمته إلى ثلاثة أقسام ، خصصت القسم الأول للحديث عن أثر الدعوة في شعر المسلمين .

أما القسم الثاني فخصصته للحديث عن الأثر الجاهلي في شعر المشركين ، فدرست الأثر الجاهلي في شعر مكة ، ثم في شعر الطائف ، وأخيرا الأثر الجاهلي في شعر اليهود .

وجاء القسم الثالث للحديث عن سمات شعر الدعوة والمعارضة وخصائصه الفنية .

في حين خصصت الفصل الثالث لدراسة وتحليل أربع قصائد شعرية ، لبيان مبلغ تأثر شعراء المسلمين بالدعوة من جهة ، والأثر الجاهلي في شعر المشركين من جهة أخـرى ، وقد قسمته إلى قسمين : خصصت الجـزء الأول منه لدراسة قصيدتين من شعر الدعـوة ، كانت أولاها للعباس بن مرداس السلمي ، وثانيتها ، لكعب بن مالك الأنصاري . أما الجزء الثاني فقد خصصته لدراسـة قصيدتين من شعر المعارضة ، كانت أولاها لعبد الله بن الزبعرى ، وثانيتها لضرار بن الخطاب الفهري .

وجاءت الخاتمة لتكون محصلة لنتائج البحث .

ولبلوغ هذه الغاية استعنت بمنهج وصفي تحليلي موازن ، كما استفدت من مناهج أخرى كالمنهج التاريخي والمنهج النفسي ، وغيرها .

أما عن أهم المصادر والمراجع التي كانت خير عون لي في هذا البحـث ، فكان للكتب الدينية الجانب الأكبر منها ، كالسيرة النبوية لابن هشـام المعافري ، والاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر ، والإصابة في تمييز الصحابـة لابن حجر العسقلاني ، وغيرها .

كما كان للكتب الأدبيـة التراثية جانبها من هذا البحـث ، كالطبقات الكبير لابن سعد ، و طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي ، والشعر والشعراء لابن قتيبة الدينوري ، والأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ، وغيرها .

كما ساهمت كتب التاريخ في إفادتي بمادة البحث النادرة ، كالبداية والنهاية لابن كثير ، والكامل لابن الأثير ، وتاريخ الطبري ، وغيرها .

كما كان للدراسات والكتب المعاصرة أثرها الخاص في هذا البحث ، كدور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول(ص) لعبد الرحمن خليل إبراهيم ، وكتاب : في الشعـر الإسـلامي والأموي " للدكتور عبد القادر القـط " ؛ أضف إلى ذلك " الشعـر في عصر النبوة والخلافة الراشدة " لغازي طليمات ، وعرفان الأشقر ، وغيرها .

كما كان لكتب تاريـخ النقد و تاريـخ الأدب العربي دور في هذا البحث ، دون أن أنسى في هذا الصدد أيضا دواوين شعراء هذه المدونة ، التي كان لها أثر

كبير في إثراء البحث .

هذا وقد واجهتني مجموعـة من العقبات ، كان أهمها على الإطـلاق ندرة المصادر والمراجع ، خاصـة ما تعلق بدواوين شعـراء المعارضة ، إلا أنني قد ذللت بعضها بالمحاولة والإصرار من جهة ، وجهود أستاذي المشرف " د . المكي العلمي " من جهة أخرى .

وأخيرا لا يسعني إلا أن أقدم خالص شكري وامتناني لأسرة معهـد الآداب واللغات ، وأساتذته الكرام ، وإلى عميد كلية الآداب ، ورئيس الجامعـة ونوابه ، على ما قدموه لنا من تسهيلات إدارية وعلميـة ، لكي يكون هذا البحث ثمرة من ثمار الدراسات العليا بقسم اللغة العربية .

والله ولي التوفيق ، وهو من وراء القصد .

مدخـــــل :

الشعر قبل الإسلام ، ومكانة الشاعر في ظل العهدين الجاهلي وصدر الإسلام

مدخـــــــل :

كان الشعر في العصر الجاهلي ديوان العرب ، المصور لواقعهم والمشيد لأمجادهم ، والمعدد لأيامهم ، والمسجـل لمآثرهم ومفاخرهم ، وكما يقـول ابن سـلام: ((كان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حُكمهم ، به يأخذون ، وإليه يصيرون))[1] ؛ وكان لكل قبيلـــة شاعـــر يذود عنها ويدافع عن شرفها ، وينازل خصومها ؛ فإذا فخر الناس فعلى لسان شاعرهم ، و إذا رثوا أو هجوا أو وصفوا أوتغنوا ، فعلى لسانه ، فهو على هذا قـوة فاعلة في القبيلـة ، يشارك في تغيير موازينها وتقرير مصيرها، فيضاهي في ذلك السلطة الأولى فيها وهو شيخها وسيدها .

وأبرز ما يبين لنا مكانة الشاعر في القبيلة ، ما تناقلته كتب التراث ، من أن القبيلة إذا نبغ فيها شاعـر ، أتت القبائل فهنأتها بذلك ، وصنعت الأطعمـة ، واجتمعت النسوة يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأفراح ، وكان العـرب قديما لا يهنـــؤون إلا بثلاث : غلام يولد ، أو شاعر ينبغ ، أو فرس تنتج .

وفي ذلك يقول ابن رشيق : ((كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الأطعمـة ، واجتمع النسـاء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الأعراس ، ويتباشر الرجال والولدان ؛ لأنه حماية لأعراضهم ، وذبٌ عن أحسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، وإشادة بذكرهم . وكانوا لا يهنؤون إلا بغلام يولد أوشاعر ينبغ فيهم ، أو فرس تنتج))[2] .

وبلغ من إعتزازالعرب بالشعر و تأثيره في النفوس أن أقاموا له الأسواق ، ونصبوا له الحكام ، إذ ((لاتفتح مغاليق الأنفـس ، ولا تلينُ قساوة القلوب ، ولا تنال العطايا والهبات ولا تجزل المنح ، إلا بالقـول السّاحر ، والشعر البليغ الذي يزدلف به الشاعر إلى ما يريد من رغبة ، ويحتال به على ما ينبغي من غرض .

---

(1) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء ، قرأه و شرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، 1980 م : 24/1 .

(2) ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وفصله ، وعلق على حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر ، ط 1 : 2006 م : 55/1 .

ولا تعمـل مجالس السّمر و محافل العِليـة إلا بما ينشد فيها من طرائف الشعـر وروائع القصيدة))[1] .

والعرب تنشد الشعر للغناء بمكارم أخلاقها ، وطيب أعراقها ، وذكر أيامها الصالحة ، وأوطانها النازحة ، وفرسانها الأمجاد الأشاوس ، لتهز نفوسـها إلى الكرم ، وتدل أبناءها على حسن الشيم .

وكانوا يخافون لسان الشاعر، ويتحامون هجاءه ، ويبلغ من خوفهم الهجاء ، ومن شـدّة السب عليهم ، وتخوفهم أن يبقى ذكر ذلك في الأعقـاب ، ويسبّ به الأحياء والأمـوات ، أنهم إذا أسروا الشاعر أخذوا عليه المواثيق ، وربما شدّوا لسانه بنِسْعَةٍ ، كما صنعوا بعَبْد يَغُوث بن وقاص الحَارثي حين أسرته بنُو تِيم يَوم الكُلاب ؛ فقال : [من الطويل]

1 ـ أقولُ وقدْ شَدّوا لِسَاني بنِسْعَةٍ* أمَعْشرَ تيْم أطلِقوا مِنْ لسَانيَا
2 ـ وتضحكُ مِنِّي شَيْخَة عَبْشميَّة كأنْ لمْ ترَ قبْلي أسِيرًا يَمَانيَا

وكان سألهم أن يطلقوا لسانه لينوح على نفسه ، ففعلوا ، فكان ينوح بهذه الأبيات ، فلما أنشد قومه هذا الشعر قال قيس : لبيك وإن كنت أخرتني[2] .

وكان الشعراء في الجاهلية بمنزلة الحكام يقولون فيُرضي قولهم، ويحكمون فيمضي حُكمهم ، وصار ذلك فيهم سُنة يُقتدى بها ، وآثارا يُحتذى عليها .

ويروي المؤرخون أخبارا كثيرة عمّن رفعهم الشعر في الجاهلية ، وعمّن أزرى بمكانتهم .

وممن رفعه الشعر من الجاهليين الحَارثُ بن حِلزة اليشكُري، وكان أبرص،

---

(1) محمد عبد المنعم خفاجي : الحياة الادبية في عصر صدر الإسلام ، دار الكتاب اللبناني ؛ مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 : 1404 هـ / 1984 م ، ص 61 .

• النسعة : سيرٌ يُضفرُ من جلدٍ .

(2) الجاحظ : البيان والتبيين ، شرح وتحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر، بيروت ، لبنان : 45/4 .

فأنشد الملك عَمْرُو بن هنْد مُعلقته : [من المتدارك]

1 ـ آذَنَتنَا ببَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ مِنهُ الثواءُ

وكانت بينه وبين الملك سبعة حجب ، فما زال يرفعها حِجابًا فحِجابًا لحُسن ما يسمع من الشعر حتى لم يبق بينهما حجاب،ثم أدناه وقربه.[1]

وممن رفعه الشعـر بعد الخمول المُحلـق الكلابي ، وذلك أن الأعْشَى قدمَ مكة ، تسامع الناس به ، وكانت للمحلق امرأة عاقلة ، فقالت له : إن الأعْشَى قدم مكة ، وهو رجل مُفَوَّه ، مجدود في الشعـر ، ما مدح أحدا إلا رفعه ، ولا هجا أحدا إلا وضعه ، وأنت رجل كما علمت فقير خامل الذكر ذو بنات ، وعندنا لقحَةٌ نعيش بها ، فلو سبقت الناس إليه فدعوته إلى الضيافة ، ونحرت له ، واحتلت لك فيما يشتري به شرابا يتعاطاه ؛ لرَجوتُ لك حسن العاقبـة ، فسبق إليه المحلق ، فأنزله ونحر له ، وسقاه ، وأحاطت بناتـهُ به يغمزنه ويمسحنه . فقـال : ما هذه الجواري حولي ؟ قالت الزوجـة : بنات أخيك وهن ثمانٍ شريدتهُنَّ قليلة . قال : وخرج من عنده ولم يقل شيئا ، فلما وافى سوق عُكـاظ إذا هو بسِرحَةٍ قد اجتمع الناس عليها ، وإذا الأعشى ينشدهم : [من الطويل]

1 ـ لعمري لقد لاحَت عُيونٌ كثيرةٌ إلى ضَوءِ نارٍ باليـفَاعِ تحرَّقُ
2 ـ تُشَبَّ لمَقرُورَيْنِ يصْطَلِيَّانهَا وبَاتَ على النَّار النَّدَى والمُحَلَّقُ
3 ـ رَضِيعَيْ لِبانِ ثَدي أُمٍّ تحَالفا بأَسْحَمَ دَاجٍ عَوضُ لا نَتـَفرَّقُ

فسلم عليه المحلق ؛ فقال له: مرحبا يا سيدي بسيد قومه . ونادى : يا معاشر العرب هل فيكم مذكارٌ يزوِّجُ ابنه إلى الشـريف الكريم ! قال : فما قام من مقعده وفيهن مخطوبةٌ إلا وزوَّجها[2] .

ولمكان الشعر من قلوب العرب ، وسرعة ولوجه آذانهم ، وتعلـق أنفسهم به جعلوا بعض كلماته ألقابا لشعرائهم ، يفخرون بها ، كالأسْعَر ومُعـوّذُ الحُكمَاء ،

(1) ابن رشيق القيرواني : العمدة : 37/1 .
(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، تقديم : محمد حسين الأعرجي ، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1992 م : 3073/7 ؛ ابن رشيق القيرواني : العمدة : 41/1 .

ومُعوّد الفتيان ، أو يتأذون منها كالهجف(الثقل) ، وتأبط شرًّا ، والممزَّق ، وعائذ الكلب[1] .

وكان العرب ربما يلقبُـون بلقب فيغضبون منه ، فيُحسِّنُه الشاعر بشعـره فيستحسنونه ، من ذلك بنو أنف الناقة ، وكانوا يفْرقُون بهذا الاسـم ، حتى أن الرجل منهم يُسأل : ممن هو ؟ فيقول : من بني قريع ، فيتجاوز جعفرا أنف الناقة ابن قريـع بن ابن عوف بن مالك ويلغي ذكره فرارا من هذا اللقب ، إلى أن نقل الحطيئة (جرول ابن أوس) أحدَهُم ــ وهو بَغيضُ بن عَامِر بن لؤَيٍّ بن شَمّاس بن جَعفر أنف الناقـة ـ من ضيافة الزّبرقان بن بَدر إلى ضيافته ، وأحسن إليه ، فقال : [من البسيط]

1 ـ قوْمٌ هُمُ الأنفُ والأذنَابُ غيْرُهُم ومَنْ يُسَاوي بأنفِ النّاقةِ الذَّنَبَا ؟

فصاروا يتطاولون بهذا النَّسب ويمُدُّون به أصواتهم في جَهَارة[2] .

وممن وضعه ما قيل فيه من الشعر حتى انكسر نسبه ، وسقط عن رُتبته ، بَنُو نُمير ، وكانوا إذا سُئِل أحدهُم : ممّن الرجل ؟ فَخَّم لفظه ومدّ صوته وقـال : من بني نمير ، إلى أن صنع جَرير قصيدته التي هجا بها عُبيد بن حُصين الرَّاعي، فسهر لها ، وطالت ليلته إلى أن قال : [من الخفيف]

1 ـ فغُضَّ الطرفَ إنَّكَ مِنْ نُمَير فلا كعْبًا بَلغْتَ وَلا كِلابَا

فلم يرفعوا رأسا إلا نُكِسَ بهذا البيت، حتى سمت العرب هذه القصيدة بالفاضحة[3].
هذا من حيث المعاني ، وموقف الشاعر من قومه ، كل هذا دفعه لأن يجود فنـه و يقنن سماته ، ومنها بناء القصيدة ؛ فإذا القصيدة القديمة قد استقرت وصارت لها تقاليدها الفنية ، فبلغت قمة نضجها في أواخر العصر الجاهلي، وأصبحت الصورة المثالية للشعر العربي في مختلف عصوره الأدبية .

(1) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع : 66 ، 1983 م ، ص 11 ؛ ابن رشيق القيرواني : العمدة : 40/1 .
(2) ابن رشيق القيرواني : العمدة : 42/1 .
(3) نفسه : 42/1 ، 43 .

ومما لا شك فيه أنه ببزوغ فجر الإسـلام على الجزيرة العربية قد وجـد العرب أنفسهم على مشارف عصر جديد (صدر الإسلام) ، ومرحلة جديـدة ، شملت سائر مجالات حياتهم ، الدينية والاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، ومن هنا أصبح لزاما على الأدب في ذلك الوقـت أن يتفاعل مع الواقــع الجديد ، وأن ينسجم مع متغيرات هذه المرحلة الجديدة ، خاصة مع انقسام العرب إلى فريقين ، فريق تفتحت قلوبهم للإسلام ، وعقولهم للاستنارة بهديه، وفريق صدَّوا عن سبيله، وأصروا على الكفر به ، وقد جرّد كلّ منهما سيفـه وسنانه للذود عن حمـاه ، والدفاع عن مبادئه وأهدافه و تطلعاته . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى دفعتهم العصبية والكبرياء ، وأنفة الجاهلية .

الفصل الأول :

شعر الدعوة والمعارضة ، مضامينه وأغراضه

أولا : شعر الدعوة :

1) **شعراء الدعوة :**

أ ــ شعراء المدينة :

1 ــ حسان بن ثابت الأنصاري :

2 ــ كعب بن مالك الأنصاري :

3 ــ عبد الله بن رواحة :

ب ــ الشعراء المهاجرون :

1 ــ عبد الله بن جحش :

2 ــ عبد بن جحش :

3 ــ عبد الله بن الحارث السهمي :

4 ــ صفية بنت عبد المطلب :

5 ــ هند بنت أثاثة :

6 ــ نعم بنت سعيد :

2) **مضامين شعر الدعوة وأغراضه :**

أ ــ الوعظ والإرشاد :

ب ــ التبرئة من عبادة الأصنام وإعلان الإسلام :

ج ــ محاججة المشركين :

د ــ الثبات على العقيدة في مكة :

هـ ــ الهجرة في سبيل الله :

و ــ المديح :

ز ــ الفخر والحماسة :

ح ــ الهجاء :

ط ــ الرثاء :

ي ــ الحكمة :

ك ــ النقائض :

ك1 ــ النقائض بين شعراء الدعوة وشعراء المعارضة :

ك2 ــ النقائض بين شواعر الدعوة وشواعر المعارضة :

ك3 ــ النقائض بين شواعر الدعوة وشعراء المعارضة :

ثانيا : شعر المعارضة :

1) **شعراء المعارضة :**

أ ــ شعراء مكـــــة :

1 ــ عبد الله بن الزبعرى :

2 ــ ضرار بن الخطاب الفهري :

3 ــ هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

4 ــ أبو سفيان بن الحارث :

5 ــ أبو سفيان بن حرب :

6 ــ الحارث بن هشام :

7 ــ مسافع بن عبد مناف الجمحي :

8 ــ عمرو بن العاص السهمي :

9 ــ أبو أسامة معاوية بن زهير :

10 ــ مقيس بن صبابة :

11 ــ شداد بن الأسود :

12 ــ أبو عزة الجمحي :

13 ــ هند بنت عتبة :

14 ــ صفية بنت مسافر :

15 ــ قتيلة بنت النضر :

ب ــ شعراء الطائف :

1 ــ أمية بن أبي الصلت :

2 ــ أبو محجن الثقفي :

3 ــ كنانة بن عبد ياليل :

ج ــ شعراء اليهــود :

1 ــ كعب بن الأشرف :

2 ــ سماك اليهودي :

3 ـ جبل بن جوال الثعلبي :

2) مضامين شعر المعارضة و أغراضه :

أ ــ التحريض على قتال المسلمين :

ب ــ الهجاء :

ج ــ الفخر والحماسة :

د ــ المدح :

ه ــ الرثاء :

و ــ الاعتذار :

أولا: شعر الدعوة:

إن دراستنا لشعر الدعوة والمعارضة في صدر الإسـلام تقتضي الوقـوف على ما قيل من أشعار في هذا العصر ، لتكون الصورة واضحة لمتابعة الحركـة الشعرية ، وما قيل من أشعار على لسان الشعراء .

يقف الدارس في رحلته مع شعر صدر الإسلام أمام شعراء أيدوا الدعـوة الإسـلامية ، وناصروا الرسـول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، حيث ناصره البعض بلسانه وسنانه ، ومنهم من اقتصر تأييده على اللسان دون السنان ، لكنـهم جميعا يمثلون وجهـة النظر الإسلامية ، ومدى فهم أبعادها في هذه المرحلة .

إذ تعدد الشعراء الذين وقفوا للدفاع عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، والدعوة الإسـلامية ، وأرى انه من المناسب تناول النتاج الشعري لهؤلاء الشعراء حسب بيئاتهم ، كأن نقول شعراء المدينة ، ثم الشعراء المهاجرون .

1) شعراء الدعـوة :

أ) شعراء المدينـة :

لقد عرفت المدينة بكثرة شعرائها وإجادتهم له قبل الإسلام وبعده ، ويرجع هذا للصراع والنّـزاع بين قبائلها المختلفة في الجاهلية (كالأوس ، والخزرج ، و من اليهود بني قريظة ، وبني النضير) ، وقد اثر ذلك في ظهور شعراء فحول غصّت بهم كتب الأدب والتراجم ، أبرزهم : حسان بن ثابت ، وقيس بن الخطيم ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بـن رواحة ، وأبو قيس بن الأسلت[1] ، وغيرهم .

ولما جاء الإسـلام أصبح شعـراء المدينة من أوائل الشعراء الذيـن وقفوا إلى جانب الرسـول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، حيث برز فيهم بشكل مميز حسـان بـن ثابت ، وكعب بن مالك ، و عبـد الله بن رواحـة . وكان حســان

(1) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 215/1 .

أشعرهم ، ولم يكن شعرهم ((شعـر أناقة وترف على النهج الذي ألِفوا أن يقولوه في الجاهلية ، وإنما كان شعـر منافحةٍ ودفاع عن الإسلام ورسوله والذين اتبعوه بإيمان . كما كان معايَــرةً لقريـش بمخازيها ، فقد كان الأولى بها أن تكون أول الواقفين تحت راية الإسلام وفي صفوف المسلمين))[1].

1 ـ حسان بن ثابت :

هو حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد منـاة الخزرجي الأنصاري ، فحـل من فحول الشعـراء ، وقيل أنه أشعـر أهل المدر . وفضل الشعـراء بثلاث : كان شاعـر الأنصـار فـي الجاهليـة ، وشاعـر النبـي (صلى الله عليه وسلم) في النبوة ، وشاعر اليمن كلها في الإسلام[2] .

كان في جاهليته على صلة قويـة بملوك الغساسنة في الشام ، يتردد عليهم بين الآونة والأخرى فيمدحهم بقصائده ، وينال الهبات والعطايا[3] ، كما كان شاعر قومه الخزرج ينافـح عنهم ويقارع أعدائهم ، وكان يغلب على شعـره ((الفـخر والحماسة والمدح والهجاء ، وكلها أغراض تقتضي اللفظ الفخم والاسلوب القـوي فبدا عليه أثر من الوحشية و الحوشية ذهب بمجيء الإسلام))[4] .

ولما جاء الإسـلام وهاجر الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينة ، ولما أطمأن إلى مقامه بها ، أخذ يعد العُـدة لمناجزة المشركين من قريش وسائر العرب ، فتلفت حوله باحثا عن شاعـر فحل يرمي به شعـراء قريش الذين آذوه بلسانهم فلم يجد أليق بهذه المهمـة الخطيـرة من حسان بن ثابت ، ولعـل هذا

(1) محمد عبد المنعم خفاجي ، وعلي صبح ، وعبد العزيز شرف : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1412 هـ / 1992 م ، ص 171 .

(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1216/3 ؛ ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 216/1 .

(3) زكريا عبد الرحمن صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإســلام ، ديوان المطبوعات الجاهلية ، ابن عكنون ، الجزائر ، 1984 م ، ص 09 ؛ حسان بن ثابت الأنصاري : الديوان ، شرح : يوسف عيد ، دار الجيـل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1992 م ، ص 05 .

(4) أحمد حسن الزيات : تاريخ الأدب العربي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 8 : 1425 هـ / 2004 م ، ص 112 .

الأخيـــر لم يراود مخيلته من قبل أنه سيضطلع يوما بعبء عظيـــم كالمنافحة عن رسول الله والإشادة بالرسالة العظيمة التي جاء يحملها إلى العرب والناس جميعا ، ولم يكن يتوقع أن يغدو شاعـر الدعوة الإسـلامية يملأ صيته أرجاء بلاد العرب بعد أن كان في الجاهلية شاعر قومه الخزرج وحدهم[1] .

كانت قريش تجزع كل الجزع من هجاء حسان ، ولا تبالي بهجاء كعب بن مالك ، وعبـد الله بن رواحة ؛ لأنه كان يعارضهم بمثل قولهم بالوقائـع والأيـام والمآثر ، ويعيرهم بالهنّات والمثالب[2] ، وهذا طبيعي ((لانهم كانـوا مشركيـن فعلا ، فلو هجاهم بالكفر والشرك ما بلغ منهم مبلغا))[3]

ومن جهة أخرى ((كان المهاجرون والأنصار يعدون حسانا الشاعر الذي يحمي أعراض المسلمين ، يبعثون في طلبه حين تفد الوفود ، ويفزعون إليه حين تأتيهم القوارص ؛ فيبلغ من حاجتهم ما لا يبلغه صاحباه))[4] .

وقد جند رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) ملكـــة حسان في سبيـــل الدعـوة ، فوجـ ـ ـه مقدرته الهجائية لمناقضة الخصوم ، وأرسله إلى أبي بكر يعلمه هنات القـوم . فحسـان لذلك معدود في طليعة شعراء المسلمين ، المؤيّدين بروح القدس[5] ؛ فلابد ان يقـول في كل الاحداث الإسلامية ، وعليه ان يعبر عن أماني وتطلعات المسلمين[6] .

وأول مناوشة بدأها حسـان في سبيـل الديـن الإسـلامي ، كانـت رده على ضرار بن الخطـاب الفهـري لأبياته في أسـر قريـش لسعد بن عبـادة ،

(1) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، دار الفكر ، دمشق ، ط 3 : 1405 هـ / 1985 م ، ص 98 .
(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1219/3 .
(3) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، دار المعارف ، مصر ، ط 6 ، ص 78 .
(4) طه أحمد إبراهيـم : تاريـخ النقد الأدبي عند العرب من الجاهلية إلى نهايـة القرن الرابـع هجـري ، ص 31 ، 32 .
(5) ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 ه) : العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1404 هـ / 1983 م : 146/6 .
(6) يحي الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسـلام فيه ، مؤسسـة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 : 1401 هـ / 1981 م ، ص 64 ، 65 .

حيث قال [1] : [من الطويل]

1 ـ تداركتُ سعداً عُنوَةً فأخذتُهُ وكان شِفاءً لو تداركتُ مُنذِراً

فأجابه حسان بن ثابت بقوله[2] : [من الطويل]

1 ـ لسْتَ إلى عَمْرو ولا المرْء مُنذِرِ إذا مَا مَطايَا القوْم أصْبَحنَ ضُمَّرَا
2 ـ فلوْلا ابُو وَهبِ لمَرّتْ قصَـائدُ على شَرف البَلقَـاءِ يَهْوِينَ حُسّرَا
3 ـ فإنَّا ومنْ يُهْـدي القصَائِدَ نَحْونَا كمُسْتَبْضِعٍ تمْـرًا إلى أهْل خَيْبَرَا
4 ـ فلا تَـكُ كالوَسْـنَان يَحْـلمُ انّهُ بقرْيَةِ كِسْـرَى اوْ بقرْيَةِ قيْصَرَا

ولقد صاحب حسـان الغزوات كلها ـ [وقيل لم يشارك في الغزوات] ـ فوصفها وبكى شهداء المسلمين ورثاهم ، وأصلى المشركين نارا حامية[3] ؛ فهاهو في غـزوة بدر (2 هـ) يجيـب عبد الله بن الزبعرى حين بكى قتلى القليب* من الكفار، فيقول في أبياتٍ رائعة[4] : [من الكامل]

1 ـ ابك بكت عيناك ثُمّ تبادَرَتْ بدمٍ يعُلّ غُروبَها سَجّـام
2 ـ ماذا بكيت على الذين تتابعوا هَلاّ ذكرْتَ مكارم الاخْلاق

وقد نسبت إلى حسان نقائض كثيـرة شكّ ابن هشام في صحة نسبة طائفة منها ، وأكثر هذه المناقضات يثـور في أعقاب الوقائـع التي دارت بين المسلمين والمشركيـن ، فهذا هبيـرة بن أبـي وهـب المخزومـي يعلـن شماتتـه بما أصـاب المسلميـن في أحُـد (3 هـ) ، ويعبّـر عن بهجتـه بظفـر قومـه ،

(1) أبو محمد عبد الملك بن هشام المعافري (ت 213 هـ) : السيرة النبوية ، ضبط وتعليق : أحمد عبد الرزاق الخطيـب ، أشرف عليها وخرج أحاديثها : مكتب التحقيق بدار الإمام مالك ، الجزائر ، ط 1 : 1429 هـ / 2008 م : 81/2 ، 82 .
(2) حسان بن ثابت الأنصاري : الديوان ، ص 178 ، 179 ؛ وفي سيرة ابن هشام : 82/2 ، "سعد" بدل "عمرو" ، ضمرا : مهيأة للحرب ، الوسنان : النائم ، البرقاء : البادية .
(3) رحاب عكاوي : حسان بن ثابت الأنصاري شاعر النبوة والإسلام ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1996 م ، ص 19 .
• القليب : البئر القديم ، والمقصود هنا البئر التي قذف فيها قتلى المشركين يوم بدر .
(4) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 373 ؛ سيرة ابن هشام : 306/2 ، الغروب : مجاري الدمع ، السجام : السائل ، تتابعوا : ألقوا بأنفسهم إلى التهلكة .

فيقول في أبيات منها [1] : [من البسيط]

1 ـ سُقْنا كِنانَةَ منْ اكْنافِ ذي يمنٍ عُرْضَ البلادِ على ما كان يُزْجِيهَا

فيجيبه حسان بأبيات رائعة يُذكّره فيها بصنيع المسلمين يوم بدْرٍ ، فيقول[2] : [من البسيط]

1 ـ سُفْتُمْ كِنانَة جهلاً من عَداوتِكُم إلى الرّسُول فجُنْدُ الله مُخْزِيهَا
2 ـ أوْرَدْتُمُوها حِياضَ الموْتِ ضاحيَّةً فالنّارُ موْعِدُها والقتْلُ لاقِيهَا
3 ـ أنْتُم أحابيشٌ جُمِّعْتُمْ بلا نسبٍ أئِمّةُ الكُفْرِ غرّتْكُمْ طَواغِيهَا
4 ـ هلا اعتبرتُمْ بخيْلِ اللهِ إذْ لقِيَتْ أهل القليبِ ومنْ أرْدَيْنَهُ فيهَا
5 ـ كمْ منْ أسيرٍ فكَكْنَاهُ بلا ثَمَنٍ وجزّ ناصِيَةٍ كُنّا مَواليهَا

ولم يقنع حسان بهجاء مشركي قريش وحدهم ، بل تناول بهجائه كذلك من ظاهرهم ، ومن ناصب الرسول العداوة من القبائل[3] . فها هو يهجو قبائل اليهود لموقفها العدائي من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) و مظاهرتها المشركين ، وتحريضها المنافقين ، متهما إيّاها بتضييع دينها وينعى عليها كُفْرها ، فيقول[4] : [من الوافر]

1 ـ تفاقَدَ معْشَرٌ نَصرُوا قُرَيْشًا وليس لهُم بِبَلْدَتِهِمْ نَصِيرُ
2 ـ هُمُ أوتُوا الكِتابَ فضَيَّعُوهُ فهُمْ عُمْيٌ منَ التّوراةِ بُورُ
3 ـ كفَرْتُمْ بالقُرْآن وقَدْ أتيتُم بتَصْديقِ الذي قال النّذِيرُ
4 ـ وهانَ على سَراةِ بنِي لُؤَيٍّ حريقٌ بالبُوَيْرَةِ مسْتَطِيرُ

وكان من اثر شعر حسان في نفوس المشركين ما تداولته كتب السيرة والتاريخ ، في مخاطبة حسان لابن الزِّبَعْرَى لمّا فرّ من النبيّ (ص)

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 78/3 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 424 ، 425 ؛ وفي سيرة ابن هشام : 80/3 ، " سفاهتكم " بدل " عداوتكم " و " ألقينه " بدل " أردينه " .
(3) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 193 .
(4) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 181 ، 182 ، قوله : قد أتيتم ، إشارة إلى التبشير بمبعث محمد (ص) في التوراة ، سراة : خيار، البويرة : موضع لبني قريظة ، ويشير هنا إلى ما فعله المسلمون بيهود بني قريظة .

يوم فتح مكة (8 هـ) ، إلى نجْران ، حيث رماه بقوله[1] : [من الكامل]

1 ـ لا تعْدَمَنْ رجُلاً احَلّك بُغْضُهُ نجْرانَ في عيْشٍ أحدّ لئِيـ ـم
2 ـ بُلِيَّتْ قَنائُكَ في الحُرُوبِ فألْفِيَّتْ خمَّـانَةً جوْفاءَ ذاتَ وُصُوم
3 ـ غَضِب الإله على الزُّبَعْرى وابنه وعذابِ سُوءٍ في الحياةِ مُقِيم

فلما سمع ذلك ابن الزبعرى رجع إلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فأسلم ، واعتذر إليه في قصيدةٍ مطلعُها [2] : [من الكامل]

1 ـ منع الرقاد بلابل وهموم والليلُ معْتلِجُ الرِّواقِ بهيم

ومما لا شك فيه أن حسّانًا أدى للإسلام خدمةً جليلة بمُناهضته عن الرسول الكريـم (ص) ، ومدح مأتيه وتعظيـم غزواته ، ولقد عرف له النبي (ص) هذه الخدمات ، فخلع عليه من التكريم ((ما تنقطعُ دُونه أعناقُ النَّظراء ، حيث نصَب لهُ منبرا في مسجده يلقي من فوقـه شعـره ، ودعا له أن يُؤَيِّـدهُ روح القدس ، ووهب له سيرين اخت مارية القبطية ، ووعده الجنة جزاء إجابته عن الرسـول عليه الصلاة والسلام))[3] .

وشعره رضي الله عنه ذو قيمة فنية وتاريخية متميِّزةٍ ، كيف لا وهو يدل مرحلةٍ من مراحل الإسـلام في أولى انبثاقاته ، وبواكير ظُهُـورهِ ، كما يُسجِّلُ بأمانَةٍ ما كان يُعانيه النبـي ، صلى الله عليه وسلم ، من إيذاء مُشركي مكة له ، ضِف إلى ذلكَ تسجيلهُ لاهم انتصارات الرسـول ، (ص) ، وغزواته ، وتغَنِّيـه بمآثِره وصفاتـه ، والقيـم الجديـدة التي بشر بها وعمل لها ، وجاهد في سبيـل تجسيدها في أرواح وكيانات الرعيل الأول من المسلمين[4] .

وبعد وفاة الرسـول (ص) ، استمر حسان في إنشاد الشعـر ، في كنف

(1) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 343 ، أحد : قليل ، خمانة : رخوة رديئة ، الوصوم : العيوب .
(2) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، تحقيق : يحي الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط 2 : 1401 هـ / 1981 م ، ص 45 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 46/3 ، 47 .
(3) محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، ص 172 .
(4) خليل شرف الدين : حسان بن ثابت الأنصاري ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1992 م ، ص 12 .

الخلـفاء الراشدين ، حتى عهد بني أمية أين انقطعـت أخباره في مستهل خلافـة معاوية بن أبي سفيان ، إذ لا نجد له شعـرا في تلك الحقبة . وقد اختلف في زمن وفاته ، فثمة رواية تحدد سنة وفاتـه بعام أربعيـن ، وأخـرى تمتد بها حتى عام خمسين هجريـة ، وثالثة تجعلها في عام أربعة وخمسين هجرية ، والأرجـح أن وفاته كانت في مستهل عهد معاوية سنة أربعين للهجرة[1] .

2 ــ كعب بن مالك الأنصاري :

مثلما وقف حسان يناقض المشركين ، ويقارعهم بأقوالهم وحججهم ، ويذُبّ عن أعـراض المسلميـن ، كذلك فعـل شاعـر آخر ــ يشارك حسانا في خزرجيته و أنصاريته ــ ليذود عن المسلميـن ، ويُقاتـل أعداءهم[2] ، ذاك هو كعب بن مالك بن عمرو بن العتيق ، الأنصاري ، السلمي ، الخزرجي[3] .

وهو واحد من فحـول الشعـراء المُجَوِّديـن المَطْبُوعين[4] ، وكان من أوائل المسلمين الذين أسلموا في يَثْرب قبل هجرة الرسول(صلى الله عليه وسلم)، ولم يكن آنذاك فيها أكثـر من أربعين مسلما ، وفي العقبة الثانيـة وفد مع سبعين رجلا من أهل المدينـة على الرسـول (صلى الله عليه وسلم) فبايعـوه على الإسلام ، وعلى أن يمنعوه مما يمنعون منه نِساءهم و أبناءهم[5] .

وعلى عكس حسان، كان كعب ((رجُـل حربٍ وقتال ، شُجاع يقْـرِنُ القوْلَ بالفِعْلِ . خاضَ المعارِكَ ، وكان حاضِرا في ساحاتِ الوَغَى . لبِسَ الدِّرْع وحمل السَّيْف، ولمّا همّ بإنشاد الشِّعْر، سبقت تجاربه إلى لسانه))[6] .

---

(1) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 129 .
(2) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسـلامي ، المؤسسـة الحديـثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط 1 : 2001 م ، ص 72 ؛ يحي الجبوري : شعر المخضرمين : 72 .
(3) كعب بن مالك الأنصاري (ت 50 هـ) : الديوان ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1428 هـ / 2007 م ، ص 05 .
(4) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 230/1 ؛ أبو عمرو يوسف بن عبد بن محمد بن عبد البر : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1412 هـ / 1992 م : 1337/3 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 72/2 ؛ فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط 1 : 1990 م ، ص 119 .
(6) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ص 72 .

فها هـو يـوم بدر (2 هـ) يجيـب ضرار بن الخطـاب الفهـ ـري ، فيُصَوِّر لنا أحداث المعركة برُوح إسلامية ظاهرة التّأثر بالدين الحنيف ، مؤكدا أن النصر الذي أحرزه المسلمون إنما هو نصر للحقِّ والدّين ، وأنّه من الله تعـالى ، وبإرادته ، يقول[1] : [من الطويل]

1 ـ عَجِـبْـتُ لأَمـْرِ اللهِ واللهُ قَـادِرٌ عَلَى مَـا أَرادَ لَيْسَ لِلّهِ قَاهِـ ـرُ
2 ـ قَضَى يومْ بَدْرٍ أَنْ نُلاقِي معْشَـرًا بَغَوْا وسَبيلُ البَغْـي بالنّاس جائِرُ

وبعد أن يصور تجمّع المُشْركين وتصْميمهُم على مُحاربة الدعوة الإسلامية ، يجْعَلُ هذا التجمّع موجها لقوّة أعظم منه ، إنها قوة الإيمان بالله ورسوله ، يُضيف كعب قائلا[2] : [من الطويل]

3 ـ فلَمّا لَقَيْنَاهُم وكُلَّ مُجَـ ـاهِـدٍ لأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النَّفْس صَابِرُ
4 ـ شَهِدْنا بأَنّ اللهَ لا رَبَّ غَيْـرهُ وأَنّ رَسُولَ اللهِ بالحَقِّ ظَاهِـرُ

كما ، مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وفخر بالإسـلام حتى عُدّ بيتُهُ في بدْر[3] : [من الطويل]

1 ـ وَ ببئْر بَدْرٍ إذْ يَرُدَّ وُجُوهَهُم جِبْرِيلُ تَحْتَ لِوَائِنا و مُحمّدُ

أَفْخَر بيْتٍ قالتْهُ العرب ، على رواية دُعْبُل بن علي الخُزَاعِي [4] .

وبكى شهـداء المسلميـن بقصائد شجيـة صادقة الحـزن ، ومـن أروع قصائده في ذلك ، قصيدته في رثاء سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلـب ، والتي مطلعها[5] : [من الوافر]

1 ـ بَكَتْ عيْنِي و حُقّ لها بُكاهَا ومَا يُغْنِي البُكاءُ ولا العَوِيـلُ
2 ـ على أَسَدِ الإِلَهِ غَدَاةَ قَـالُوا أَحَمْزَةُ ذَلِكَ الرَّجُـلُ القَـتِيلُ

(1) كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص 30 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 304/2 .
(2) نفسه ، ص 31 .
(3) نفسه ، ص 22 .
(4) ابن رشيق : العمدة : 124/2 .
(5) كعب بن مالك : الديوان ، ص 57 .

3 ـ أصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ جَمِيعًا هُنَاكَ وقدْ أصِيبَ بِهِ الرَّسُولُ

كما انقض على المشركين ، فهجاهم بسلاح خبروه وعَجِمُوا عوده ، ولاك أحسابهم وأنسابهم ، وألقابهم بلسان ينضح بلاغة وفصاحة ، فتركهم صرعى قوله ولسانه على السواء[1] ، إذ يقول مُعَيّرًا عبد الله بن الزبعرى يوم أحـدٍ ، بضِعَـةِ النَّسّبِ ، ولُؤْم الطّبع ، وانْحِطاطِ الخُلُق ، يقول[2] : [من المتقارب]

1 ـ سَأَلْتُ بِكَ ابْن الزِّبَعْرَى فلَمْ أنْبأكَ فـي القَـوْم إلاّ هَجِينَا
2 ـ خَبـيثًا تُطِيفُ بِكَ المُنْدِيَّـاتِ مُقِيمًا عَلى اللّـؤْم حِينًا فحِينَا
3 ـ تَبَجّسْتَ تَهْجُو رَسُـولَ المَلِيـ ـكِ قاتَـلَكَ اللهُ جَلْـفًا لَعِينَا
4 ـ تَـقُـولُ الخَـنَا ثُمّ تَرْمِي بِهِ نَقِـيّ الثّـيابِ تَـقِـيًّا أمِينَا

ويمدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، بأنّه مُؤيّدٌ من قبل الله سبحانه وتعالى بالمعجزات ، فيُشِيـرُ إلى معجـزة المعراج ، وتسبيـح الحصـى فـي كفّـهِ ، (صلى الله عليه وسلم)[3] ، فيقول[4] : [من الطويل]

1 ـ فإنْ يَكُ مُوسَى كَلّم اللهَ جَهْـرَةً على جَبَلِ الطّـور المُنِيفِ المُعَظّمِ
2 ـ فَـقَـدْ كَلّـمَ اللهُ النّـبيّ مُحمّدًا عَلى المَوْضِعِ الأعْلى الرّفِيعِ المُسَوّمِ
3 ـ وإنْ تَكُ نَمْلُ البَرِّ بِالوَهْمِ كَلّمَتْ سُلَيْمَانَ ذا المُلْـكِ الذِي ليسَ بالعَـمِ
4 ـ فهذا نَبيّ اللهِ أحْمَـدُ سَـبّحَـتْ صِغارُ الحَصَى في كَفّه بالتّـرَنّـمِ

وكان ـ رضي الله عنه ـ يهجو المشركيـن ويعَيّـرُهم بالأيام والمثالب والألقاب ، وضعة النسب ، والجبن ، والتخاذل ، فتَخْرس ألسنتُهم ، وتبادِرُ قبائلهم بالدّخول في الإسـلام ، كما فعلت قبيلة " دوْس " ، التي قيل أنها أسلمَتْ فرْقًـا[5]

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 126 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 72 ، 73 ، الهجين : المشكوك في نسبه ، المنديات : العيوب .
(3) سعد بوفلاقة : شعر الصحابة (دراسة موضوعية فنية) ، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، ط 1 : 1428 هـ / 2007 م ، ص 98 .
(4) كعب بن مالك : الديوان ، ص 67 .
(5) ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة ، حقق أصوله وضبط أعلامه ، ووضع فهارسه : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1412 هـ / 1992 م : 611/5 .

لما سمعت قوله إبان السير إلى الطّائف[1] : [من الوافر]

1 ـ قَضيْنَا منْ تِهَامَةَ كُلَّ رَيْبٍ و خَيْبَرَ ثمَّ اَجْمَمْنَا السَّيُوفَا
2 ـ نُخَيِّرُهَا ولوْ نَطقَتْ لقَالتْ قَواطِعُهُنَّ : دَوْسًا اَوْ ثَقِيفَا

ولقد خلّف لنا كعب رضي الله عنه شِعْرا غزير الفائدة ، عظيم الدلالة على فتـرة تاريخية مهمة في حياة المسلمين ، فيه سِجـلّ صادقٌ لكثيـر من الاحداث التاريخية ، والمواقع والغزوات ، ورثاء شهداء المسلمين .

3 ـ عبد الله بن رواحة :

وثالث شعراء المدينـة الذي وقـف ضد المشركين ودافـع عن الإسـلام والمسلميـن ، هو عبـد الله بن رواحـة بن ثَعْلبة بن امرئ القيس ، الخزرجـي الأنصاري[2] .

كان في الجاهليـة ، سيّدا عظِيـم القـدر في قومه[3] ، فإذا كان الإسـلام كان من السّابقين إليه ، شهـد العقبة مع السّبْعين رجُلاً من الانصار ، وكان اَحـد النّـُقَباء الإثنَيْ عشر[4] . وهو من الشعراء والرّجاز المحسنين المجيدين من طبقة صاحبيه حسان بن ثابت وكعب بن مالك[5] .

وكان ـ رضي الله عنه ـ اَثبَتَ إيمانا واَشدّ تُقَى ، فقد شهد بدرا واُحُدًا والخـنْدق والحُديبية وخيبر وعمرة القضاء[6] ، فذاد عن حياض الدعـوة ، وبنى مجد الإسلام ، واَصبح شاعر النبوة ، واَحد اَمناء الوحي، واَصفِيّاء الرسول ، الذي اَثر شعْره ، ورددده في مجالسهِ الخَاصّة .

---

(1) كعب بن مالك : الديوان ، ص 47 ، أجمعنا السيوف : أرحناها .
(2) محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ) : كتاب الطبقات الكبير ، تحقيق : علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 1 : 1421 هـ / 2001 م : 486/3 ، 487 .
(3) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 223/1 .
(4) ابن سعد : كتب الطبقات الكبير : 487/3 .
(5) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط 4 : 1981م : 261/1 .
(6) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 487/3 .

ويظهر أن العصـور الإسـلامية الأولى كانت تعرف كثيرا من أشْعار الرّجـُل ، حتى عَدّهُ أبُو زيْدٍ القُرَشـي من أصحـاب المُذهّبات ، فجعل المُذهّبـة الأولى لحسّان والثانية لابن رواحة [1] ، في حين رأى فيه ابن سلام أحد الشّعراء الثلاثة الفُحول[2] .

وكـان الرسـول يُقَرِّبُـهُ ، ويستنشِـدُه ، وحـدث مـرةً أن قـال لـه (صلى الله عليه وسلم) : عليك بالمُشركين ، وكان عبـد الله لمْ يُعِدّ شيئًا لذلك ، فأنشد مُرتجلا حتى إذا قال : [من البسيط]

1 ـ فَخبِّرُونِي أثمان العَباءِ مَتَى كُنْتُم بطارِيقَ أوْ دَانَتْ لكُم مُضر

قال عبد الله : فكَأنّي عرفت في وجْه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الكراهة ، أنْ جَعَلْتُ قوْمه أثمانَ العَباء ، فقُلْتُ : [من البسيط]

1 ـ نُجالِدُ النّاسَ عنْ عرضٍ فنَأسرهُم فِـينَا النّبيّ وفِـينا تُـنْزَل الـسّورُ
2 ـ وقـدْ عَلِمْتُـم بأنّا ليسَ غـالبنا حيٌّ منَ النّاس إنْ إعَزّوا وإنْ كَثُرُوا
3 ـ يا هَاشِـم الخـير إنّ اللهَ فضّلكُم على البـَرِيّة فـَضْلاً ما لهُ غـيَـرُ
4 ـ إنّي تَفرّسْتُ فيكَ الخَيـْر أعْرِفُهُ فِراسَةً خالفَتـْهُـم في الذي نظَرُوا
5 ـ ولوْ سَألْت أو اسْتنْصَرْتَ بَعْضَهُم في جُلّ أمْرِكَ ما آوُوا ولا نَصَرُوا
6 ـ فثَبّت اللهُ ما آتَاكَ منْ حَـسَـنٍ تَثْبيتَ مُوسَى و نَصْرًا كالذي نصَرُوا

فأقبل عَلَيّ بوجْهِهِ مُبْتَسِمًا . ثُمّ قال : و إيّاك فثَبّتَ الله [3].

ومما نقله البُخاري من شِعْره في رسُول الله (صلى الله عليه وسلم) ،

(1) أبو زيد بن محمد بن أبي الخطاب القرشي (ت 170 هـ) : جمهرة أشعار العرب ، شرحه وضبطه ، وقدم له : علي فاعور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 : 1424 هـ / 2003 م ، ص 289 .
(2) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 215/1 ، وجعله ثالث شعراء المدينة الفحول بعد حسان وكعب .
(3) نفسه : 225/1 ، 226 ؛ ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 489/3 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 900/3 ؛ ابن رشيق القيرواني : العمدة : 176/1 .

قوله[1] : [من الطويل]

1 ـ وفِينَا رَسُـولُ اللهِ نتلُو كِـتَـابَـهُ إذا انْشَقّ معْرُوفٌ منَ الفَجْر سَاطِعُ
2 ـ يَبِيـتُ يُجافِي جَنْبَهُ عنْ فِراشِـهِ إذا اسْتَثْقَلتْ بالمُشْركينَ المَضَاجِعُ
3 ـ أتَى بالهُـدى بَعْدَ العَمَـى فقُلُوبُنا بهِ مُوقِـنَـاتٌ أنّ ما قَالَ وَاقِـعُ

وقال وهو اخذٌ بزمام ناقَةِ رسُول الله (صلى الله عليه وسلم)، بعد خيبَر ، في أبيات تُمثّل المعاني الإسلامية شكلا ومضمونا[2] : [من الخفيف]

1 ـ خَلّوا بَني الكُفّـار عن سبيلِه خَلّوا فكُلّ الخَيْر في رسُـولِه
2 ـ يا رَبِّ إنـي مُؤْمِـنٌ بقِـيلِه أعْرِفُ حَـقّ اللهِ في قَـبُولِه
3 ـ نحْنُ قَـتَلْناكُم على تأوِيـلِه كما قَتَلْناكُم على تَـنْـزِيـلِه
4 ـ ضَرْبًا يُزِيـلُ الهَامّ عَنْ مَقِيلِه و يُذْهِـلُ الخَلِيلَ عنْ خَـلِيلِه

وقال (رضي الله عنه) لمّا خـرج إلى غـزوة مُؤْتة (8هـ) ، متمنـيًا الاستشهاد في سبيل الله[3] : [من البسيط]

1 ـ لكِنـنِي أسْألُ الرّحمَـن مَغْـفِرَةً وضَرْبَةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْـذِفُ الزَّبَـدَا
2 ـ أوْ طَـعْـنَـةً بيَدَيْ حَرّانَ مُجْهِزَةً بحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحْـشَـاءَ والكَـبِـدَا
3 ـ حتّى يُقَالَ إذَا مَرّوا علَى جَدَثِـي أرْشَـدَهُ اللهُ مِـنْ غَـازٍ وقَدْ رَشَدَا

وقد كان له ذلك ، حيث انّه أخذ الرايـة بعد مقتـل جعفـر بن ابي طالب (رضي الله عنه) ، ثُمّ أخذ سيفه فتقدم وهو يَرْتَجِز ، فقاتل حتى قتل[4] .

وهؤلاء الثلاثة ، حسان ، وكعب ، وعبد الله ، هم أبرز شعراء المسلمين، وأعظمهم أثـرًا ، وأكثرُهم خطرًا ، كيف لا وقد كانـوا لسـان حـال الإسـلام

(1) البخاري : صحيـح البخاري ، دار إحياء التراث العربـي ، بيـروت ، لبنان : 166/12 .
(2) ابن الأثير (ت 630 هـ) : الكامل في التاريخ : دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 6 : 1415 هـ / 1995 م : 227/2 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 4/4 ؛ ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : 223/1 ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 86/4 .
(3) ابن عبد البر : الاستيعاب : 898/3 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 6/4 ، الفرغ : السعة ، الزبد : الدم ، المجهزة : التي تجهز عليه وتنهي حياته ، الجدث القبر .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 12/4 .

والمسلمين ، يذبّون عن أعراضهم ، ويُنازلون خُصومهم بسيوفهم وألسنتهم ، كما أن الله جل وعـلا قد استثناهم من مجموعة الشعـراء الذين يتبعُهم الغاوُون[1] ، فخصّهم بقوله : ﴿... إلاّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحَاتِ وذَكَرُوا اللهَ كَثِيرًا ﴾[2] .

ب) الشعراء المهاجرون :

لم يقْتصر شعر الدعوة الإسلامية على شعراء المدينة الذين آووا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ونصروه بسيوفهم وألسنتهم ، بل تجاوزه إلى شعـر آخر استطاع أن يفَرضَ نفْسَهُ ، ويُمثّل جانبًا من الشعـر الإسلامي المتميّز ؛ إنه شعـر المهاجرين والمُهاجرات من قريشٍ إلى الحبشة أو المدينة وحتى كِليهما .

بعد أن هاجر الرسـول (صلى الله عليه وسلم) إلى المدينـة ، ترك خلْفه طائفة من المسلمين في مكّة ، عانوا الاضطهاد والويلات من طرف قريش ، رغبة منهم في صدّهم عن ديـن الله الواحد الأحد ، فاضْطرّوا حينـئذٍ إلى الهجرة فرارا بدينهم وأرْواحهم ، وكان من بينهم طائفة من الشعراء والشاعرات زخرت بهم كتب التاريخ والسير، وسنحاول أن نَعْرض لطائفةٍ منهم .

1 ـ عبد الله بن جحش :

هو صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأخو زيْنب بنت جحْشٍ أم المُؤْمنين رضي الله عنها[3] . يأتي في طليعة الشعراء المهاجرين إلى الحَبَشة ثُمّ إلى المدينة اتّقاءً لأذى قريش لهم ، ونجاة بدينهم وأنفسهم . لذلك كان أثِيرًا عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يُحبّه ويعتمد عليه في أصعب المُهمّات[4] . وفي إحدى تلك المهمات العسكرية اضطرّ ابن جحش إلى مُنازلة قريْش في الشّهر الحرام ، فاستنْكر العرب ومن بينهم الرسول(صلى الله عليه وسلم) تلك الحرب ،

---

(1) ابن كثير الدمشقي : تفسير ابن كثير ، دار الأندلس ، ط 3 : 1981 م : 217/5 ؛ الزمخشري : الكشاف ، تحقيق : محمد مرسي عامر ، دار المصحف ، القاهرة ، مصر ، ط 2 : 1977 م : 188/4 .

(2) الشعراء : 227 .

(3) هرسك مفتي سابقي وحالا دار الفنون ادبيات عربيه معلمى موسارلى ، حابى زاده على فهمى : حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، در سعادت (روشن مطبعه سى) ، إيران ، 1324 هـ : 301/1 .

(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص ، 142 .

فأنشد عبد الله أبياتا في تلك الحادثة يرُدّ فيها مزاعم قريش ، فيقول[1] :
[من الطويل]

1 ـ تَعُدُّون قَتْلاً في الحَرام عَظِيمَـةً وأَعْظَمُ منْهُ لوْ يَرى الرُّشْد راشِدُ
2 ـ صُدُودُكُـم عَـمَّا يقُـولُ مُحَـمَّـدُ وكُـفْـرٌ به واللهُ راءٍ وشَـاهِـدُ
3 ـ وإخْراجُـكُم منْ مسْجِد اللهِ أَهْلَـهُ لِئَلاَّ يُرَى للهِ في البـيْتِ سَاجِـدُ
4 ـ فَـإِنَّـا وإنْ عيـرْتُمُونا بـقَـتْلِهِ وأَرْجِف بالإسْـلام باغٍ و حَـاسِـدُ
5 ـ سقَيْنا منْ ابن الحَضْرَمِيِّ رِمَاحَنَا بنَخْلَةَ لمّا أَوْقَـدَ الحَرْبَ واقِـدُ
6 ـ دَمًا وابنُ عبْـد اللهِ عُـثْمَان بيننَا يُنَازِعُهُ غُلٌّ منَ القِـدِّ عَانِـدُ

وهذه الأبيات تدل على عُمق إيمان عبد الله وصدق تمثّلِهِ للإسْـلام ، ولو عمّر طويلا لكان في طليعة الشعـراء المُهاجرين المتأثرين بالإسـلام ، لكنه شَهد بدْرًا فأبلى فيها بلاءً حسنًا حتى نال الشهادة رحمه الله[2] .

2 – عبد بن جحْش :

كُنْيته أبُو أحمد ، وهو عبد بن جحش بن رئَاب بن يَعْمُر الأسْدي ، أخو عبد الله ، صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأمّهُما أميمـة بنت عبـد المطلب بن هاشم عمة النبيّ عليه السلام . وكان شاعرًا ضَريرًا (كفِيفَ البَصر)، هاجر إلى المدينة بعد ما نال من أذى قريش الكثير[3] .

وقد وصف عبـدُ بن جَحـش ما كان يلقـاه وأهلـه في سبيـل الله ، فقال[4] : [من الطويل]

1 ـ ولَوْ حَلَفتِ بيْن الصّفا أمّ أحْمَدَ وَمَرْوَتُهَا باللهِ بَرّتْ يَمِينُهَا
2 ـ لَنَحْنُ الأُلَى كُنّا بها ثُمّ لَمْ نزَلْ بِمَكّةَ حتّى عَادَ غَثًّا سَمِينُها

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 208/2 ؛ عبد عون الروضان : موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1 : 2001 م ، ص 189 .
(2) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 142 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 97/2 ؛ هرسك مفتى سابقي وآخرون : حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة : 46/1 .
(4) نفسه : 97/2 ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 7/7 .

ويذكر هجرة قومه بني أسَدٍ ودُخولُهم في الإسلام ، فيقول[1] :

[من الطويل]

1 ـ لَمّا رَأَتْنِـي أمّ أحْمـد غَادِيَّـا بِذِمّةِ منْ أخْشَـى بغَيْبٍ وأرْهَـبُ
2 ـ تَـقُـول فإمّـا كُنْتَ لابُـدّ فاعِـلاً فَيَمِّمْ بنَا البُلْدَانَ ولْتَـنْأ يَثْـرِبُ
3 ـ فقُلْتُ لهَا بَلْ يَثْرِبُ اليَوْمَ وجْهـنا ومَا يَشَاءُ الرّحْمَـنُ فالعَبْدُ يَرْكَبُ
4 ـ إلى اللهِ وَجْهي والرّسُولُ ومنْ يُقِمْ إلى اللهِ يَوْمًا وَجْهَـهُ لا يُخَيّـبُ

وها هو يهتز لنبأ بيع أبي سفيـان لداره ، فيخاطبه ، و يُؤَنّبه على فَعْلَتِه المَشِينة ، فيقول[2] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ أبْلِغْ أبَا سُفْيَان عَـــنْ أمْرٍ عَوَاقِبُـهُ نَدَامَـــه
2 ـ دَارَ ابْن عَمّـكَ بعْتَـهَا تَقْضِي بها عَنْكَ الغَرامَـهْ
3 ـ وَحَلِـيـفُـكُمْ باللهِ رَبٍّ النّاس مُجْتَهِدُ القَسَامَـهْ
4 ـ اذْهَبْ بهَا اذْهَـبْ بهَا طُوِّقْتَهَا طَوْقُ الحَمَامَـــه

ويقيم أبو أحمد بن جحش في المدينة بعد هجرته ، فيأخذُه الحنين إلى مكة ووادِيها ، فيقول[3] : [من الرجز]

1 ـ حَبّذَا مـكّة منْ وَادِي بِهَا أهْـلِـــي وَعُـوّادِي
2 ـ بها تَرْسَـــخُ أوْتَادِي بهَا أمْـــشِي بـلا هَادِي

3 ـ عبد الله بن الحارث السهمي :

هو عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدي بن سعـد بن سهم ، وأمـه أمّ الحجّاج من بني شَنُوق بن مُرّة بن عبد منَاة بن كِنانَة[4] .

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 97/2 ؛ عبد عون الروضان : موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر والأموي ، ص 10 .
(2) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 96/4 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 119/2 ، 120 .
(3) ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 6/7 .
(4) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 181/4 .

وهو من أوائل المهاجرين إلى الحبشة هروبا من عدوان قريش وبطشها ، وقد قال يصف مُعاناة المسلمين ، ويُحرّض على الهجـرة إلى الحبشة بعد ما نال ورفاقه المهاجرين الأمن والطّمأنينة في جوار النّجاشي ، يقول[1] : [من البسيط]

1 ـ يا رَاكِبًا بَلِّغَـنْ عَنِّي مُغَلْغَلَـ ـةً مَنْ كَانَ يَرْجُو بَلاغَ اللهِ والدِّيـ ـنِ
2 ـ كُلّ امرئ مِنْ عِبَادِ اللهِ مُضْطَهَدٌ ببَطْنِ مكّـةَ مقْهُـورٌ مقْتَّـ ـ ـلُون
3 ـ أنّا وَجَدْنَا بِـلادَ اللهِ وَاسِعَـ ـةً تُنْجِي مِنَ الذّلّ والمَخْزَاةِ والهُـوُن
4 ـ فَلا تُقِيمُوا عَلى ذُلّ الحَيَاةِ وخِزْ يِ فِي المَمَاتِ وعَيْبٍ غيرِ مأمُونِ

ويذكر نفـي قريش إيّاهم من بلادهم ، ويُعاتِب بعْض قومـه في ذلك ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ أَبَتْ كَبِـدِي لأكْذِبَنّكَ قِتَالُهُـم عَلَيّ وتَأبَـاهُ عَلَـيّ أنَامِلِـ ـي
2 ـ وكَيْفَ قِتَالِـي مَعْشَرًا أدّبُوكُم عَلَى الحَقّ أنْ لا تَأشِبُوهُ بِبَاطِـل
3 ـ فَفِيْتُم عِبَادَ اللهِ مِنْ حُرِّ أرْضِهِم فأضْحُوا عَلَى أمْرٍ شَدِيدِ البَلابِلِ

كما يذكر باطل قريش وجُحودها لحـقّ ربّـها مُعْلنا الثـورَة عليـها ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ وتِلْكَ قُرَيْشٌ تَجْحدُ اللهَ حَقّـهُ كَمَا جَحَدَتْ عَادٌ ومَدْيَنُ والحِجْـ ـرُ
2 ـ فَإنْ أنَا لَمْ أبْرِقْ فَلا يَسَعَنّنِي مِنَ الأرْضِ بَرٌّ وَلاَ فَضَاءُ ولا بَحْرُ
3 ـ بأرْضٍ بها عبْدُ الإلهِ مُحَمّدٌ أبَيِّنُ ما فِي النّفْسِ إذْ بلَغَ النّقْـ ـرُ

والملفت للنظر أن شعر المهاجرين لم يقتصر على الرّجال فقط ، بل تعداه إلى شعـر بعض النّساء الشّوَاعِـر المُهاجرات اللائِي شكّلْن الوجه الاخر لشعـر المهاجرين الذي لابد من الإشارة إليه حتى تتّضِـح الصورة عن شعـر الدعـوة بشكل جَلي .

(1) إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسـلام ، دار جرير للنشر والتوزيـع ، عمـان ، الأردن ، ط 1 : 1428 هـ / 2007 م ، ص 227 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 253/1 ؛ ابن حجر : الإصابة : 49/4 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 253/1 ، تأشبوه : تخلطوه ، البلابل : وساوس الأحزان .
(3) ابن عبد البر : الاستيعاب : 885/3 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 253/1 ، 254 ، النقـر : البحث .

4 ـ صفيّة بنت عبد المُطلب :

هـي صفيـة بنت عبـد المطلـب بن هاشـم ، عَمّـة رسُـ ـ ـ ـول اللهِ (صلى اللهُ عليه وسلم) ، ووالدة الزّبير بن العوام الصّحابي الجليل[1] .

أمّا شِعْرها فقد حَفِظَتْ لنا كُتُب الأنْسَاب والتاريخ والسير عَشْرًا منْ القصَائِد والقِطـع[2] ، كان أبرزها قبل مجيء الإسـلام ، قصيدتُها في رثاء والـِدها عبـد المُطّلب ، وكان قد جمـع بناته لمّا أحَسّ بدُنوّ أجَلِهِ ، وطَلَبَ منْهُنّ أنْ يقُلْن شِعْـرًا يَبْكِينه بهِ ، فقالت صفية[3] : [من الوافر]

1 ـ أرِقْتُ لِصَوْتِ نائِحَةٍ بليْـ ـ ـ ـلِ عَلى رَجُلٍ بقارِعَةِ الطّريـ ـ ـ ـقِ
2 ـ ففَاضَتْ عنـْد ذالِكُمُ دُمُوعِـ ـي عَلى خَدّي كمُنْحَدَرِ الفَريـ ـ ـ ـدِ

أما في الإسلام ، فقد كان استشهاد أخيها حمـزة بن عبد المطلب دافعًا قويا لإنْشاد الشّعْر ، إذْ بكَتْهُ (رضي الله عنها) بُكاءً شديدا ، تقول[4] : [من الطويل]

1 ـ أسَائِلَةٌ أصْحابَ أحْدٍ مَخافَـ ـ ـةً بنَاتُ أبي مِنْ أعْجَمٍ وخَبيـ ـ ـرِ
2 ـ فقَالَ الخَبيرُ إنّ حَمْزَةَ قدْ ثَـوَى وزِيرَ رَسُولِ اللهِ خيْـرَ وَزِيـ ـرِ
3 ـ دَعَاهُ إلَهُ الحَقّ ذُو العَرْشِ دَعْوَةً إلى جَنّـةٍ يَحْيا بهَا وسُـ ـرُورِ
4 ـ فذَلِكَ ما كُنّا نُرَجّي ونَرْتَجِـي لِحَمْزَةَ يَوْمَ الحَشْـرِ خَيْرَ مَصِيرِ

5 ـ هندُ بنت أثاثة :

ومن الشّواعـر المهاجرات في سبيـل الله ، هند بنت أثاثـة بن عبّـاد بن المُطّلب[5] .

---

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ص 110 .
(2) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوّة ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1423 هـ / 2002 م ، ص 110 .
(3) عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، سوريا ، ط 1 : 1387 هـ / 1967 م ، ص 201 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 139/1 ، الفريد : الدُّر .
(4) جورج غريب : شاعرات العرب في الجاهلية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1984 م ، ص 227 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 110/3 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 326/2 .

ومن شعْرِها ، قولُها في بُكاء عُبيدة بن الحارث بن المُطلب ، وقد استشهد في بدر[1] : [من الطويل]

1 ـ لقَدْ ضَمِنَ الصّفْرَاءَ مَجْدًا وسُؤْدُدًا وحِلْمًا أَصِيلا وافر اللّبّ والعَقْلِ
2 ـ عُبَيْدَةَ فابْكِيـهِ لأَضْيافِ غُرْبَـةٍ وأَرْمَلَةٌ تَهْوِي لأَشْعَثَ كَالجَـدْلِ
3 ـ وبَكِّيهِ للأَقْـوام في كُلِّ شَتْـــوَةٍ إذَا احْمَرّ إفْاقُ السّمَاءِ منَ المَحْلِ
4 ـ وبَكِّيهِ للأَيْتَـام والرِّيحُ زَفْـــرَةً وتَشْبِيبُ قِدْرٍ طَالمَا أَزْبَدَتْ تَغْلِي

وأجابت هند بنت عُتبة يوم أحُد ، فقالت[2] : [من الرجز]

1 ـ خَزِيتِ فِي بَدْرٍ وغيْرِ بَدْرِ يَا بِنْتَ وَقّاعٍ عظِيمِ الكُفْرِ
2 ـ صَبَّحَكِ اللهُ غَدَاةَ الفَجْـرِ مُلْهَاشَمِيِّينَ الطِّوَالِ الزّهْرِ

6 ـ نُعَم بنت سعيد[3] :

وقيل نُعم بنت ثابت ، أخت حسان بن ثابت شاعـر الرسـول (صلى الله عليه وسلم)[4] . قالت ترثي زوجها شَمّاس بن عُثمان الذي استُشهد يوم أحد[5] : [من البسيط]

1 ـ يا عَيْنُ جُودِي بدَمْعٍ غَيْرِ إبْسَاسِ عَلى كَرِيـمٍ مِنَ الفِتْيَانِ أبّـ ـاسِ
2 ـ صَعْبِ البَدِيهَةِ ميْمُونٍ نَقِيبَـ ـتُهُ حمّـ ـالِ ألْوِيَّـةٍ رَكّابِ أقْـرَاسِ
3 ـ اقُولُ لمّا اتَى النّاعِي لهُ جَزَعًـا اوْدَى الجَوَادُ وأوْدَى المُطْعِمُ الكَاسِي
4 ـ وقُلْتُ لمّا خَلَتْ مِنْهُ مَجالِسُـ ـهُ لا يُبْعِـ ـدُ اللهُ عَنّا قُرْبَ شَمّـــاسِ

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 326/2 ، 327 ، وقال ابن هشام : واكثر أهل العلم بالشّعر يُنكرها لهند ؛ الصفراء : موضع بين مكة والمدينة ، الأشْعث : المتغيّر ، الجدْل : أصل الشجرة ، المحْل : القحْط ، الزفْرة : الشديدة ، التشبيب : إيقاد النّار تحت القِدْر .

(2) ابن حجر : الإصابة : 149/8 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 45/3 ، الو قاع : كثيـر الوقـوع في الدّنايا ، ملهاشميين : من الهاشميّين ، الزّهر : البيض .

(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 111/3 ؛ يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 114 .

(4) ابن حجر : الإصابة : 142/8 ؛ محمد التونجي : شاعرات في عصر النّبوّة ، ص 187 .

(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 111/3 ؛ وفي الإصابة : 142/8 ، " لا يبعد الله عنّا " بدل " لا يبعد الله منّا " ، الإبساس : في الأصل مسْح ضرْع النّاقة القول لها : بسْ ، بسْ ، ليدُرّ اللبن ، وهنا يعني : التّكلُّف ، أبّاس : شديد .

والحق أن هؤلاء الشعراء والشاعـرات المهاجرات لم يبلُغوا شأو الثّـلاثة المقدميـن ، حسان بن ثابت ، وكعـب بن مالـك ، وعبـد الله بن رواحة ، لأن شِعْـرُهم مُقَطّعات وأبيات[1]، لم تبلُغ القصيد .

كما أنّ الشعـراء الذيـن مثّلوا الدعـوة الإسـلامية ، ودافعوا عنها ضدّ أعدائِها ، ونافحُوا عن الرّسُـول (صلى الله عليه وسلم) ، وتَجارُوا مع شعـراء القبائل الأحادِيثَ والأفانِين[2] ، تغُصّ بهم كتب السيـرة والتّاريخ ، والمغَازِي ليس بالإمْكان إحْصَاؤُهُم في هذا البحث ، وقد أوْردْنا أشهرهُم ، وسنُحاول أن نُدْرِجَ في الاغراض الشعرية بعضهم الاخر .

2) مضامين شعر الدعوة وأغراضه :

من الطبيعي أن يَهْجُر شعـراء الدعوة في صدر الإسلام الأغراض التي تتنافى والدين وتعاليم الإسـلام ، كالقول الفاحـش ، والفخـر الكاذب ، والهجاء المقذِع ، وأن يشْتَقّوا لأنْفُسِهم موضوعات جديـدة تتلاءَمُ وطبيعة الفكـر والحيـاة الجديدين . ومن الطبيعي أيضًا أن تستَمِرّ موضُوعـات عُرِفَتْ منْ قبْل ، كالمدح والرّثاء ، إلاّ أنّ تنَاولها أصْبَح يَحْملُ طوابع لمْ تكُنْ منْ قبـل ، وهذا ما سنُلاحظُه منْ خِلال عرضِنا لأهم موضوعات شعر الدعوة .

أ ــ الوعْظ والإرْشاد :

احتاجت أوامر الدين الجديد ونواهيه إلى الحثّ على الالتزام بها وتنفيذِها ، فنشأ لوْنٌ جديد من الشعر ، هو شعر الوعظ والإرشاد[3] .

وتُعدّ لاميّـة صِرْمة بن أبي أنس الأنْصـاري في طليعـة هذا اللـون من الشّعـر إذْ نجِـدُهُ يدعـو أبْنـاءهُ وينصَحُهُـم بتقْـوى اللهِ وصِـلَة الأرْحـام ،

(1) بحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 116 .
(2) مصطفى صادق الرافعي : تاريخ آداب العرب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، ط 5 : 1420 هـ / 1999 م : 313/2 .
(3) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 84 .

والرّأفةِ باليتامى ، فيقول[1] : [من الخفيف]

1 ـ يا بَنيّ الأَرْحامَ لا تَقْطَعُوهـا وصِلُوها فَصيـرَةً مِنْ طِـوَال
2 ـ واتّقُوا اللهَ في ضِعَافِ اليَتَامى رُبّما يَسْتَحِيلُ غَيْرُ الحَـلال
3 ـ واعْلَمُوا أنّ لليَتِيم ولِـيّا عالِمًا يَهْتَدِي بغَيْرِ السُّـؤَال

ويُجْمِلُ كعـب بن مالـك الانصاري ، بكَلِمـات ، مُهمّـتَهُ الوَعْظِيّة يوم الخنْدق (5 هـ) ، فيقول[2] : [من الكامل]

1 ـ ومواعِظٌ مِنْ رَبّنَا نُهْدِي بـها بلِسَانِ أَزْهَـرَ طَيّـبَ الأثـوابِ
2 ـ عُرِضتْ عَلَيْنَا فاشْتَهَيْنَا ذِكْرَهـا مِنْ بَعْدِ ما عُرِضَتْ على الأَحْزَابِ
3 ـ حِكَمًا يَراهَا المُجْرِمُون بزَعْمِهِم حَرَجًا ويقْهَمُـها ذوُو الأَرْبـابِ

ب ـ التّبرّئة من عبادة الأصنَام وإعلان الإسْلام :

ومثل هذه الاشعـار لم تتجاوز الابيات المُفردة ، وهي غالبا ابيات خالية من الصنعة الفنية ، أو من العاطفة التي نجدها في الأغراض والمعاني الأخرى ، إلا انها تُقدّم صورة لطبيعة الحياة الدّينيـة التي كان الجاهِلِيّون يُحْيُونَها من خلال رفـْض الشّعَراء عبادة ما كان آباؤُهم يَعْبُدُونهُ[3] .

فهذا مازن بن العَضُوب العُمـاني يذكر كسره لصَنم قومه " باجرْ " الذي كان هو سادِنُه ، فحطّمَه بعد إسلامه وأعلن تبرئتهُ منْه ، يقول[4] : [من البسيط]

1 ـ كَسَرْتُ بَاجِر اَجْذاذًا وكان لنا ربّا نُطِيفُ به ضلاً بتَضْـلال
2 ـ فالهاشِميّ هَدانَا منْ ضَلالتِنا ولمْ يَكُنْ دِينُهُ مَنّي على بَـال

(1) سالم المعوش : القـواعد المعرفية الإسـلاميـة في أدب صدر الإسـلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1422 هـ / 2001 م ، ص 366 .
(2) كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص 15 ، الأزهر : الأبيض ، والمراد هنا الرسول (ص) ، طيب الأثواب : كناية عن عفة لسانه (ص) ، الحرج : الحرام .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 169 .
(4) محمد أحمد درنيقة : معجم أعلام شعـراء المدح النبـوي ، تقديـم وضبط الأشعـار : ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1996 م ، ص 183 .

وهـذا شـ ـدّاد بن عارض الجَشْمـي عنـد مسيـ ـر الرسـ ـ ـول (صلى الله عليه وسلم) إلى الطّائـف ، يدعُـو قومَهُ إلى ترْك عبادة " اللاّت " ، لأنّها حِجَارةٌ لا تستطيع دفـع الأذى عن نفسِها ، فكيف تستطيـع أن تنصـُر منْ يعْبُدها ، يقول[1] : [من البسيط]

1 ـ لا تَنْصُروا اللاّت إنّ اللهَ مُهْلِكُها وكيْف يُنْصرُ منْ هُوّ ليس يَنْتَصِرُ
2 ـ إنّ التي حُرّقَتْ بالسّدّ فاشْتَعلتْ ولمْ تُقاتِل لدى أحجَارِها هَـــدَرُ

ج ـ مَحاجَة المَشْركين :

هذا بُجَيْر بن زُهير أخو كعب بن زهير ، قد أسلم قبل أخيه ، ودفَعهُ حُبّه له إلى إرْسال الأشعار والرّسائل إليه يدْعُوه فيها إلى الإيمان بالدّين الإسْـلامي ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ إلى اللهِ لا العُزّى ولا اللاّتِ وحْـدَها فتنْجُو إذا كان النّجاءُ وتسْلَـ ـ ـمُ
2 ـ لدَى يوْمٍ لا يَنْجُو وليسَ بمُفْلِـــــتٍ منَ النّار إلا طاهِرُ القَلْـبِ مسْـلِمُ
3 ـ فَدِينُ زُهَيْرٍ و هُوّ لا شيْءَ دِيـ ـ ـنُهُ ودينُ أبي سلْمَى عليّ مُحـ ـ ـرّمُ

ويسْلِمُ الشّاعر الطفيل بن عمرو الدّوْسي ، فتُهدّدُهُ قريْشٌ ، وتتوعّدُهُ بالقتل، فلا يتراجَع ، وإنّما يُعْلِن إسْلامَهُ في أبْياتٍ منَ الشّعر يُرْسلُها إليهم ، يقول[3] : [من الوافر]

1 ـ ألا أبْلِغ لديْكَ بَنِي لـُؤَيٍّ على الشّنآن والغَضَب المُرَدِّ
2 ـ بأنّ اللهَ ربَّ النّاس فرْدٌ تعَالى جدّه عَـنْ كُلِّ نَـ ـدِّ
3 ـ وأنّ مُحمّد عبْدٌ رَسُـولٌ دَلِيلُ هُدًى مُوضّحُ كُلّ رُشْدِ

(1) ابن كثير الدمشقي : السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1964م : 654/3 .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 149/1 .
(3) ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 523/3 .

د ـ الثبات على العقيدة في مكة :

وقد ظهرت هذه الصـورة مُنذ فجـر الدعـوة الإسـلامية ، حيـن حاول المشركون أن يثنُوا المسلميـن عن الدّيـن الجديـد ، فلمّا أعياهم ذلك لجؤوا إلى البطش والتعذيـب ، فظهرت مقطوعات عبّر فيها أصحابها عمّا يُلاقونَهُ من هول وعذاب على أيـدي المُشركين[1] ؛ فهذا خُبيْب بن عُـدَي الأنْصـاري الذي قتلـه المشركون بمكة يدعو الله ـ قبل قتله ـ أن يرزُقَهُ الصّبر لِتحمّـل أذى المُشْركين حتى لا تضْعَفَ عقِيـدَتُهُ أو تهُون ، يقول[2] : [من الطويل]

1 ـ فذو العَرْش صَبّرني على مَا أصابَنِي فقدْ بَضعُوا لحْمِي وقدْ ضلّ مطْعَمِي
2 ـ ومَا بِي حَذارَ المَوْتِ إنّي لمَيّـتٌ ولكِنْ حَـذارَ حَـرِّ نَارٍ مُلَفّـ ـع
3 ـ ولسْـتُ بمُبْـ ـدٍ للعَـدوّ تَخشّـعًا ولا جَزِعًـا إنّي إلى اللهِ مَرْجَعِـي
4 ـ ولسْتُ أبالِي حيـنَ أقْتَلُ مُسْلِـمًـا عَلى أيِّ حالٍ كانَ في اللهِ مَصْرَعِـي

وهذا عمّار بن ياسِر حيـن عذّبهُ المشركون ووالِديْه ، قد جسد مُعاناتَه فـي قصيدة رائعة ، يعلنُ فيها صبْرهُ على الأذى ، وتمَسّكهُ بدِينه ، ويذكّـرُ بـلالاً وأصْحابهُ ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ جَزى اللهُ مِنْ بِـلالٍ وصَحْبِـه عتِيقًا وأخْزَى فاكِـهًا وأبا جهْـل
2 ـ عَشِيّة هَمّا منْ بِـلالٍ بسَـوءَةٍ ولَمْ يَحْذرا مَا يَحْذرُ المَرءُ ذو العَقْلِ

إلى أن يقول :

3 ـ فإنْ يقْتُلُونِي يقْتلُونِي فلم أكُـن لأشْرِكَ بالرّحمن منْ خِيفَةِ القتْلِ
4 ـ فيا رَبّ إبْراهيمَ والعَبْدَ يُونُسَ ومُوسَى وعِيسَى نجّني ثُمّ لا تُبْلِي

(1) ابتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، دار المناهج ، عمان ، الأردن ، 2005 م ، ص 176 .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 441/2 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 168/2 ، مع اختلاف في رواية الأبيات .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 177 .

هـ ـ الهجرة في سبيل الله :

حين آذن الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، ووجَد المسلمون فيها الأمـن والطّمأنينة ، بعث بعضُهم رسائل شعرية إلى إخوانِهم في مكة يدعونهُم فيها إلى الهجرة ، ويُرغّبونهُم فيها ، فهذا عبد الله بن الحـ ـارث يدعو أصْحابه إلى الهجْرة ، فيقول[1] : [من البسيط]

1 ـ يا راكِبًا بَلّغَنْ عَنّي مُغَلْغَلَـــــــةً ... منْ كَان يرْجُو بَلاغَ اللهِ والدّيـن

2 ـ كُلّ امرئ منْ عِبادِ اللهِ مُضْطهدٌ ... ببَطْن مكّة مشْهُورٌ ومَفْتُـ ـ ـون

3 ـ إنّا وجَدْنَا بِلادَ اللهِ واسِعَـ ـ ـةً ... تُنْجِي منَ الذّلّ والمَخْزَاةِ والهون

4 ـ فلا تُقِيمُوا على ذُلّ الحيَـاةِ ولا ... خِزْيَ الممات وعيْبٍ غيْر مأمُون

وهناك من الدّارسين من اختصر هذه الأغراض الخمسة في غرضين اثنين فقط هما : شعر العقيدة والدعوة ، وشعر الجهاد في سبيل الله . وهذا الاختصار لا يظهر طبيعة الأغراض ومكوناتها .

و ـ المديح :

ونحن نعْرفُ أنّ المديـح أوسعُ أغراض الشّعـر العربي عبـر عصوره الأدبية ، إذ قلما يخلو منهُ ديوان شاعـر . وإذا كان هناك تغْيير في هذا الغرض التقليدي في صـدر الإسلام ، فبما يَتلاءَمُ ورُوح الدّين الجديد ، وتوجيه الرسـول الكريم (صلى الله عليه وسلم)، حتى غَدا غَرضًا إسْلامِيًّا قلّ فيه المدْحُ النّكَسّبي ، وقلّت فيه المُبالغة ، وكثُرَ فيه التّمَدّح بالإسْلام ومبادِئِه .

وبالرّغـم من أنّ الرسـول (صلى الله عليه وسلم) وصحابتُه لم يكـونوا يتطلّعُون إلى مديح وثنَاء بقدْر ما كانوا يبتغُون المثوبـة والأجْر من الله عز وجل على أعْمالِهم ، ومع ذلك فشخصية الرّسول الأعْظم (صلى الله عليه وسلم) الفذّة الفَريدة قد شدّت إليها عواطف وأحاسيس كثير من الشّعَراء والشّاعِرات ، فراحـوا

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 253/1 ؛ إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة ، ص 277 ؛ ابن حجر : الإصابة : 49/4 .

يلْهجُون بصِدْق الثّناء والمدْح[1] ، فهذا حسان بن ثابت شاعر الرسول(ص) ، يتغنّى بمدْح النبّيّ الكريم مُعدّدًا صِفاتَهُ ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ أغَرّ عليْهِ للنّبُوّةِ خَاتَـــــــمٌ منَ اللهِ مشْهُودٌ يلُوحُ ويشْهَـــدُ
2 ـ وضمّ الإلهُ اسْمَ النّبيّ إلى اسْمِهِ إذا قال في الخَمْس المُؤَذّنُ أشْهَدُ
3 ـ وشقّ لهُ منْ اسْمِهِ ليُجِلّـــــهُ فذو العَرْش محمُودٌ وهذا مُحمّدُ

ويُحاولُ كعب بن مالك من خلال مديحِه تأكيد جُملة من المبادئ الإسلامية التي اراد الرسـول (صلى الله عليه وسلم) إرْساءَها في اذْهان النّاس عِنْـ ـد بـ ـدْء الدّعـوة ، فيقول[3] : [من البسيط]

1 ـ فينَا الرّسُولُ شِهابٌ ثمّ يتْبَعُـ ـهُ نُورٌ مُضِيءٌ لهُ فضْلٌ عـلى الشّهَبِ
2 ـ الحَقّ منْطِقُهُ والعَدْلُ سيرَتُـــــهُ فمنْ يُجِبْهُ إليْهِ ينْجُو مـنْ تَبـ ـبِ
3 ـ جَدُ المقدّم ماضِي الهَمّ مُعْتَـزِمٌ حِينَ القُلوبُ على رَجْفٍ منَ الرّعُبِ
4 ـ يَمْضِي ويدْمُرَنا عنْ غيْرِ مَعْصِيّةٍ كأنّهُ البَدْرُ لمْ يُطْبَعْ على الكَـ ـذِبِ
5 ـ بَـدا لَنا فاتّبَعْنَـاهُ نُصدّقُـ ـهُ وكَذّبُوهُ فكُنّا أصْعبَ العَـ ـرَبِ

ويُؤَكّدُ أسَيْدُ بن سَلمَة صِلة الرّسالة الإسلامية باللهِ تـعالى ، وأنّهُ جل وعلا هوّ منْ بعثَ محمّدا (ص) ليبلّغ الناسَ رسالة التّوحيد ، يقول[4] : [من الكامل]

1 ـ إنّ الذي سمَك السّماءَ بقـ ـوّةٍ حتى علا في مُلْكِـه فتوَحّدَا
2 ـ بَعَث الذِي لا مِثْلهُ فِيمَا لامَضى يدْعُو لِرَحْمَتِه النّبـيّ محمّدَا

ز ـ الفخر والحماسة :

اتفقَ النّقّاد والمُؤرّخُون على انْ يجْعَلُوا الفخْـر والحمـاسة بابا واحِدًا لِما

(1) سعد بوفلاقة : شعر الصحابة ، ص 90 .
(2) حسان بن ثابت الأنصاري : الديوان ، ص 83 .
(3) كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص 12 ، ينج من تبب : ينجو من الهلاك ، نجد المقدم : كناية عن الشجاعة ، الهم : الهمة ، يذمرنا : يحضنا .
(4) محمد أحمد درنيقة : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، ص 91 ؛ سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 133 .

بينهما منْ تَشابُهٍ كبير ، لأنّ الحماسة ليست سِوى فخـرا لِفارسٍ ببُطولتِهِ وذِكْـر وقائِعِـهِ ، ووَصْفِ فرسِهِ وسلاحهِ[1] . وقد بثّ الإسْلام في الفَخْر رُوحًا جَديـدةً ونقلهُ منْ أفُقٍ إلى آخر ، فهذا النّابغة الجعْدي ينبَعِثُ في فخْرِهِ منَ العقيـدَة لا منَ الأثرَة ، فيُجَاهرُ بالإيمَان الكامل، باللهِ جلّ وعلا ، وبالنبيّ (صلى اللهُ عليه وسلم) الذي حمـلَ الرِّسـالة ، وبالقُرْآن الكريم الذي أضَاءَ للنّاس فمشَوْا على بصِيرة ، يقول[2] : [من الطويل]

1 ـ تَبِعْتُ رسُول اللهِ إذْ جاءَ بالهُـدَى ويتْلُو كِتابًا كَالمَجَرَّةِ نَيـ ـرَا
2 ـ وجَاهَدْتُ حتّى لا أحِسّ ومنْ مَعِي سُهَيْلاً إذا ما لاحَ ثَمَّتَ غَـوَّرَا
3 ـ أقِيمُ عَلى التَّقْوَى وأرْضَى بِفِعْلِهـَا وكُنْتُ مِنَ النَّارِ المَخُوفَةِ أوْجَرَا

ويفخر كعب بن مالـك ببلاء المُسْلِميـن يوم بدْر (2هـ) ، وتأييـدِ اللهِ وملائِكتِه لهُم ، وبزعَامـة الرّسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وقيادته لجيـوش المسلمين ، فيقول[3] : [من الوافر]

1 ـ وَرَدْنَاهُ بنُورِ اللهِ يَجلـــــوُ دُجَى الظّلْمَاءِ عَنَّا والغِطَـاءِ
2 ـ رَسُولُ اللهِ يُقْدِمُنَا بأمْـــــرٍ منْ أمْرِ اللهِ أحْكَمَ بالقَضـــاءِ
3 ـ فمَا ظَفِرَتْ قُوَارسُكُم ببَـدْرٍ ومَا رَجَعُوا إلَيْكُم بالسَّـوَاءِ
4 ـ فَلا تَعْجَلْ أبَا سُفْيَانِ وارْقُبْ جيّادَ اللهِ تَطلعُ مِنْ كَـــدَاءِ
5 ـ بنَصْرِ اللهِ رُوحُ القُدْسِ فيها ومِيكَالٌ فَيَا طِيبَ المَـــلاءِ

وهذا علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، يفْخـرُ بانتِصَار الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، في إحْدَى معَارِكِه ، فيقول[4] : [من الطويل]

1 ـ ألَمْ تَرَ أنّ اللهَ أبْلَى رَسُولَـ ـهُ بَلاءَ عَزِيزٍ ذِي اقْتِدَارٍ وذِي فضْلِ

(1) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان : 46/1 .
(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1507/4 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 1515/3 .
(3) كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص 08 ، كداء : موضع بمكة ، الملاء : يعني الملأ ، وهم أشراف القوم .
(4) علي بن أبي طالب : الديوان ، اعتنى به : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط 4 : 1428 هـ / 2007 م ، ص 124 .

2 ـ بمَا أنْزَلَ الكُفّارَ دَارَ مَذَلّـ ـ ـةٍ فذاقُوا هَوَانًا مِنْ إسَارٍ ومنْ قَتْـلِ
3 ـ وأمْسَى رَسُولُ اللهِ قَدْ عَزّ نصرُهُ وكَانَ رَسُولُ اللهِ قدْ أرْسِلَ بالعَدْلِ

وإذا كان حسان شاعر الرسول (صلى الله عليه وسلم) الاعظم ، في فخْرِه ((بالجماعَـة الإسـلامية قليـل بالقياس إلى فخره القبلي الذي ظلّتْ لهُ الغلبَة في شِعْره))[1] ، فإنّهُ لمْ يَعْدَم فخرًا إسْلامِيًّا مُتَميِّزًا يَدُورُ في نِطَاق المعانِي الإسلامية، منَ الاعتصام بدين اللهِ والدّفاع عنْهُ ، ونُصرْةُ الرّسُول (صلى الله عليه وسلم) ، ومنْ ذلك قولُهُ يوم بدْرٍ[2] : [من البسيط]

1 ـ فينَا الرّسُولُ وفينَا الحقّ نَتْبَعُـــــهُ حتّى الممَاتِ ونَصرٌ غيْرُ مَحْدُودِ
2 ـ ماضٍ على الهَوْلِ رَكّابٌ لما قَطعُوا إذَا الكُمَاةُ تَحَامَوْا في الصّنَادِيـدِ
3 ـ وَافٍ ومَاضٍ شِهَابٌ يُسْتَضَاءُ بـهِ بدْرٌ أنَارَ عَلى كُـلِّ الأمَاجِيـ ـدِ

ح ـ الهجاء :

لم يُقْلِع شُعَراءُ الدّعْوة عن الهجَاء في هذا العصر ، ولم يُفارق الغَيـ ـظُ والغضَبُ نُفُوسُهُم ، خاصّة وأنّ الرّسُـول (صلى الله عليه وسلم) أمَرَهُم بالـردّ على شُعَراءِ المُشْركين الذين صَبّوا عليه وعلى المُسلمين جَامَّ هِجَائهم . لذلك ظـل الهجاء من أبرز أغراض شعر الدعوة ، وأسْماها مكانة في نُفوس شعـ ـ ـراء المسلمين ، حتى احتل المرتبة الأولى في شعر حسان بن ثابت الذي تجَلّت عبْقَرِيّتُهُ الأصيلة في هذا الفن خاصّة ؛ ((فهُوّ ميدانُه الذي يجُولُ فيه ويصول ، ومن هـنا وجدْنا حسان دائِمُ المُباهاة بلِسانهِ الذي يقْري المَزاد ويفْلق الصّخْر ، والذي يبلُـغ منَ النَّفُوس ما لا يبْلُغُه الحُسَام))[3] .

وقد تنوّع هجاء شعراء الدعوة بين الهجاء الفردي ، والقبَلِي ؛ فمن الهجاء الفردي ، قول حسان يهجو ابا سفيان ، فيَسْلُبه من كل القيّم العربية التي يعتز بهـا الإنسان العربي فيصِفُه بأنه أجْوَف خال من العِلْم والمعرفة وأنّ سُيُوف المُسلميـن

(1) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 222 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 85 .
(3) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 177 .

تركتْهُ عبْدًا ، وأنّ بنِي عبد الدّار قد ضَيّعُوا اللّواء الذي حَمَلُوه على قريـ ـش[1] ، يقول[2] : [من الوافر]

1 ـ ألا ابْلِغ ابا سُفْيان عَنِّي فأنْتَ مُجَـ ـوّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ
2 ـ بأنّ سُيُوفَنا تَرَكَتْكَ عَبْدًا وعبْدُ الدّار سَادَتُها الإمَـ ـ ـاءُ

ويهجو كعب بن مالك قُريْشًا هِجاء قبليًا ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ فكُبّ أبُو جَهْلٍ صريعًا لوَجْهِـ ـهِ وعُتْبَةُ قدْ غَادَرْنَهُ وهُوّ غَائِرُ
2 ـ وشيْبَةُ والتّيْمَيّ غادَرْن في الوَغَى وما مِنْهُم إلا بذِي العَرْشِ كافِرُ
3 ـ فأمْسُوا وَقُودَ النّارِ في مُسْتَقَرِّهَـا وكُلّ كَفُورٍ في جَهَنّم صَائِـ ـرُ

كما يهجو حسان بن ثابت قريشًا بأنّها في استجابتها لدعوة أبي سُفيان فـي حربه للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، إنّما تتبع الشيطان ، أما المسلمون جميعا فإنّهم يعبدون الرحمن الذي هو أعظم من أنْ يُشْرَك به بعِبادة وثنٍ منَ الاوثـان ، يقول[4] : [من الخفيف]

1 ـ طاوَعُوا الشّيطَانَ إذْ أخْزَاهُم فاسْتَبَانَ الخِزْيُ مِنْهُم والفَشَـ ـلْ
2 ـ حِينَ صَاحُوا صَيْحَةً واحِدَةً معَ أبي سُفْيَانَ قَالُوا : اعْلُ هُبَلْ
3 ـ فأجَبْنَاهُم جَمِيعًا كُلّنَـ ـنَا رَبّنَا الرّحْمنُ أعْلَى وأجَـ ـلْ

ط ـ الرّثاء :

وهو من أهم أغراض شعر الدّعوة ، وقد كثر في هذا العصر خصوصا ؛ بسبب كثرة الحروب والمعارك بين المسلمين والمشركين .

وجاء في صورتين أساسيتين ؛ أولاهما تسجيل لمشاعر الرّاثي وإظهارٌ للوعَةِ

(1) بهجت عبد الغفور الحديثي : نصوص من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي (دراسة وتحليل) ، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية ، مصر ، 2008 م ، ص 330 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 17 .
(3) كعب بن مالك : الديوان ، ص 31 .
(4) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 238 .

حُزْنهِ وفجِيعَتِه ، وثانيهمَا بيانٌ لمَكَانةِ المَرْثي وتأبينِه . وقد شهد رثاء شعـ ـ ـراء الدعوة تطورا كبيرا في الصورتين معًا ، ففيما يخُص إظهار اللوعة والفجيعة نجد مَعالِم اليأس والحزن في رثاء الشهداء قد اختفت ، وعوّضها الشعراء بالإشارة إلى أن هؤلاء الشهداء ما فقدوا الحياة الدّنيا إلا لِيهنؤُوا بالحياة الآخرة ، حيث الفِرْدوس الأعلى في الجنة ، وهذا تماشيًّا مع طبيعة الدعوة التي اقتضت من المسلميـن أن يصبروا ويُجاهدوا في سـبيـل الله ، ولا يثبِّطُ عزائِمهُم فقد عزيز أو استشهـ ـاد قريب[1] .

أمّا ما يتعلّق بتأبين الميّـت وتعْدادِ مَناقِبه ، فقد اقترنت الصورة الجديدة هنا بسيرة المرثي الإسـلامية ، وبقرْبه من النبـي (صلى الله عليه وسلم) ، وادائه واجـب الشهادة ، والتزامِه بمبادئ الدين الإسلامي الحنيف . وتظهر هذه المعاني وغيرها في كثير من مراثي شعراء المسلمين لقتلاهم ، فهذا حسان بن ثابت يرثِي حمـزة بن عبد المطلب وقد قدِمَت ابنته " أمامَة " تسْأل عن قبره ، فيُجيبُها حسان بتأبيـ ـن الشهيـد وذكـر خصاله وتِعْداد فضائلِه ، ثم يذكّـرُها بمكانتـه عنـد الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، ومـدى قربـه منـه ، ليختِـم بتذكيـرها بخُلوده في الجنة ، يقول[2] : [من الطويل]

1 ـ تُسَائِلُ عنْ قَرْمٍ هِجَانٍ سَمِيـذعٍ إلَدَى البَأسِ مِغْوَارِ الصّبَاحِ جَسُور
2 ـ أخِي ثِقَةٍ يهْتَزّ للعُرْفِ والنّـدَى بعِيد المَدَى في النّائِباتِ صَبـُور
3 ـ فقُلْتُ لها إنّ الشّهادة راحـةٌ ورِضْوَانُ ربٌّ يا أمَامَ غَفُـ ـور
4 ـ فإنّ أبَاكِ الخيْرَ حمزَة فاعْلَمِي وَزِيرَ رَسُولِ اللهِ خيْرَ وزِيـ ـ ـر
5 ـ دَعَاهُ إلهُ الحقِّ ذُو العرْشِ دعْوَةً إلَى جَنّـةٍ يرْضَى بهَا وسُـرُور

ويستشْهدُ عثمان بن مظعُون في إحدى المعارك ، فترْثيه زوْجَتُه وتبْكِيـ ـه

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 242 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 173 ، 174 ، القرم : السيد المعظم ، السميذع : الشجاع .

بحرارَةٍ ، تقول[1] : [من البسيط]

1 ـ يا عيْنُ جُودِي بدَمْعٍ غيْرَ ممْنـ ـُونِ عَلى رَزيَّةِ عُثمَان بن مَظعُـ ـونِ
2 ـ عَلى امرِىءٍ كانَ فِي رِضوَانِ خالِقِهِ طُوبَى لهُ منْ فقِيدِ الشّخْصِ مدْفُونِ
3 ـ طابَ البَقِيعُ لهُ سَكَنِي وغَرْقـ ـــَده وَاشْرَقتْ اَرْضهُ منْ بعْدِ تَقْتِيـ ـلِ
4 ـ وَاوْرَث القَلْبَ حُزنًا لا انْقِطاعَ لـــهُ حتى المَمات وما تَرْقَى لهُ شُوني

وقد ظهر لون جديد من الرّثاء استحدثته الحياة الإسلامية الجديدة ((حيث كان يرثي الشعراء المسلمون ما يفقدون من اعضاء جسَدِهم في ساحات القتـال ، ومعارك الفتح ، وهو رِثاء مُفعم بالاستهانة بفقد تلك الأعضاء واحتسابها في سبيل الله ، والفخر بما اوقعت بالاعداء قبل فقدها))[2] .

فلمّا قطعت رجل عُبيـدة بن الحَارث في بدر ، احتسبـها في سبيل الله ، وعدّها وسيلته للوصول إلى جنّة الخلد ، يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ فَإنْ تَقْطعُوا رِجْلِي فإنِّي مُسْلِـــمٌ اُرَجِّي بها عَيْشًا منَ اللهِ دَانِيـا
2 ـ مَعَ الحُورِ امْثالِ النّماثِيلِ اخلِصتْ معَ الجَنّةِ العُلْيا لِمَنْ كَان عالِيّا
3 ـ وبِعْتُ بِهَا عَيْشًا تعَرّقتْ صفْـوَهُ وعالجَتْهُ حَتّى فقَدَت الأدَانِيّـا

ي ـ الحكمة :

من الطبيعي أن نقول باستمرار الحكمة في هذا العصر وكثرتها ، خاصة إذا تامّلنا في ما اثاره الإسلام من دعوة إلى التفكير والتأمّل في اسرار خلـق الله ، وكذا دعوة القران الكريم للإنسان لاخذ العِبرة والموعظة من تجارب الاقـــــوام والأمم البائدة .

وقد اتجهت افكار شعراء الدعوة لِتصوّر ما استمدوه من حكمة من القران

(1) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1056/3 ؛ عفت وصال حمزة : شعر النساء زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1422 هـ / 2001 م ، ص 93 .
(2) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 169 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 312/2 .

الكريم والحديث النبوي الشريف ؛ فهذا حسان بن ثابت يستمد معناه في بعـ ـض شعره من قوله تعـ ـالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الذِينَ يَعْلَمُونَ والذِينَ لاَ يَعْلَمُون ﴾[1] ، فيقول ذاكرًا هجرة الرسول (صلى الله عليه وسلم)[2] : [من الطويل]

1 ـ وهَلْ يَسْتَوِي ضُلاّلُ قَوْمٍ تَسَفّهُوا عَمًى وهُدَاةً يَهْتَدُونَ بِمُهْتَـ ـ ـدِ
2 ـ لَقَدْ نَزَلَتْ مِنْهُ عَلَى أَهْلِ يَثْرِبَ رِكَابُ هُدًى حَلّتْ عليْهم بِأَسْعُدِ[3]

ويدعُو النّابغة الجَعـدي إلى الهدوء والرّويّة لقَمْع ثورة الجهْل ، ويجعل من الحِلْم قريبًا على مكان الإنسان وحركاته ، فيقول[4] : [من الطويل]

1 ـ ولا خَيْرَ فِي حِلْمٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَـهُ بَوَادِرَ تَحْمِي صَفْوَهُ أَنْ يُكَدّرَا
2 ـ ولا خَيْرَ فِي جَهْلٍ إذا لَمْ يَكُنْ لَهُ حَلِيمٌ إذَا مَا أَوْرَدَا الأَمْرَ أَصْدَرَا

ويسْلِمُ العَبّاس بن مِرْداس ، ويحْرق " ضِمَار " الصنم الذي كان سادِنًا له ، ثم يلحق بالرّسُول (صلى الله عليه وسلم) ، وهو يقول[5] : [من الطويل]

1 ـ لَعمْري إنّي يَوْمَ أَجْعَلُ جَاهِـ ـ ـدًا ضِمَارًا لِرَبِّ العَالَمِينَ مُشَارِكَا
2 ـ وتَرْكِي رَسُول اللهِ والأَوْسُ حَوْلَـهُ أُولَئِكَ أَنْصَارٌ لَهُ مَا أُولَئِـ ـ ـكَا
3 ـ كَتَارِكِ سَهْلِ الأَرْضِ والحَزْنَ يبْتَغِي لِيَسْلُكَ في غَيْبِ الأُمُورِ المَسَالِكَا

ويَحْضُـرُ الصّلْصَـال بن الدّلَهْمَـس بن جنْـدَلة مجْلِـسًا لرسُـول اللهِ (صلى الله عليه وسلم) يعِضُهُم فيه ، فتَنْـفَجِرُ قريحَـتُهُ الشّعْـرِيّة لتُـحَوّل هذه الموعظة إلى أبيات حكمية رائعة ، يقول[6] : [من الطويل]

1 ـ تَجَنّبْ خَلِيطًا منْ مَقَالِكِ إنّمَـ ـ ـ ـا قَرِينُ الفَتَى مَا كَانَ يفْعَـ ـ ـلُ

(1) الزمر : 09 .
(2) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 252 .
(3) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 91 .
(4) أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276 هـ) : الشعر والشعراء ، حققه وضبط نصه ووضع حواشيه : مفيد قميحة ، و محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط 2 : 1426 ه / 2005 م : 163/1 ؛ أبو الفـرج الأصبهاني : الأغاني : 1506/4 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 1516/3 .
(5) العباس بن مرداس السلمـي : الديوان ، جمـع وتحقيـق : يحـي الجبـوري ، مؤسسـة الرسـالة ، بيـروت ، لبـنان ، ط 1 : 1412 هـ / 1991 م ، ص 120 .
(6) ابن حجر : الإصابة : 446/3 .

2 ـ ولا بُدّ بَعْدِ المَوْتِ منْ أنْ تعـ ـده لِيَوْمٍ يُنَادَى المَرْءُ فِيهِ فيُقبـ ـلُ
3 ـ وإنْ كُنْتَ مَشغُولا بشيْءٍ فلاَ تَكُـن بِغَيْرِ الذِي يَرْضَى بهِ اللهُ تُشغَلُ
4 ـ ولَنْ يَصْحَبَ الإنْسَان منْ قبْلِ موْتِهِ ومنْ قبْل الذِي كَانَ يعْمَـ ـ ـلُ
5 ـ ألا إنّمَا الإنْسانُ ضيْفٌ لأهْلِـــــــهِ يُقِيمُ قَلِيلاً ثُمّ يرْحَـ ـ ـ ـ ـ ـلُ

ك ـ النقائض :

ويُقصدُ بها في الشعر : ((أن ينشىء شاعر قصيدة في غرض مـ ـ ـ ـن الأغراض ، الموجهة لبعض خصومه ، فينبري شاعر الخصوم للرد عليه بقصيدة ينقّضُ فيها معانيه ، كأن يقلب فخر خصمه هِجاءً عليه ، وينسب الفخر لنفسـه أو قبيلته ، مُلتزمًا الوزن الذي اختاره الشاعر الأول ، وكذا القافية التي بنى عليهـ ـا قصيدته))[1] .

وقد وجدت أشعار النقائض مكانها ((في الكتب المبكرة عن أيام العرب ، وفي دواوين القبائل ، ورُبّما كانت أيضًا في كتب المثالب والفضائل والمفاخرات ، والمرجّح أنّ كتب " مقاتل الفرسان " كانت تظم شِعْرًا للابطال الفرسان ، الذيـن عُرفوا أيضا بشِعْرهم في رثاء خصُومِهم))[2] .

فلمّا جاء الإسـلام ، ارتقى الشعراء بهذا الغرض إلى أفقٍ أسْمَى وأرْحب بتمثّل الإسـلام وقيّمه النبيلة ، وكسر الإطار القبلي الضيق . وقد جاءت نقائض شعراء الدعوة في أشكال مختلفة .

ك1 ـ النقائض بين شعراء الدعوة وشعراء المعارضة :

وكان في طليعـة شعـراء الدعوة الذين تصدَّوا لنقض ما جاء على لسان شعراء المعارضة ، شعـراء المدينة الثلاثة : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله بن رواحة .

---

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر ، ط 3 : 1407 هـ / 1987 م ، ص 266 .

(2) فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي 430 هـ) ، نقله إلى العربية : محمود فهمي حجازي ، راجع الترجمة : عرفة مصطفى ، وسعيد عبد الرحيم ، دار الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، العربية السعودية ، 1411 هـ / 1991 م : 99/2 .

فهذا ضِرار بن الخطاب الفهـري يهدّد المسلميـن ويتوعدهم يـوم بدر ، فيقول[1] : [من الطويل]

1 ـ عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأَوْسِ والحِينُ دَائِرُ عَلَيْهِم غَدًا والدَّهْرُ فِيه بَصَائِرُ
2 ـ وفَخْرُ بَنِي النّجّار انْ كَانَ مَعْشَرٌ أَصيبُوا ببَدْرٍ كُلّهُم ثُمّ صَابــرُ

فيُجيبه كعب بن مالك بقصيدة مطلعها[2] : [من الطويل]

1 ـ عَجِبْتُ لأَمْرِ اللهِ واللهُ قَـ ـ ـادِرٌ عَلَى مَا أَرَادَ لَيْسَ للهِ قاهِـ ـ ـرُ
2 ـ قضَى يَوْمَ بَدْرٍ أَنْ نُلاقِي مَعْشَرًا بَغَوْا وسبيلُ البَغْيِ بالنّاسِ جائِرُ

ويبكي عبد الله بن الزبعرى قتلى بدر ويعدد أسماءهم ، فيقول[3] :

1 ـ مَاذَا عَلَى بَدْرٍ ومَاذا حَوْلَهُ منْ فِتْيَةِ بيضِ الوُجُـوهِ كِرَام
2 ـ تَرَكُوا نُبَيْهًا خَلْفَهُم ومُنَبِّهًا وابْنَيْ ربيعَةٍ خَيْرَيْ خَصْمٍ فِئَام

فيجيبُه حسان بن ثابت بقولِهِ[4] : [من الكامل]

1 ـ ابْكِ بَكَتْ عَيْنَــاكَ ثُمّ تَبَادَرَتْ بَدَمٍ يَعُلّ غُرُوبَـهَا سَجّـام
2 ـ مَاذَا بَكَيْتَ عَلَى الذينَ تَتَابَعُوا هَلاّ ذَكَرْتَ مَكَـارِمَ الأَقوَام

ك2 ـ النقائض بين شواعر الدعوة وشواعر المعارضة :

لم يكن فن النقائض مقتصرا على الشعراء فقط ، بل ساهمت فيــه الشواعر " الشاعرات " من الفريقين ، فها هي هند بنت عتبة بعد أن استشهد حمزة بن عبد المطلب ومثلت بجسـده يوم أحـد ، تصعد على صخرة مشْرفة ، وتصرُخ بأعلى

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 303/2 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 30 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 304/2 .
(3) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 46 ، 47 .
(4) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 373 .

صوتها متشفيّـــــة بحمزة ، تقول[1] : [من الرجز]

1 ـ نَحْنُ جَزَيْنَاكُم بَيَـ ـ ـ ـوْمِ بَدْرٍ والحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذَاتُ سُعُرْ
2 ـ مَا كَانَ عَلَى عُتْبَةَ لِي مِنْ صَبْرٍ ولا أَخِي وعَمِّـ ـ ـ ـهِ وبِكْرِي
3 ـ شَفَيْتُ نَفْسِي وقَضَيْتُ نَـــــذْرِي شَفَيْتَ وَحْشِي غَلِيـلَ صَدْرِي

فأجابتها هند بنت أثاثة بن عبّاد بن عبد المطلب ، فقالت[2] : [من الرجز]

1 ـ خزيتِ في بدْرٍ وبَعْدَ بَدْرِ يَا بنتَ وَقّاعٍ عَظِيمِ الكُفْرِ
2 ـ صَبَّحَكِ اللهُ غَداةَ الفَجْرِ مُلْهَاشِمِيّين الطِّوَالِ الزُّهْرِ
3 ـ بِكُلِّ قَطّاعٍ حُسَامٍ يَفْرِي حَمْزَةُ لَيْثِي وعَلِيٌّ صَقْرِي

ك3 ـ النقائض بين شواعر الدعوة وشعراء المعارضة :

لم تقتصر نقائض شعراء الدعوة على تلك النقائض التي كانت بين شواعر الفريقين ، بل تعدتها لتشمل النقائض بين شواعر الدعوة وشعراء المعارضة ؛ فهذا كعب بن الأشـرف حينما رثى أصحاب القليب من قريـش الذين قتـلوا يوم بدْرٍ بقصيدته التي مطلعها[3] : [من الطويل]

1 ـ طَحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلَكِ أَهْلِهِ ولِمِثْلِ بَدْرٍ تَسْتَهِلّ وتَدْمَعُ

قامت ميمونة بنت عبد الله تُجيبه ، وتقول[4] : [من الطويل]

1 ـ تَحَنَّنَ هَذَا العَبْدُ كُلَّ تَحَنُّـ ـ ـنِ يُبَكِّي عَلَى القَتْلَى ولَيْسَ بِنَاصِـبِ
2 ـ بَكَتْ عَيْنُ مَنْ يبْكِي لِبَدْرٍ وأَهْلِهِ وعُلِّتْ لِمِثْلَيْهِ لُؤَيّ بنُ غَالِـ ـ ـبِ
3 ـ فَلَيْتَ الذِينَ ضُرِّجُوا بدِمائِهِـــم يَرَى مَا بهم مَنْ كَانَ بيْن الأَخَاشِبِ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 45/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 149/8 ؛ محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة، ص 200 .
(2) نفسه : 45/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 149/8 .
(3) نفسه : 9/3 .
(4) نفسه : 10/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 132/8 ؛ محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 180 .

فأجابها كعب بقوله[1] : [من الطويل]

1 ـ أَلا فازْجُرُوا مِنْكُم سَفيهًا لِتَسْلَمُوا عَن القَوْلِ يَأْتِي مِنْه غَيرَ مُقَارِبِ

2 ـ أَتَشْتُمُنِي أَنْ كُنْتُ أَبْكِي بِعبْـرَةٍ لِقَوْمٍ أَتَانِي وُدّهُم غيْرَ كَـ ـاذِبِ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 11/3 .

ثانيا : شعر المعارضة :

إن مُعظم ما قاله المشركون أو مِمن عارَضوا الإسلام كان في مكة ، ثم ما قاله اليهود في المدينة ، حيث شهدت المدينتان صِرَاعًا عنيفا بين قوى الدّعوة التي آمنت بالرّسالة الإسلامية ، وقِوى المُعارضة التي استماتتْ لِتَحُول بين الدعـ ـ ـوة الإسلامية والانتشار .

وكانت هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصَحْبه من أهل مكة نقطـة تحَوّلٍ هامّـة في تاريـخ الدعـوة الإسـلامية ، فبعد ان استقر المقام بالرّسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وصَحْبه في المدينـة ، اشتدّ أذى رجال قريْش للمسلمين وسخّروا كـل قِواهم المادية والمعنوية لِحرْبهم ، وبطبيعة الحال كان الشعر وسيلة فعّالة للرّد على المسلمين ، وتحريض القبائل عليهم، لأنه الوسيلة الإعلامية الوحيدة التي تشيّع آراء رجال قريش ، فتسير بها الرّكبان بين القبائل والأعراب المقيمين ، وبذا نَشطتْ الحركة الشعرية التي ما كانت معروفة في قريش من قبل[1] .

ولكي نبين هذا النّشاط الشعري ، سنعرَض لطائفة من شعراء المعارضـــة الذين كان لهم الدّور الأبرز في هذا الصراع الشعري دون أن ننسَى أو نُغْفل بعض الشعراء المغمورين والمقلين الذين كانت لهم مكانتُهم المتميّزة في هذا الصراع .

1) شعراء المعارضة :

أ ــ شعراء مكة :

قبل الحديث عن شعراء قريش المبرزين في محاربة الإسلام والمسلميـن ، لابد من الإشارة إلى واقع الحركة الشعرية في مكة قبل البعثة النبوية .

يذهب العديد من الباحثين إلى القول بأنّ مكة لم تكن في الجاهلية ((تعـرفُ بشِعْـر إلا بعض مقطوعـات تنسَبُ لِورقـة بن نوفـل وغيره منَ المتحَنّفيـن ، ومقطوعات أخرى تنْسبُ لبَعْض فِتْيانها مثل نُبيْه ومُسافِر اللذين ترجم لهما أبـــو

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 63 .

الفرج في أغانيه))[1] . وذلك عائدٌ في رأيهم لانشغال قريش بأسباب الحضـــارة والتّجارة[2] ، أو لأنّه لم تكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا على رأي ابن سلام[3] .

في حين يذهب باحث اخر منْحًى مُخالِفًا حينما يعتبر أنّ قريشا قد شهـدت نهضة شِعْرية قبل الإسلام ، وقد أنْهضهَا على الخصوص ـ في نظره ـ حُروبها مع الأحابيش في عام الفيل أواسِط القرْن الأول قبل الهجرة ، أضِف إلى ذلـ ـ ـك حروب الفُجّار بعد عام الفيل بين قريش وكِنانة وقيْس ، والتي أيقظت شاعريـ ـة القُرَشيين ونبّهت أذهانهم ، فنبغ منهم شعراء على اختلاف القبائل والبطون[4] .

والحق أن مكة كانت تزخر بعدد غير قليل من الشعراء وإن لم يبلُغوا درجة الفحول ، ولا أدل على ذلك مما تناقلته كتب الأدب والتاريخ من قصائد ومُقطعات لشعراء قريش وشواعرها حتى أن بني هاشم لم يكن من نِسائهم من لم تقل الشّعر، وإن قالت البيت والبيتين ، فما بالك بأشعار الرّجال .

وأبرعُ أهل مكة شعرا : عبد الله بن الزبعرى ، وأبو طالب بن عبد المطلب، والزبير بن عبد المطلب ، ومسافر بن ابي عمرو بن أمَية ، وضرار بن الخطاب الفهري ، وأبو عِزّة الجُمحي ، وعبد الله بن حذافة السّهْمي ، وهُبيْرة بن أبي وَهب المخزومي[5] .

ولمّا جاء الإسلام ظهرت طائفة من الشعراء الذين لم يُعْرفوا بالشّعر من قبل، كأبي سُفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، الذي كان أشد الناس عداوة لله ورسوله ويشاركه في ذلك ، عبد الله بن الزبعرى ، وهبيرة بن أبي وهب ، وغيرهم .

وسأحاول هنا أن أعرض لأهم شعراء المعارضة في مكة .

---

(1) شوقي ضيف : تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) ، ص 47 .
(2) عبد العزيز عتيق : في الأدب الإسلامي والأموي ، دار النهضة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 2001 م ، ص 24 ؛ محمد العيد الخطراوي : شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ، مؤسســة علوم القــرآن ، ودار القلم ، بيروت ، دمــشق ، ط 1 : 1400 هـ / 1980 م ، ص 62 .
(3) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 236/1 .
(4) جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربيـة ، مراجعة : يوسف الشيـخ محمد البقاعي ، دار الفكـر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1426 هـ / 2005 م : 64/1 ، 65 .
(5) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : 233/1 ـ 235 .

1 ـ عبد الله بن الزّبعرى :

كان عبد الله بن الزبعرى السّهْمي ((أحد شعراء قريش المعدودِين))[1] ، وأشد الناس ((على رسـول الله وأصحابه ، بلسانه ونفسه ، وكان أشعر قريـش وأبلغها))[2] ، ومن اشعاره في محاربة الإسلام ، قوله يوم أحد معلنا شماتته عند هزيمـة المسْلمين ، وعَدّ ذلك اليوم انتقامًا وشِفَاءً لِغليل المشركيـن مما نالوه على أيدي المسلمين يوم بدر[3] : [من الرمل]

1 ـ يَا غُرَابَ البَينِ أسَمِعْتَ فقُل ... إنّمَا تنْطِـقُ شَيْئًا قدْ فُعِـل
2 ـ إنّ للشّرّ وللخيْرِ مَـ ـ ـدًى ... وكِلا ذلِكَ وَجْـهٌ وقبَـ ـلْ
3 ـ والعطياتُ خِسَاسٌ بينَهُـــم ... وسَواءٌ قبرُ مُثْـرٍ و مُقِـلْ
4 ـ كُلّ عَيْشٍ ونَعِيمٍ زَائـ ـِلٌ ... وبَنَاتُ الدّهْـرِ يَلْعبْنَ بِكُلْ

إلى أن يقول[4] :

5 ـ لَيْتَ أشْياخِي ببَدْر شَهِـ ـدُوا ... جَزَعَ الخَزْرَج منْ وَقْع الأسَلْ
6 ـ حِينَ حكّتْ بِقُبَاءٍ* بَرْكَهَـ ـا ... واسْتَحَرّ القَتْلُ في عَبْدِ الأشَلْ
7 ـ فقَتَلْنَا الضِّعْفَ منْ أشْرَافِهِـم ... وعَدَلْنَا مَيْلَ بَدْرٍ فاعْتَـــــدَلْ

وهذه الأبيات ليست كل القصيدة ، فقد روى منها ابن هشام في سيرته ستة عشر بيتًا .

مع أن المَرْوي لابن الزّبَعـرى من شعـر في الصراع بين مكة والمدينة قصائد معدودة إلا أنّها جيدة المعاني ، محكمة النسج ، منبَعِثة عن فكر ورويّة[5] ،

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 5195/11 .
(2) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ص 68 .
(3) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 41 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 84/3 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 110/3 ، القبل : ما يستقبل من الأيام ، الخساس : الحقيرة .
(4) نفسه ، ص 42 ؛ ابن سلام : طبقات الشعراء : 238/1 ، 239 ، الأسل : الرمح ، بركها : صدرها ، الأشل : عبد الأشهل .
• ورد البيت في طبقات ابن سلام : 239/1 " بقناة " ، ورجّح محمود محمد شاكر أن يكون ذلك هو الأصح ، لأنه أحد الأودية في المدينة وبالتالي مكان إحدى معارك أحد .
(5) محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبني أمية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر ، ص 36 .

ولا أدل على ذلك من قصيدته اللامية المتميزة التي أوردنا منها بعض الأبيات من قبل .

ومن شعره أيضًا ، قوله مُخاطِبًا عثمان بن طلحة بن أبي طلحة وكـ ـان حليفا لهم في الجاهلية ، وذلك لمّا سمِع بإسلام خالد بن الوليد وعمرو بن العـاص في حضرته ، معاتبًا إيّاه على مصاحبتهما ، ومحذرا له من خالد الذي لا يؤتمـن حسب قوله[1] : [من الطويل]

1 ـ أنْشِدُ عُثْمَانَ بن طلْحة حِلْفَنَا ومُلْقَى نِعَالِ القَوْمِ عِنْدَ المُقبَّلِ
2 ـ ومَا عَقَدَ الآبَاءُ مِنْ كُلِّ حلفَةٍ ومَا خَالِدُ مِنْ مِثْلِها بمحَلّـ ـَل
3 ـ أمِفْتَاحَ بيْتٍ غَيْرَ بيْتِكَ تبْتَغِي ومَا يُبْتَغَى منْ مَجْدِ بيْتٍ مُؤثّلِ
4 ـ فَلا تأمَنَنّ خَالِدًا بَعْدَ هـــــذه وعُثْمَانُ جَاءَ بالدَّهَيمِ المُعَضّلِ

وظل ابن الزبعرى يحرّض الكفـار على المسلميـن حتى أهدر الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، دمه ، إلا انه بعد فتح مكة فرّ إلى نَجْرَان فرماه حسان بن ثابت ببيت واحد ، فعاد وقدِم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فأسلم ، واعتذر إليه بشعرٍ فيه عاطفة قويـة ، ورجاء ورغبـة في العفو حيث قال والنّدم يعتصر قلْبه[2] : [من الكامل]

1 ـ مَنَع الرقادَ بَلابِلٌ وهُمُـ ـ ـ ـومُ واللّيْلُ مُعْتَلِجُ الرّواق بَهيـ ـمُ
2 ـ مِمّا أتَانِي أنّ أحْمَد لامَنِـ ـ ـي فِيهِ فبِتّ كَأنّنِي مَحْمُـــ ـ ـومُ
3 ـ يَا خَيْرَ منْ حَمَلَتْ على أوْصَالها عَيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدين غَشُـ ـومُ
4 ـ إنّي لَمُعْتَذِرٌ إليْكَ مِنَ الـــــذي أسْدَيْتُ إذْ أنَا في الضّلالِ أهِيمُ

إلى أن يقول[3] :

1 ـ واللهُ يشْهَدُ أنّ أحْمَدَ مُصْطَفَى مُستَقْبِلٌ فِي الصّالِحينَ كَرِيمُ

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 44 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 204/3 ، المقبل : موضع الحجر الأسود ، المؤثل : القديم ، الدهيم : الداهية ، المعضل : الشديد .
(2) نفسه ، ص 45 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 46/3 ، 47 ، البلابل : وساوس الأحزان ، معتلج : مضطرب ، بهيم : شديد الظلام ، العيرانة : الناقة ، سرح اليدين : شديدَتيهما ، الغشُوم : لا ترد عن وجهها ، قرم : سيد ، الأروم : الأصول .
(3) نفسه ، ص 46 .

2 ـ قَرْمٌ عَلا بُنْيَانُهُ منْ هَاشِـــــم فَرْعٌ تَمَكّنَ فِي الذّرَى وأرُومُ

والملاحظ أن ما قاله عبد الله بن الزبعرى أيام شِركه لمْ يرْوِه الرواة كاملا ، فهم إمّا أن يختاروا أبياتا لا تمس العقيدة الإسلامية ، وليس فيها فحش وشتـــــــم وإقذاع ، أو يكتفوا بإيراد مطلع نقيضتِه[1] ، أو يُصدّروا نقيضة الشاعر المسلـ ـم بعبارة " وقال يرد على ابن الزبعرى ، أو قال يهجو ابن الزبعرى "[2] ، أو يـرد في شعر الشاعر المسلم ما يشير إلى هجاء ابن الزبعْرى له وللمسلمين مثل ما هو وارد في شعر كعب[3] ، وشأنه في ذلك شأن باقي شعراء المعارضة .

ومما يدل على كثرة ما أهْمل من شعر ابن الزبعرى ، الرواية التي ذكر فيها أنّه وضرار بن الخطاب الفهري ، قدِما المدينة أيام خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فاجتمعا بحسان وأنشدا أشعارَهما في الكفر ، حتى إذا صار كالمِرجـل يفور رحَلا دون أن يُسْمِعهما من شعره ، ولم تذكر الرواية الشعر الذي أثار حسان بن ثابت ، وأغلب الظن أن الرواة تجاهلوه لما فيه من هجاء مقذع وفاحش ، وثلبٍ موجع ، وينتهي الخبر بأن يشكو حسان الأمر إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فيأمُر بإعادة الرجلين حتى إذا جيء بهما ، وقف حسان ، وأنشد أمامهما ما شفى غَلِيلَه . عند ذاك سمح الخليفة للرجلين بالرحيل[4] . وهنا أيضا لم تـورد الرواية الشعر الذي انشده حسان ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تقصّـد الرواة إهمال شعر المشركين وعدم روايته ، وهذا التقصّد من الرواة لا يخـ ـص شعر عبد الله بن الزبعرى وضرار بن الخطاب فحسب بل يتعداه إلى باقي شعـر المعارضة أو شعر المشركين ككل .

ومما لا شك فيه أن ضيّاع شعر المشركين وعدم روايته قـــد حال بينـــي ـ وغيري من الباحثين ـ وبين الوقوف على حقيـقة شعـر المعارضة وكذا طبيعته وقيمته الفنية .

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 53 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 395 ، 396 .
(3) كعب بن مالك : الديوان ، ص 73 .
(4) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 243/1 ، 244 .

2 ـ ضرار بن الخطاب الفهري :

ضرار بن مرداس بن الخطاب الفهري ، من شعراء المشركين قرن اسمه باسم عبد الله بن الزبعرى ، وقيل انه اشعر منه[1] ، ومن شعره في محاربة المسلمين قوله لما ادرك ابو سفيان بن حرب سعد بن عُبادة ، وقيل ابن النعمان[2]، فأسره ليطلب فِداءَه بابن له ، قال في ذلك بيتين وهما اول شعرٍ قيل في التعرض للمسلمين[3] : [من الطويل]

1 ـ تَدَارَكْتُ سَعدًا عَنْوَةً فَأَخَذْتَهُ وكَانَ شِفَاءً لَوْ تَدَارَكْتُ مُنْذِرَا
2 ـ ولَوْ نِلْتُهُ طَلّتْ هُنَاكَ جِرَاحُهُ وكَانَ حَرِيّا اَنْ يُهَانَ ويُهْدَرَا

وكان المشركون يألمُون أشد الألم لما يذكره شعراء الرسول(صلى الله عليه وسلم) ، من انْدِحَارهم فكان هذا الشعـر ـ بالإضافة إلى الهزيمة ـ يُثيرُ كوامِنَ حِقدهم على أهل المدينة الذين يفخرون بأنهم آوُوا الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ونصروه[4] ، مما جعل ضرار بن الخطاب الفهري يقول[5] : [من الطويل]

1 ـ عَجِبْتُ لِفَخْرِ الأَوْسِ والحِينُ دَائِرٌ عَلَيْهِم غَدًا والدّهْرُ فِيهِ بَصائِرُ
2 ـ وفَخرُ بنِي النّجّار إنْ كَانَ مَعْشَرٌ أَصِيبُوا بِبَدْرٍ كلهم ثَمّ صَابِـرُ
3 ـ فإنْ تَكُنْ قتْلى غُودِرَتْ منْ رِجَالِنا فإنّا رِجَالٌ بَعْدَهُم سَنُغَـ ـادِرُ

ونجد في أشعار ضرار بن الخطاب الفهري تعصّبا واضحا لقبيلة قريـش ، فبدر وإن كانت هزيمة للمشركين فإنه يحاول ان يجعلها مفخرة لقريش كلهـ ـا ، فأحمـد (ص) ـ ولا يسميـه نبيًّا ـ ورجالـه من قريـش هم سبـب النصـر

(1) ابن حجر : الإصابة : 485/3 .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 606/2 .
(3) ضرار بن الخطاب الفهري : الديوان ، جمع وتحقيق وشرح : فاروق أسليم بن أحمد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1996 م ، ص 58 ، 59 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 81/2 ، 82 ، ابن عبد البر : الاستيعاب : 606/2 ، عُنوة : قسْرًا وقهْرا ، طلت ، طل الدم : إذا هدر ولم يُثأر له .
(4) النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، عبده غريب ، القاهرة ، مصر ، ط 2 : 1998 م ، ص 213 .
(5) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 60 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 303/2 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 535/2 .

فالمسألة ما تزال في مفهومه حربًا بين قريش وأهل يثرب[1] ، يقول[2] :
[من الطويل]

1 ـ فإنْ تَظفَرُوا فِي يومْ بَدْرٍ فَإنّمـ ـ ـا بِأحْمَدَ أمْسَى جدّكُم وهو ظَاهِـ ـ ـرُ
2 ـ وبالنَّفَرِ الأخْيَارِ هُم أوْلِيّـ ـ ـ ـاؤُهُ يُحَامُونَ فِي اللأوَاءِ والمَوْتُ حَاضِرُ
3 ـ يُعَدّ أبُو بَكْرٍ وحمْزَةُ فيهـ ـ ـ ـ ـمُ ويُدْعَى عَلِيّ وَسْطَ منْ أنْتَ ذاكِـ ـ ـرُ
4 ـ ويُدْعَى أبُو حَفْصٍ و عُثمانُ منْهـم وسعْدٌ إذا مَا كَانَ في الحَرْبِ حَاضِرُ
5 ـ أولئِكَ لا مَنْ نتّجَتْ فِي ديارهَـ ـا بنُو الأوْسِ والنّجّار حينَ تُفَاخِـ ـ ـرُ
6 ـ ولكِن أبُوهُم لُؤَيّ بنُ غالـ ـ ـبٍ إذا عُدّتِ الأنْسَابُ : كَعْبٌ وعَامِـ ـ ـرُ
7 ـ هُم الطّاعِنُونَ الخَيْلَ فِي كُلّ مَعْرَكٍ غَدَاةَ الهياجِ الأطيَبُونَ الاكَاثِـ ـ ـرُ

والحق أن معركة بدرٍ (2 هـ) قد أسفرتْ عن مأسـاة حقيقيـة وصدمة لا مثيل لها بالنسبة للمشركين لم تكن في الحسبان ، خاصـة مع مقتل معظم صناديد قريش وعلى رأسهم أبو جهل بن هشام ، مع ما لحق قريش من عار جرّاء العدد الهائل من القتلى ، وفرار الكثير من المشركين من المعركة .

إلا أن إصرار القرشيين على الثأر لقتلاهم في بدر جعلهم يستعدّون لمعركة أخرى جمعوا لها من القبائـل الأخرى ما جمعوا ، فكانت معركـة أحد (3هـ) ، والتي شهدت انهزام المسلمين فيها بسبب مُخالفة الرّماة لأوامر الرسول (ص) ، ما جعل قريشا تُقيم الافراح لايّام عديدة ، الامر الذي اثار شاعرية شعرائها .

فهذا ضرار بن الخطاب يزْهُو ببُطولته ، وبسَالة فرسان قريش ، ويفخر بما أحرزوه منْ نصرٍ ، وبما أصابوا منْ فُرسَان المسلمين ، فيقول[3] : [من البسيط]

1 ـ القَوْمُ أعْلَمُ لولا مُقْدَمِي فرَسِـ ـي إذْ جَالتِ الخَيْلُ بينَ الجزعِ والقاعِ

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 57 .
(2) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 61 ، 62 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 304/2 ، اللأواء : الشدة .
(3) نفسه ، ص 68 ، 69 ؛ وفي السيرة : 92/3 " إنّي وجدك " بدل " القوم أعلم" و " ما زال منكم " بدل " ما زال منا " ،الجزع : ما انعطف من الوادي ، القاع : ما انخفض من الأرض ، الهام : يزعم العرب أنه طائر يخرج من رأس القتيل حتى يأخذ بثأره ، الجرّ : الجبل ، تزقى : تصيح ، شاعي : أراد شائعا ، قروة الراعي : قدح صغير من الخشب يحمله الراعي معه ، منتطقا : محتزمًا ، الحبيك : الطرائق ، البيض : جمع بيضة وهي الخوذة ، العرانين : جمع عرنين ، وهو ما صلُب من عظمة الأنف ، لُذاع : يصفهم بقوة القلب وتوقد الذكاء ، الكبش : سيد القوم ، ضاحية : علانيّة ، لا يراعون : لا يخافون .

2 ـ مَا زَالَ مِنّا بِجَنْبِ الجَرّ منْ أحُدٍ أصْوَاتُ هَامٍ تَزَقّى أمرها شَاعِـــي
3 ـ وفَارِسٌ قَدْ أصَابَ السّيْفُ مَفْرِقَهُ أقْلاقُ قَامتِهِ كَقَرْوَةِ الرّاعِـ ـ ـ ـي
4 ـ إنّي وجَدّكَ لا أنْفَكّ مُنْتَطِقًـــــا بِصَارِمٍ مِثْلَ لَوْنِ المِلْحِ قطّـ ـ ـاع

إلى أن يقول :

5 ـ بلْ ضَارِبِينَ حَبِيكَ البيضِ إذْ لَحِقُوا شُمَّ العَرَانِينِ عِنْدَ المَوْتِ لُـدّاع
6 ـ قَوْمٌ هُم يَضْرِبُونَ الكَبْشَ ضَاحيّـــةً ولا يُرَاعُونَ عِنْدَ المَوْتِ للدّاعِي

وطابع الفروسية واضح في هذا الشعر ، ولا غرْو فضرار كان فارس قريش وشاعرها كما قلنا من قبل ، وشعره وشعر عبد الله بن الزبعرى أقوى ما قيـل في الصراع بين مكة والمدينة في العهد النبوي[1] .

وبعد فتح مكة سنة ثمانٍ للهجرة ، أنشد ضرار قصيدة رائعة يستنجد فيهـ ـا بالرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ويسمّيه نبي الهدى ، ويرجوه أن يكُفّ الأذى عنه وعن قومه ، يقول[2] : [من الخفيف]

1 ـ يَا نَبيّ الهُدَى إلَيْكَ لَـــجَا حَيْـ يُ قُرَيشٍ وَلاتَ حِيـنَ لَجَاءِ
2 ـ حِينَ ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ سَعَةُ الأر ضِ وعَادَاهمُ إلَـهُ السمـــاءِ
3 ـ وَالْتَقَتْ حَلْقَتَا البطَانِ عَلَى القَو مِ ونُودُوا بالصّيْـلَمِ الصّلْعَاءِ
4 ـ إنّ سَعْدًا يُرِيدُ قَاصِمَةَ الظّهْـ ـرِ بِأهْلِ الحَجُـونِ والبَطْحَاءِ

وبعد الفتح تستمر حياة ضرار مسلما ، ويشارك في الفتوحات الإسلاميـ ـة حتى وافته المنية ، وقد اختلف الرواة في سنة ومكان وفاته ؛ فقيل أنه استشهد في اليمامة سنة (11هـ) ، كما قيـل أيضا أنه استشهد في أجْنادبَنْ (13هـ) ، إلا أن الأرجح أنه لم يرزق الشهادة ، وإنما توفي في الشام بعد عام (18هـ)[3] .

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 238 .
(2) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 43 ، 44 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 598/2 ؛ محمد أحمد درنيقة : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، ص 183 ، لات : تعمل عمل ليس ، البطان : حزام يجعل تحت بطن البعير ، والتقت حلقتا البطان : اشتد الأمر ، الصيلم : الدّاهية وكذلك الصلعاء ، سعد : سعد بن عبادة الأنصاري ، قاصمة الظهر : الخصلة المانعة لهم من كل الأمور ، حتى كأنها كسرت رؤوسهم ، الحجون : جبل مشرف على مكة ، البطحاء : منازل قريش .
(3) نفسه ، ص 19 .

3 ـ هبيرة بن أبي وهب المخزومي :

أحد جبابرة قريش الذين حاربوا الإسـلام ، وتصدّوا للدعـوة الإسلاميـة بأشعارهم وفروسيتهم ودهائهم[1] ، فقد قاتل في معركة بدرٍ (2هـ) قتالا شديـدا حتى انهارت قواه ، فأعانه أصحابه على الهرب ، وأخـذ بعد هذا يُؤلّب قريـشا والقبائل العربية للثأر لهزيمة بدر[2] ، حتى كانت معركة أحد (3هـ) التي خـرج فيها وهو يُنشِـد ذاكرًا لـوم زوجته (عاذلته) له لانشغاله بحـرب المسلميـن ، يقول[3] : [من البسيط]

1 ـ مَا بَالُ هَمٍّ عَمِيدٍ بَاتَ يَطْرُقُنِي بالوُدِّ منْ هِنْدٍ إذْ تَعْدُو عَوَادِيهَـا
2 ـ بَاتَتْ تُعَاتِبُنِي هِنْدٌ وتَعْذُلُنِـي والحَرْبُ قدْ شُغِلَتْ عَنِّي مَوَالِيهَا
3 ـ مَهْلا لا تَعْذُلِينِي إنّ منْ خُلُقِي مَا قدْ عَلِمْتِ ومَا إنْ لسْتُ أخْفِيهَا

إلى أن يقول مصوّرا دوره السياسي في تأليب القبائل وجمعها لحرب المسلمين :

4 ـ سُقْنَا كِنَانَةَ منْ أطْرَافِ ذِي يَمَـنٍ عُرْضَ البِلاد عَلَى مَا كَانَ يُزْجِيهَا
5 ـ قَالَتْ كِنَانَةَ أنَّى تَذهَبُونَ بنـا قُلْنَا : النَّخِيلَ فَأمَّوهَا ومنْ فِيهَا
6 ـ نَحْنُ الفَوَارِسُ يَوْم الجَرِّ منْ أحُدٍ هَابَتْ مَعَدَّ فقُلْنَا نَحْـنُ نَأتِيهَـا

ثم يصف قتلى المسلمين مشيرًا إليهم ببني النّجّار ، وهو يعلم أن فيهم مـن فرسان قريش ووُجُهها ، وكأنّه يُريد أن يجعـل من هذه المعركة ، معركـة بين المدينة ومكة وليس معركة بين المشركين والمسلمين ، فيقول[4] :

7 ـ ثُمَّتَ رُحْنَا كأنَّا عَارِضٌ بردٌ وقَامَ هَامُ بَنِي النّجّار يَبْكِيهَا
8 ـ كأنّ هَامَهَا عِنْدَ الوَغَى فَلِقٌ منْ قَيْضِ رُبْدٍ نَفَتْهُ عنْ أدَاحِيهَا

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 58 ؛ الجاحظ : البيان والتبيين : 319/1 .
(2) نفسه : 58 ، 59 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 78/3 ، 79 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 105/3 ، 106 ، العميد : شديد الحزن ، العوادي : الشواغل ، عرض البلاد : سعتها ، يزجي : يدفع برفق ، الجر : أصل الجبل .
(4) نفسه : 79/3 ، العارض : السحاب ، الفلق : القطع ، القيض : قشر البيض ، الربد : النعام ، الأداحي : المواضع التي تبيض فيها النعام .

واسلمت زوجته " هند بنت ابي طالب " يوم فتح مكـة (8هـ) ، فقال يُعاتبها[1] : [من الطويل]

1 ـ لَئِنْ كُنْتِ قدْ تَابَعْتِ دِينَ مُحمّدٍ وعَطّفَتِ الأرْحَامُ مِنْكِ حِبَالَهَا
2 ـ فكُونِي عَلَى أعْلَى سَحِيقٍ بِهَضبَةٍ مُمَنَّعَةٍ لا تَسْتَطِيعُ حَلالَهَا

وقال في قصيدة أخرى معتذرا من فراره يوم الفتح[2] : [من الطويل]

1 ـ لعمْرُكَ مَا ولّيْتُ ظهْرِي مُحمّدًا وأصْحَابَهُ جُبْنًا ولا خِيفَةَ القَتْـلِ
2 ـ ولكِنّي قَلّبْتُ أمْرِي فلَمْ أجِـــدْ لِسَيفِي غَنَاءً إنْ ضَرَبْتُ ولا نَبْلِي
3 ـ وَقَفْتُ فلَمّا خِفْتُ ضَيعَةَ مَوْقِفِي رَجَعْتُ لِعودٍ كالهزَبْرِ إلى الشّبْلِ

والواقع أن قصائد هبيرة بن أبي وهب تدل في معظمها على نفس شعري ، ولغة متمكنة ـ خاصة هائيته يوم أحد ـ استخدم فيها الحوار والأساليـب الفنيـة الأخرى من تشبيه وكناية صوّرت الموقف تصويرا دقيقا ينقلنا إلى أجواء المعارك والاستعداد لها في قالبٍ فنّي متميز[3] .

وقد بقي هبيـرة بن أبي وهب على كفـره وعنـاده ، ومعاداته للرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، حتى إذا كان يوم فتـح مكة (8هـ) لم يحتمل الهزيمة ففر إلى نَجْران ومات هناك[4] .

4 ـ أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب :

من شعراء قريش أيام شركها أبو سفيان المغيرة بن الحارث ، وهو ابن عم الرسول (صلى الله عليه وسلم)، ورضِيعه وكان محِـبًّا للرسـول عليه السـلام قبـ ـل الدعـوة واشـدّهم عـداوة له بعد البعثة ، ظل يؤذي الرسـول (ص) ،

(1) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1964/3 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 48/4 .
(2) نفسه : 1963/3 ؛ وسيرة ابن هشام : 149/3 ، مع اختلاف في أشطر الأبيات .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 59 .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 47/4 .

ويهجوه مدة عِشرين سنة[1] ، و عن شعره قال ابن سلام : ((له شعـر كان يقوله في الجاهلية ، فسقط ولم يصل إلينا منه إلا القليل . ولسْنا نعُدَّ ما يروي ابن إسحاق له ولا لغيره شعرا ، ولأن لا يكونَ لهم شعرٌ ، أحسن من أن يكون ذلك لهم))[2].

وأجود شعر أبي سفيان بن الحارث ما كان في الصراع بين مكة والمدينة ، خاصة قصيدته التي يرد بها على حسان بن ثابت حين فخر على قريش بخروج المسلمين إلى بدرٍ الآخرة في الميعاد المحدد ، وجزع قريش من ذلك ، وفيـهـا يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ أحَسّانُ يَا ابْن اَكِلَـةِ الفَغَـا وجَدّك نَغْتَالُ الخُرُوقَ كَذلِكِ
2 ـ خَرَجْنَا ومَا تَنْجُو اليَعَافِيرُ بيْنَنَا ولو وَأَلتْ مِنَّا بشَدّ مُـدَارِكِ
3 ـ إذَا مَا انْبَعَثْنَا منْ مُنَاخٍ حَسِبْتَهُ مُدَمّنَ أهْلِ المَوْسِمِ المُتَعَـارِكِ
4 ـ أقَمْتَ عَلَى الرّسّ النّزُوعِ تُرِيدُنَا وتَتْرُكُنَا فِي النّخْلِ عِنْد المَدَارِكِ
5 ـ عَلَى الزّرْعِ تَمْشِي خَيْلُنَا وركَابُنَا فَمَا وَطِئَتْ أَلْصَقَـنَهُ بِالدّكَادِكِ

إلى أن يقول :

6 ـ سَعِدْتُم بِهَا وغَيْرُكُم كَانَ أهْلَهَا فوَارِسُ منْ أبْنَاءِ فِهْرِ بن مَالِكِ
7 ـ فإنّكَ لا فِي هِجْرَةٍ إنْ ذكَرْتَهَا ولا حُرُمَاتِ الدّين أنْتَ بِنَاسِـكِ

وهاهو مرة أخرى يهجو حسان بن ثابت ، ولكن بنبرة شخصية خالصة ليس فيها إلا ((الوصف باللّؤم وسُوء الخلـق ، وأصالة هذا الخلـق فيه وفي ابائِه))[4] ، يقول[5] : [من الطويل]

1 ـ أبُوكَ أبُو سُوءٍ وخَالُكَ مِثْلُهُ ولَسْتَ بِخَيْرٍ منْ أبيكَ وخَالِكَا

---

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 54 .
(2) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 247/1 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 147/3 ، 148 ؛ ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 249/1 ، باختلاف في الرواية " شقيتم " بدل " سعدتم " في السيرة ، الفغا : التمر ، نغتال : نقطع ، الخروق : الصحراء الواسعة ، اليعافير : أولاد الضباء ، وألت : اعتصمت ، الشد المدارك : الجري المتتابع ، المدمّن : ما تركه الراكب من آثار ، المتعارك : الذي يتزاحم فيه القوم ، الرس النزوع : البئر سهلة الماء ، المدارك : الأماكن القريبة ، الدكادك الرمال اللينة .
(4) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 239 .
(5) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 250/1 .

2 ـ وَإنّ أحَقّ النّاس أنْ لا تَلُومَهُ عَلَى اللّوْمِ منْ ألْفَى أبَاهُ كَذلِكَا

وأجاب حسان بن ثابت يوم إجلاء بني قُريظة ، فقال[1] : [من الوافر]

1 ـ أدَامَ اللهُ ذلِكَ منْ صَنِيـــعٍ وحَرّقَ فِي طَرَائِقِهَا السّعِيرُ
2 ـ سَتَعْلَمُ أيّنَا منْها بنـــُزْهٍ وَتَعْلَمُ أيّ أرْضَيْـنَا نَضِيــرُ
3 ـ فَلَوْ كَانَ النّخِيلُ بِهَا رِكَابًا لَقَالُوا لا مُقَـامَ لَكُم فَسِيــرُوا

لكن أبا سفيان هذا أسلم عام الفتح (8هـ) وحسُـن إسلامه ، وقـدِم على رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وأنشده معتذرًا[2] : [من الطويل]

1 ـ لَعَمْرُكَ إنّي يوْم أحْمِلُ رَايَةً لِتَغْلِبَ خيْلَ اللاتِ خيْلَ مُحَمّدِ
2 ـ لكَالمُدْلِجِ الحَيْرَانِ أظْلَمَ لَيْلُهُ فهَذَا أوَانِي حِينَ أهْدَى فأهْتَدِي
3 ـ هَدَانِي هَادٍ غَيْرُ نَفْسِي ونَالَنِي معَ اللهِ مَنْ طَرَدْتُ كُلّ مُطرّدِ

وبعد إسلامه ، شارك ابو سفيان في عدة غزوات للرسول (ص) ، مزاوجًا بين الحرب بالسّيـف مرة والسّنان مرة أخرى حتى وافته المنيـة ، وضاع معظم شعره ، ولم يصلنا منه إلا القليل وهو مشكوك في صِحّته .

5 ـ أبو سفيان بن حرب :

هو صخر بن حرب بن أميـة بن عبد شمس بن عبد مناف[3] . من خيـرة فرسان قريش وشعرائها ، وأحد جبابرة المعارضة الذين تصدوا للدعوة الإسلامية بفروسيّتهم ودهائهم .

من شعره في محاربة المسلمين قوله لمّا أسَرَ سَعد بن النّعمان بن أكال بعد

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 198/3 ، 199 ، النزه : البعد .
(2) نفسه : 31/4 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 243/2 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 1674/3 ، 1675 ؛ ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 179/7 ، المدلج : الذي يسير في الليل ، أحمل راية : أقود الناس .
(3) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 2271/5 .

بدرٍ الكبرى (2هـ) ، والتي اسر فيها ابنه عمرو[1] : [من الطويل]

1 ـ أَرَهْطَ ابنَ آكَالٍ أَجِيبُوا دُعَاءَهُ تعَاقدْتُم لا تُسْلِمُوا السّيّدَ الكَهْلاَ
2 ـ فَإِنّ بَنِي عَمْرٍو لِئَامٌ أذِلّـــــةٌ لَئِنْ لَمْ يَفُكّوا عَنْ أَسِيرِهِم الكَبْلاَ

وكان نوح زوجـه " هنـد بنت عتبة " الدّائـم لمقتل أهلـها ببدر وانهزام المشركين شرّ هزيمة ، يحرّك أبا سفيان للانتقام والثأر من المسلمين حتى أنه أقسم ألا يمَسّ رأسه ماء من جنابة حتى يغزو المسلمين ، فخرج من مكة إلى المدينـة وهو ينشد أبياتا يحرّض فيـها قريـشًا على الرّسـول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه ، فيقول[2] : [من البسيط]

1 ـ كُرّوا عَلى إِثْربَ وجَمْعِهِمُ فَإِنّ مَا جَمّعُوا لَكُم نَفــَلُ
2 ـ إِنْ يَكُ يَوْمُ القَلِيبِ كَانَ لَهُم فَإِنّ مَا بَعْدَهُ لَكُـــــم دُوَلُ
3 ـ أَلَيْتُ لا أَقْرَبُ النِّساءَ ولا يَمَسّ رَأسِي وجِلْدِيّ الغُسَلُ
4 ـ حتّى تُبِيدُوا قَبَائِلَ الأَوْسِ والخَزْرَجِ إِنّ الفُؤادَ مُشْتَعِلُ

أمّا في أحد (3هـ) فنراه يصـور شجاعته ، ويذكر صبره في ذلك اليوم ومعاونة ابن شعوب " شداد بن الاسـود " إياه على قتـل حنظلة بن أبي عامـر ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ ولَوْ شِئْتُ نَجّتْنِي كُمَيْتٌ طِمِرّةٌ ولَمْ أَحْمِلِ النّعْمَاءَ لابْنِ شَعُوبِ
2 ـ ومَازَالَ مُهْرِي مَزْجَرَ الكَلْبِ مِنْهُم لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتّى دَنَتْ لِغُرُوبِ
3 ـ أُقَاتِلُهُم وأَدّعِي يَا لِغَالـــــبٍ وأَدْفَعُهُم عَنّي بِرُكْنٍ صَلِيبِ

ويضيف ((في صورة جاهلية تدل على التّشفّي بقتل حمزة وقتل الكرام

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 250/2 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 606/2 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 133/2 .
(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 2247/5 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 140/2 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 30/3 ، 31 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 159/2 ، الطّمرّة : الفرس السريعة ، مزجر الكلاب : أي ليس بعيدا عنهم إلا بمقدار الموضع الذي يزجر إليه الكلب .

من بني النجار))[1] ، فيقول[2] : [من الطويل]

4 ـ وسَلّي الذِي قدْ كَانَ فِي النَّفْسِ انَّنِي قتَلْتُ منَ النّجَّارِ كُلَّ نّجِيـبِ
5 ـ ومِنْ هَاشِمٍ قَرْمًا كَرِيمًا و مُصْعَبًا وكَان لَدَى الهَيْجَاءِ غَيْرَ كَـذُوبِ
6 ـ ولَوْ انّنِي لمْ اَشْفِي نَفْسِي مِنْهُـم لكَانَتْ شَجًا فِي القَلْبِ ذاتَ نُدُوبِ

وهكذا استمر ابو سفيان في مقارعة الإســلام والمسلميـن والدّفاع عن المشركين إلى أن منّ الله عليه بالإسلام مع فتح مكة سنة ثمان للهجرة ، ليشارك بعد ذلك الحيـن في غزوات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، إلى أن وافتـه المنية والتحق بالرفيق الأعلى .

6 ـ الحارث بن هشام :

هو ((الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم))[3] ، أخو أبي جهل ، من فرسان قريش وشعرائها .

من شعره ، قوله يجيب علي بن ابي طالب يوم بدر[4] : [من الطويل]

1 ـ عَجِبْتُ لأَقْوَامٍ تَغَنَّى سَفِيهُهُـــم بِأَمْرٍ سَفَاهُ ذِي اعتراض وذِي بُطلِ
2 ـ تَغَنَّى بِقَتْلَى يَوْمَ بَدْرٍ تَتَابَعُـــوا كِرَامَ المَسَاعِي منْ غُلامٍ و منْ كَهْلِ
3 ـ مَصَالِيتَ بيضٍ منْ لُؤَيِّ بن غَالِبِ مَطاعِينَ فِي الهَيْجَا مَطاعِيمَ فِي المَحْلِ
4 ـ أُصِيبُوا كِرَامًا لَم يبيعُوا عَشيرَةً بِقَوْمٍ سِوَاهُم نَازِحِي الدّار و الأصْلِ

ويعتذر للمشركين بعد ما فر يوم بدر رادا عن نفسه تهمة الفرار ، وزاعم انه حارب حتى تخضب جواده بدماء الخصوم[5] ، وان فراره لم يكن إلا لتأجيل

(1) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الثانية ، ص 319 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 31/3 ، القرم : البعير الكريم ، ويقصد هنا السيد الفحل ، شجا : حزن ، ندوب : آثار الجرح .
(3) ابن عبد البر : الاستيعاب : 301/1 .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 302/2 ، مصاليت : شجعان ، مطاعين : جمع مطعان ، وهو الذي يكثر الطعن في الحرب ، مطاعيم : الذين يكثرون الإطعام ، المحل : القحط والجدب .
(5) غازي طليمات ، وعرفان الأشقر : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 202 .

لقائه بالمسلمين في معركة أخرى[1] ، يثأر فيها لنفسه ولمن قتل من عشيرته ، يقول[2] : [من البسيط]

1 ـ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُـــم حتّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشْقَرَ مُزْبِدِ
2 ـ ووَجَدْتُ رِيحَ المَوْتِ منْ تِلْقائهم فِي مَأزِقٍ و الخَيْلُ لَم تَتَبَدَّدِ
3 ـ فَعَلِمْتُ أنّي إنْ أُقاتِلْ وَاحِدًا أُقْتَلْ ولا يَنْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
4 ـ فصَدَدْتُ عنهُم والأَحِبَّةُ دُونَهُم طمَعًا لهُم بعِقابِ يَوْمٍ مُفْسِدِ

وأجاب أبو بكر الصديق في الواقعة نفسها " بدر "، فقال[3] : [من الطويل]

1 ـ أَلا يَا لِقَوْمِي للصّبَابَةِ والهَجْرِ وللحُزْنِ مِنّي والحَرَارَةِ فِي الصّدْرِ
2 ـ وللدَّمْعِ منْ عَيْنَيَّ جُودًا كَأَنّهُ فَرِيدٌ هَوَى منْ سِلْكٍ نَاظِمُهُ يَجْرِي

إلى أن يقول :

3 ـ فإنْ يَكُ قَوْمٌ صَادَفُوا مِنْكَ دَوْلَـــةً فَلابُدَّ للأَيّامِ منْ دُوَلِ الدّهْرِ
4 ـ فقَدْ كُنْتُ فِي صَرْفِ الزّمَانِ الذِي مَضَى تُرِيهم هَوَانًا مِنْكَ ذا سُبُلٍ وَعْرِ

حيث بدأ قصيدته بالحـزن القاتـل على قتلى المشركين وخص منهم أخاه أبا جهل وعزّى نفسه وقريشًا بأنّ الأيام دول ، مبديا روح التفاؤل في شعـره حينا مسيطرة عليه النزعة القبليـة ، ليستنصر في الأخير قريشا كلها للدّفاع عن النساء أعز المحارم عند العـرب والالهة أعـز المعبودات لوراثة قريـش لها عن الاباء والأجداد[4] ، فيقول[5] :

5 ـ فيَالَ لُؤَيّ دَبِّبُوا عَنْ حَرِيمِكُم وآلِهَةٍ لا تَتْرُكُوهَا لِذِي الفَخْرِ
6 ـ تَوَارَثَهَا آبَاؤُكُم و وَرِثْتُـــم أَوَاسِيهَا والبَيْتَ ذا السّقفِ والسِّتْرِ

(1) النبوي عبد الواحد شعلان : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 26 .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 301/1 ، 302 ؛ وأورد منها ابن هشام في السيرة : 308/2 ، ثلاثة أبيات فقط ، مع اختلاف في الرواية ، أشقر : دم .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 300/2 ، الصبابة : رقة الهجر .
(4) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة ، ص 294 ، 295 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 301/2 ، ذبّبوا : ادفعوا وامنعوا ، الأواسي : ما توسس عليه الأبنية .

7 ـ فمَا لِحَلِيمٍ قدْ اَرَادَ هَلاكَكُم فلا تَعْذِرُوهُ الَ غَالِبٍ منْ فِهْرِ
8 ـ وجِدّوا لِمنْ عَادَيْتُم وتَوَازَرُوا وكُونُوا جَمِيعًا فِي التّاَسّي وفِي الصّبْرِ

واستمر الحارث بن هشام في محاربة المسلمين إلى اَن تم فتح مكة ، ففرّ إلى ام هاني بنت ابي طالب، فاَجارته، وقدمت به إلى الرسول (ص) فعفا عنه[1] .

7 ـ مُسافِع بن عبد مناف الجُمحي :

اَحد صناديد قريش وعتاتها ، ساهم في الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية بسيفه ولسانه ، حيث اَنه خرج يوم اَحد يحرض بني مالك بن كنانة ، ويدعوهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، يقول[2] : [من الرجز]

1 ـ يَا مَالِ مَالِ الحَسَبِ المُقدّم اَنشُدُ إذا القُرْبى وذا التّذمّمْ
2 ـ مِنْ كَانَ ذا رَحِمٍ ومنْ لمْ يرْحَمْ الحِلْفَ وسْطَ البَلَدِ المُحَرّمْ
عِنْد حَطِيمِ الكَعْبَةِ المُعَظّمْ

وهاهو يوم الخنـدق (5هـ) ، يبكي عَمرُو بن عَبد ود ، ويذكـر قتـل علي إياه ، فيقول[3] : [من البسيط]

1 ـ عَمْرُو بنُ عَبْدٍ كَانَ اَوّلَ فَارِسٍ جَزَعَ المَذَادَ وكَانَ فَارِسَ يَلْيَلَ
2 ـ سَمْحُ الخَلائِقِ مَاجِدٌ ذُو مِرّةٍ يبْغِي القِتَالَ بِشِكّةٍ لم يُنْكَلِ
3 ـ ولقَدْ عَلِمْتُم حِينَ ولّوا عنْكُم اَنّ ابنَ عبْدٍ فِيهِم لَمْ يَعْجَلِ
4 ـ حتّى تُكَنّفَهُ الكُمَاةُ وكُلّهُـم يَبْغِي مَقَاتِلَهُ وليْسَ بمُؤْتَلِي

إلى اَن يقول :

5 ـ فَاذهَبْ عَلَيّ فَمَا ظَفِرْتَ بِمِثْلِهِ فَخْرًا ولا لاَقَيْتَ مِثْلَ المُعْضِلِ
6 ـ نَفْسِي الفِدَاءُ لِفَارِسٍ منْ غَالِبٍ لاقَى حِمَامَ المَوْتِ لَمْ يَتَحَلْحَلِ

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 40/2 .
(2) نفسه : 17/3 ، يا مال : أي يا مالك ، التذمم : العهد .
(3) نفسه : 193/3 ، جزع : قطع ، المذاد : مكان الذود أي دفع العدو ، مِرّة : شدة وقوة ، الشّكة : السلام ، لم يتكل : لم يرجع ، ليس بمؤتل : ليس بمقصر ، ينحلحل : يتزحزح .

ونجده يؤنب فرسان قريش الذين كانوا مع عمرو ، فأجلوا عنه وتركـوه ، فيقول[1] : [من البسيط]

1 ـ عَمْرُو بنُ عَبْدٍ والجيّادُ يقودُها خَيْلٌ تُقادُ لَهُ وخيْلٌ تُنْعَلُ
2 ـ اَجْلَتْ فَوَارِسُهُ وغَادَرَ رَهْطُهُ رُكْنًا عَظِيمًا كَانَ فِيهَا اَوّلُ

8 ـ عمرو بن العاص السّهمي :

كان شاعرا حسن الشعـر ، حفظ عنه الكثيـر من مشاهد شتى[2] ، وكان شديد العداوة لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم) ، بسيفه ولسانه ، حتى أنه قرن اسمه بعبد الله بن الزبعرى وابي سفيان[3] .

ومن شعره ، قوله مخاطبا عُمارة بن الوليد بن المغيرة عند النجاشي[4] : [من الطويل]

1 ـ إذا المَرْءُ لمْ يَتْرُك طعَامًا يُحِبَّهُ ولَمْ ينْهَ قَلْبًا غَاوِيًّا حيْثُ يَمَّما
2 ـ قضَى وَطرًا مِنه وغَادَرَ سُبّة إذا ذكَرْتَ امْثالَها تَمْلا الفمَا

وقال يوم أحد (3هـ) وهو إذ ذاك مشرك[5] : [من الطويل]

1 ـ لمّا رَاَيْتُ الحَرْبَ يَنْزُو شَرّهَا بالرّضْـفِ نَزْرَا
2 ـ وتَنَاوَلَتْ شَهْبَاءُ تَلْـ ـحُو النّاسَ بالضرّاء لَحْوَا
3 ـ اَيْقَنْتُ اَنّ المَوْتَ حَقّ و الحَيَاةُ تَكُونُ لَغْـوَا
4 ـ حَمّلْتُ اثوَابـي على عَنَدٍ يَبُدّ الخيْلَ رَهْـوَا

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 194/3 ، ننعل : نلبس النعل أو الحذاء .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1198/3 .
(3) عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ص 45 .
(4) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1198/3 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 93/3 ، الرضف : الحجارة المحماة بالنار ، شهباء : الكتيبة كثيرة السـلاح ، العتد : الفرس الشديد ، الرهو : الساكن .

إلى أن يقول[1] :

5 ـ فَفِدًى لهُم أمِّي غَدَا ةَ الرّوع إذ يَمْشُونَ قُطوَا
6 ـ سَيْرًا إلى كَبْشِ الكَتِيـ ـبَةِ إذْ جَلَتْهُ الشمسُ جَلْوَا

كما قال في الواقعة نفسها مصورا خروج قومه للقتال في جيوش متراصة ، ويسخر من سفاهـة بني النجار في تمني لقائهم[2] ، ومن عجـز المسلميـن دون النصر ، يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ خَرَجْنَا منَ الفَيْفَا عَلَيْهم كَأنّنَا مَعَ الصّبْحِ مِنْ رَضْوَى الحَبيكِ المُنَطّق
2 ـ تَمَنّتْ بَنُو النّجّار جَهْلا لِقاءَنَا لَدَى جَنْبِ سَلْعٍ و الأمَانِيّ تَصْـدُقُ
3 ـ فَمَا رَاعَهُم بالشّرّ إلا فُجَاءَةً كَرَادِيسُ خَيْلٍ فِي الأزقّـةِ تَمْـرُقُ

وهكذا استمر عمرو بن العاص في النيل من الإسلام والمسلمين إلى أن منّ الله عليه بالدّخول في الإسلام بعد غزوة الخندق ، فقدم على الرسول (ص) ، برفقة خالد بن الوليد فأسلما وحسُن إسلامهما[4] .

9 ـ أبو أسامة معاوية بن زهير :

هو أبو أسامة ، معاوية بن زهير بن قيس بن الحارث بن سعد بن ضبيعة بن مازن بن عدي بن جشم بن معاوية ، حليف بني مخزوم[5] . أحد شعـــــراء المشركين في معاركهم المختلفة .

من شعره في محاربة المسلمين ، قوله يوم بدر وقد انهزم المشركـون ، وحصدت العديـد من رؤوس زعمائهم ، فكان أن ازداد غضبهم ، واشتـ ـدّ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 94/3 ، القطو : ضرب من المشي فيه خيلاء .
(2) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 276 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 91/3 ، الفيفا : القفر التي لا تنبت شيئا ، رضوى : جبل بالمدينة ، الحباك والحبيكة : الطريقة في الرمل ونحوه ، حبكَ : أجاد فعل الشيء وأحكمه .
(4) نفسه : 203/3 .
(5) نفسه : 320/2 .

تهديدهم[1] ، فقال أبو أسامة[2] : [من الوافر]

1 ـ ولمّا أنْ رّأيْتُ القوْمَ حَقّـوا وقدْ زَالـَتْ نَعَامَتهُم لِنَفْـرِ
2 ـ وأنْ تُركَتْ سَرَاةُ القَوْمِ صَرْعَى كَأنّ خيّارّهُم أذبَـاحُ عِتْـرِ
3 ـ وكَانَتْ جُمّةٌ وَافَتْ حِمَامًـا ولقيْنـَا المَنَايَا يَـوْمَ بَدْرِ

إلى أن يقول مفتخرا بنفسه ومتوعدا المسلمين :

4 ـ وأقسِمُ بالذِي قدْ كَانَ رَبِّي وأنْصَابٍ لدَى الجَمَرَاتِ مُغْرِ
5 ـ لسَوْفَ تَرَوْنَ مَا حَسْبي إذا مَا تَبَدّلتِ الجُلُودُ جُلُودُ نَمْـــرِ

وقال يوم الخنـدق (5هـ) لما أصاب سعـد بن معاذ ، مُخاطِبًا عكرمـة ابن أبي جهل[3] : [من الطويل]

1 ـ أعَكْرِمُ هَـلا لُمْتَنِي إذ تَقُول لِي فِدَاكَ بأطَام المَدِينَةِ خَالـِدُ
2 ـ ألَسْتُ الذِي ألْزَمْتُ سَعْدًا مُرشّةً لَهَا بيْنَ أثْنَاءِ المَرَافِقِ عَانِدُ
3 ـ قَضَى نَحْبَهُ منْهَا سَعِيدٌ فأعْوَلَتْ عَلَيهِ معَ الشّمْطِ العَذارَى النّواهِدُ
4 ـ وأنْتَ الذِي قدْ دَافَعْتَ عَنْهُ وقدْ دَعَا عُبَيْدَةُ جَمْعًا منْهُم إذ يُكَابـِدُ
5 ـ عَلى حِينِ مَا هُم جَائِرٌ عَنْ طريقِهِ واخَرُ مَرْعُوبٌ عن القَصْدِ قاصِدُ

10 ـ مِقيسُ بن صُبَابة :

من شعراء المشركين ، وهو من كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، قتل المسلمـون اخاه هشامُ بن صُبابة في غـزوة بني المصطلق (6هـ) خطأ[4] ، فقدم على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مسلمًا فيما يظهـر ، ثم طالب بدية

(1) النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة ، ص 212 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 320/2 ، 321 ، زالت نعامتهم : كناية عن الهلاك ، سراة القوم : خيارهم ، العتر : الصنم الذي يذبح له ، الجمة : الجماعة ، النفر : الحمراء .
(3) نفسه : 160/3 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 208/3 ، الآطام : الحصون ، مرشة : يريد طعنة ينفجر منها رشاش الدم ، العائد : العرق الذي لا ينقطع دمه .
(4) نفسه : 214/3 ، وبنو المصطلق ، قوم من خزاعة ، وهم بنو جذيمة بن كعب ، وجذيمة هو المصطلق .

أخيه ، فأخذها ، ومكث حتى قتَلَ قاتل أخيـه ، ثم أقفل راجعا إلى مكـة مرتدا ، وهو يقول[1] : [من الطويل]

1 ـ شَفَى النَّفْسَ أنء قدْ بَاتَ في القاع مُسْنَدًا ... تُضَرِّجُ ثوْبَيْهِ دِمَاءُ الأخَادِع
2 ـ وكَانَتْ هُمُومُ النَّفْس منْ قبْلِ قتْلِـهِ ... تُلِمَّ فتَحْمِينِي وِطاءَ المَضاجِع
3 ـ حَلَلْتُ بِهِ نَدْرِي وأدْرَكْتُ ثؤْرَتِـ ـي ... وكُنْتُ إلى الأصْنَام أوَّلَ رَاجِع

وقال أيضا في الحادثة نفسها مفتخرا[2] : [من البسيط]

1 ـ جَلَلْتُهُ ضَرْبَةً بَاءَتْ لَهَا وشَلَّ ... منْ نَاقِعِ الجَوْفِ يَعْلُوهُ ويَنْصَرِمُ
2 ـ فقُلْتُ والمَوْتُ تَغشَاهُ أسَرْتَهُ ... لا تَأمَنَنْ بَنِي بَكْرٍ إذا ظَلِمُوا

11 ـ شداد بن الأسود :

وهو أبو بكر بن شعوب الليثي ، من شعـراء المشركين وفرسانها . ومن شعره ، قوله يوم بدر يبكي قتلى القليب[3] : [من الوافر]

1 ـ تُحَيَّا بالسّلامَة أمّ بَكـ ـرٍ ... وهَلْ لِي بعْدَ قوْمِي منْ سَلام
2 ـ فمَاذَا بالقَلِيبِ قلِيبِ بدرٍ ... مِنَ القَيْنَاتِ والشَّرْبِ الكِرَام
3 ـ ومَاذا بالقَليبِ قَلِيبِ بدْرٍ ... منَ الشَّيْزَى تُكَلَّلُ بالسَّنَـام
4 ـ وكمْ لكَ بالطَّوِيِّ طوِيِّ بَدْرٍ ... منَ الحَوْمَاتِ والنَّعَم المُسَام

إلى أن يقول :

5 ـ وإنَّكَ لو رَأيْتَ أبَا عَقِيلٍ ... وأصْحَابَ الثَّنِيَّة منْ نَعَام
6 ـ إذًا لظَلَلْتَ منْ وَجْدٍ عَلَيْهم ... كَأمِّ السَّقْبِ جَائِلَةِ المِرام
7 ـ يُخْبِرُنَا الرَّسُولُ لَسوفَ نَحْيَا ... وكَيْفَ لِقاءُ أصْدَاءٍ وهَام

(1) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 194/2 ، الأخادع : عرقان في القفا .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 217/3 .
(3) نفسه : 316/2 ، 317 ، الشيزى : جفان الطعام ، الطوي : البئر المطوية بالحجارة ، الحومات : القطيع من الإبل ، المسام : المرسل في المرعى ، الثنية : الفرجة بين الجبلين ، النعام : موضع ، السقب : ولد الناقة ، الأصداء : ما تبقى من الموتى في قبورهم .

وقد أورد إحسان سركيس في كتابه " الظاهـرة الأدبية في صدر الإسـلام والدولة الأموية " ، أبياتا أخرى لشداد بن الأسود أكثر إيلاما واستهزاءً بالرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وبالدين الإسلامي ، يقول[1] : [من الوافر]

1 ـ أيُوعِدُنَا ابن كَبْشَةَ أنْ سَنَحْيَا وكَيْفَ حَيَـاةُ أصْدَاءٍ وهَام
2 ـ أيَعْجَزُ أنْ يَرُدَّ المَوْتَ عَنِّي ويَنْشُرنِي إذ بَلِيّـتْ عِظامِي
3 ـ ألا منْ مُبْلِغُ الرّحمَن عَنِّي بأنِّي تَارِكُ شَهْـر الصيّام
4 ـ فقُلْ للهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي وقلْ للهِ يَمْنَعُنِـي طعَامِي

ونجد ابن شعوب يوم أحد (3هـ) يفتخر بقتله حنظلة بن أبي عامر" غسيل الملائكة " ، وبحمايته لأبي سفيان من القتل على يديه ، فيقول[2] : [من الرجز]

1 ـ لأحْمِيَنّ صَاحِبِي ونَفْسِي بطعْنَةٍ مِثْلَ شُعَاع الشَّمْس

ويذكر يـده عند أبـي سفيان فيما دفـع عنـه ، في موضـع اخـر ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ ولَوْلا دِفَاعِي يا ابْن حَرْبٍ ومَشْهَدِي لألْفَيْتُ يَوْمَ النَّعْفِ غَيْرَ مُجِيبِ
2 ـ ولَولا مَكَرِّي المُهْرَ بالنَّعْفِ قَرْقَرَتْ ضِبَاعٌ عَلَيْهِ أوْ ضِرَاءُ كَلِيبِ

12 ـ أبو عزة الجمحي :

((هو عمرو بن عبد الله بن عثمان بن أهيب بن حذافة بن جمـح))[4] ، أحد أبرز شعراء المعارضة ، كان ((كثيرا ما يستنفر المشركين ، ويحرض قريشا على قتال النبـي (صلى الله عليه وسلم) ، فأسـر يـوم بدر ، وجيء به

(1) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسـلام والدولة الأمويـة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1981 م ، ص 91 ؛ وقد ورد البيت الأول في العديد من المصادر التراثية كسيرة ابن هشام : 316/2 ، وغيرها مع اختلاف في الرواية ، ولا نجد لباقي الأبيات أثرا في كتب السيرة والتاريخ والتراجم ، ولا ندري من أي المصادر وثقها الكاتب ، لأن دراسته تخلو من أي توثيق يمكن أن نعود إليه . ولعل في طبيعة مذهبه المسيحي ، ونزعته المادية الماركسية دور في إيراد هذه الأبيات .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 30/3 .
(3) نفسه : 32/3 ، النعف: أسفل الجبل، قرقرت :أسرعت لنهشه، الضراء : الكلاب المتعودة الصيد، كليب :اسم لجماعة الكلاب .
(4) نفسه : 258/2 .

إلى النبي (ص) ، فشكا إليه الفقـر والعيال ، فرق له ، وخلّى سبيلـه بعـد أن عاهدَهُ على ألا يعين عليه بشعره))[1] ، فقال أبو عزة في ذلك ، يمدح رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، ويذكر فضله في قومه[2] : [من الطويل]

1 ـ منْ مُبَلِّغٌ عَنِّي الرّسُـولَ مُحَمَّدًا بأنّكَ حقّ والمَلِيـكُ حَمِيدُ
2 ـ وأنْتَ امرؤٌ تَدْعُو إلى الحقِّ والهُدَى عليْكَ منَ اللهِ العَظِيم شَهِيدُ
3 ـ وأنتَ امرؤٌ بُوِّئْتَ فِيـنَا مَبَاءَةً لهَا دَرَجَاتٌ سَهْلَةٌ وصُعُودُ
4 ـ فإنّكَ منْ حَارَبْتَـ ـ ـهُ لَمُحَارِبٌ شَقِيٌّ ومنْ سَالَمْتَهُ لَسَعِيدُ
5 ـ ولكِنْ إذا ذُكِّرْتُ بَدْرًا و أهْلَـهُ تَأوَّبَ مَا بي حَسْرَةٌ وقُعُودُ

ولقد تركت هزيمة بدر حسرة كبيرة في نفوس القرشيين ، مما دعاهم إلى الاستعداد مرة أخرى لمجابهة الإسلام والمسلمين ، فأخذوا يحرّضون غيرهـ ـم للانضمام إليهم بشتى السبل ، وكان الشعر من أبرز الوسائل المجدية في ذلك ، حتى أنّنا نجد أبا عزة الجمحي الذي عفا عنه الرسول عليه السـلام يوم بدر ، يخرج ــ بطلب من صفوان بن أمية ــ ليستعْدي الشرك على التوحيد ، ويستنفر بني كنانة على المهاجرين والانصار ، يقول[3] : [من الرجز]

1 ـ إيهًا بَنِي عَبْدِ مَنَاةَ الرَّزّامْ أنْتُم حُمَاةٌ و أبُوكُم حَامْ
2 ـ لا تَعِدُونِي نَصرَكُم بَعْدَ العَامْ لا تُسْلِمُونِي لا يَحِلّ إسْلامْ

إلا أن أبا عزة الجمحي قد وقع مرة أخرى في الاسـر يوم احد (3هـ) ، فخاطـب النبـي (صلى الله عليه وسلم) بمثل خطابـه الاول طالبا الصفـح ، فقال له النبي عليه السلام : ((لا تمسح عارضيك بمكة تقول : " خدعت محمدا مرتين " ، ثم قتله صبرا ، وقال : " لا يلسع المؤمن من جحر مرتين "))[4] .

والظاهر أن لأبي عزة الجمحـي شعـرا جيدا ، خاصـة في مناصـرة

(1) ابن رشيق القيرواني : العمدة : 52/1 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 258/2 ؛ ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : 253/1 ، 254 ، بوئت : نزلت ، تأوب : رجع .
(3) ابن سلام : طبقات فحول الشعراء : 254/1 ، 255 ؛ سيرة ابن هشام : 17/3 ، الرزام :الذين يثبتون في الحرب ولا يهزمون.
(4) ابن رشيق القيرواني : العمدة : 52/1 ، وقتله صبرا : حبسه ورمى به حتى مات .

المشركين ، لم يصل إلينا ، ولا أدل على ذلك من قول الرسول عليه السلام يـوم بدر لمّا عفا عنه : " على آلا تعين علي " ، فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كثرة شعر أبي عزة الجمحي ، وقوة تأثيره في نفوس المشركين .

ولم يقتصر شعر المعارضة في مكة على الرجال فقط ، بل تعداه ليشمـل بعض الشواعر اللائي أبينَ إلا أن يطلقن العنان لألسنتهن لتحارب الإسـلام والمسلمين ، إذ وقفن يُحرّضن المشركين ويبعثن الحماسة في نفوسهـم ، كما ((رثيْن المشركين وهَجوْن وشَمَتنَ بما حصل للمسلمين))[1] .

13 ـ هند بنت عتبة :

هي هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبـد شمس بن عبد مناف ، أم معاوية بن أبي سفيان ، صحابية ذات جمال وشهـرة ومكانة في الجاهلية ، وكانت فصيحة ، جريئة ، وشاعـرة حفظت لنا كتب التاريـخ والأدب شيئا من مراثيها في قتـلى مشركي بدر قبل إسلامها[2] .

من شعرها ، قولها يوم بدر (2هـ) تهجو أخاها أبا حذيفة ــ وكان مسلما ــ لما دعا اباه عتبة للمبارزة[3] : [من البسيط]

1 ـ فمَا شَكَرْتَ أبًا رَبَّاكَ مِنْ صِغَرٍ حَتَّى شَبَبْتَ شَبَابًا غيْرَ مَحْجُون
2 ـ الأحْوَلُ الأثْعَلُ المشئوم طائِرهُ أبُو حُذيْفَة شَرَّ النّاس في الدّين

وقالت تندب اباها وتبكيه بكاءً حارا ، كما تصور مصرعه تصويرا يعكس شدة حزنها ، وعظيم مصيبتها[4] : [من المتقارب]

1 ـ اعَيْنَيّ جُودَا بِدَمْعٍ سربْ على خَيْرِ خِنْدَفٍ لَمْ يَنْقلِبْ
2 ـ تَدَاعَى لهُ رَهطه غُدْوَةً بنُو هَاشِمٍ وبَنُو المُطّلِبْ

(1) عفت وصال حمزة : شعر النساء زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص 61 .
(2) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 197 .
(3) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1631/3 .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 324/2 ؛ التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 197 ، 198 ، خندف : قبيلة سميت باسم امرأة إلياس بن مضر ، عطب : هلك ، العفير : المعفر بالتراب ، سلب : أخذت عنه ملابسه ، المراة : أرادت مرآة العين .

3 ـ يُذِيقُونَهُ حَدّ اَسْيَافِهِـم يَعْلُونَهُ بَعْدَمَا قَدْ عَطِبْ
4 ـ يَجُرُّونَهُ وعَفِيرُ التُّرَابِ على وَجْهِهِ عَارِيًّا قَدْ سُلِبْ
5 ـ وكَانَ لنَا جَبَلا رَاسِيًا جَمِيلَ المَرَاةِ كثِيرَ العُشَبْ

وقالت أيضا تبكي أباها[1] : [من الطويل]

1 ـ يريبُ عَلَيْنَا دَهْرُنَا فيَسُوؤُنـ ـا ويَأبَى فمَا نَاتِي بشَيءٍ يُغَالِبُـ ـهْ
2 ـ اَبَعْدَ قتِيلٍ مـنْ لـؤَيّ بن غَالِبِ يُرَاعُ امرؤٌ إنْ مَاتَ اوْ مَاتَ صَاحِبُهْ
3 ـ الا رُبّ يَـ ـومٍ رُزِئْتُ مُرَزّاً تَرُوحُ وتَغْدُو بالجَزِيلِ مَوَاهِبُـ ـ ـهْ
4 ـ فأبْلِغْ اَبَا سُفْيَـانَ عَـنِّي مَألُكًا فإنْ اَلْقهُ يَومًا فَسَوْفَ اُعَاتِبُـ ـ ـ ـهْ
5 ـ فقدْ كَانَ حَرْبٌ يُسْعَرُ الحَرْبَ إنّهُ لِكُلِّ امرىءٍ فِي النّاسِ مَوْلًى يُطَالِبُـهْ

كما قالت في الواقعة نفسـها ، تهجـو رملة بنت شيبة بن ربيعـة ، زوج عثمان بن عفان[2] : [من الطويل]

1 ـ لَحَى الرّحمَنُ صَائِبَةً بوَجٍّ ومَكّةَ بأطرَافِ الحُجُون
2 ـ تَدِينُ لِمَعْشَرٍ قتَلُوا اَبَاهَا اَقتْلُ اَبيكِ جَاءَكِ باليَقِين؟

ولما خرجت زينب بنت محمد (صلى الله عليه وسلم) تريـد اللحاق بأبيها في المدينة ، لحق بها رجال من قريش فأعادُوها ، فقالت هند بنت عتبة تعيرهم وتهجوهم[3] : [من الطويل]

1 ـ اَفِي السّلم اَعْيَارا جَفَاءً وغَلْظَةً وفِي الحَرْبِ اَشْبَاهُ النِّسَاءِ العَوَارِكِ

ولنطوي صفحة بدر وننتقل إلى أحد حيث أفلحت هند بنت عتبـة في دفـع المشركين إلى الأخذ بالثأر لهزيمة بدر . ولنتخيل المشهد وقد حَمَلت هند الدّفـوف مع مثيلاتها وأخذن يضـربْن بها ويحرّضْن الرجال[4] ، فقالت هند والنسـاء تردد

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 324/2 ، قال ابن هشام :"وبعض أهل العلم ينكرها لهند" ، المألكا: جمع مألكة: الرسالة الشفوية .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1846/3 ، وج : هي الطائف .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 255/2 ، أعيار : أحمرة ، العوارك : النساء الحيض ، الأعيار : الحمير .
(4) عفت وصال حمزة : شعر النساء زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص 67 .

معها[1] : [من مجزوء الرجز]

1 ـ ويْهًـا بني عبْد الـدّارْ
2 ـ وَيْهًا حُمَاةَ الأدْبَـ ـار
3 ـ ضرْبًا بكُلّ بَتّـ ـ ـارْ

كما تقول أيضا[2] : [من مجزوء الرجز]

1 ـ نَحْـنُ بَنَاتُ طارِقْ نَمْشِي عَلى النّمَارِقْ
2 ـ والمِسْكُ فِي المَفَارِقْ والدّر فِي المَـخَانـِقْ
3 ـ إنْ تُقْبلُوا نُعَانِـــقْ ونَفْرِش النَّـمَـ ـارِقْ
4 ـ أو تُدْبرُوا نُفَـارِقْ فِرَاقَ غَيـر وَامِـ ـقْ

وبعد أن حققت هند مرادها في قتل حمزة (ض) يوم أحد (3هـ) ، وصل بها الحقد عليه ان بقرت على كبده ، فلاكتـها فلما لم تستطع ان تستسيغها لفظتها ، ثم علت صخرة مشرفة ، وصرخت بأعلى صوتها قائلة[3] : [من الرجز]

1 ـ نَحْنُ جَزَيْنَاكُم بِيَـ ـوْم بَدْرِ والحَرْبُ بَعْدَ الحَرْبِ ذاتُ سُعُرِ
2 ـ ما كَانَ على عُتْبَةَ لِي منْ صَبْرِ ولا أخِي وعَمِّـهِ وبِكْـرِي
3 ـ شَفَيْتُ نَفْسِي وقضَيْتُ نَذري شَفَيْتَ وَحْشِي غَلِيـلَ صَدْرِي
4 ـ فشُكْرُ وَحْشَيٍّ عَليّ عُمْـري حتّى تَرُمَّ أعْظُمِي فِـي قبْرِي

وقالت لمّا انصرف المشركون عن أحد[4] : [من الطويل]

1 ـ رَجَعْتُ وفِي نَفْسِي بَلابِلُ جَمَّـةٌ وقدِ فَاتَنِي بَعْضُ الذِي قدْ كَانَ مَطْلبي
2 ـ منْ أصحَابِ بَدْرٍ منْ قُرَيْشٍ وغيْرِهِم بَنِي هَاشِم مِنْهُم ومنْ أهْلِ يثْربِ
3 ـ ولكِنَّنِي قد نِلْتُ شيْئًا ولَمْ يَكُـــن كَمَا كُنْتُ أرْجُو فِي مَسِيري ومَرْكَبي

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 24/3 ؛ وفي الأغاني : 5207/11 ؛ و الكامل في التاريـــخ : 153/2 ، " ايها " بدل " ويها " ، ويها : كلمة معناها الإغراء ، البتار : القاطع ، حماة الأدبار : حماة أعقاب الناس .
(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1922/3 ، النمارق : الوسائد الصغيرة ، الطارق : النجم ، الوامق : المحب .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 45/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 149/8 .
(4) نفسه : 111/3 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 119/3 ، البلابل : الأحزان .

وقد أسلمت هند يوم فتـح مكة (8هـ) بعد ما أسلـم زوجها أبو سفيان بن حرب ، فأقرّهما رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) على نكاحهما ، وقد خفـت صوت هند الشعري بعد إسلامها[1] .

14 ـ صفية بنت مسافر :

هي صفية بنت مسافر بن ابي عمرو بن امية بن عبد شمس[2] ، مـن الشواعر القليلات اللائي بكيْن قتلى قريش ، خاصة يوم بدر اين ((هزّتـــــها المصيبة ، ورأت أن قومها يتساقطون في بدر ، وتحز أعناقهم ، ويطرحون فـي القليب أو يوارون بتراب يثرب ، كما كان من أمر ابن عمها عقبة بن أبي معيـط بن أبي عمرو ، الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح صبرًا))[3] ، فقالت تبكيه وتبكي قتلى قريش وتتفجع عليهم[4] : [من البسيط]

1 ـ يَا مَنْ لِعَيْنٍ قدَاهَا عَائِرُ الرّمَـدِ حَدّ النّهَارِ وقرْنُ الشّمْسِ لمْ يَعُـدِ
2 ـ أَخْبِرْتُ أنّ سَرَاةَ الأكْرَمِينَ مَعًا قدْ أحْرَزَتْهُم مَنَاياهُـم إلى أمَدِ
3 ـ وفَرّ بالقَوْمِ أصحَابُ الرّكَابِ ولَمْ تَعْطِـفْ غَدَاتَئِذٍ أمّ على وَلَدِ
4 ـ قُومِي صَفِيّ و لا تنْسَيْ قرَابَتَهُم وإنْ بَكَيْتِ فمَا تَبْكِيْنَ منْ بُعُدِ
5 ـ كَانُوا سُقوبَ سَمَاءِ البَيْتِ فانْقصفَتْ فأصْبَحَ السّمْكُ مِنْها غيْرَ ذِي عَمَدِ

إنها تذكر حزنها على سراة قومها ، وكيف كانوا في المعركة ، حيث لم تستطـع أمّ أن تحن على ولدها ، لهول ما أصاب القـوم . ثم تبين منزلتهم في القبيلة ، فتقول انهم عمودها وعمادها ، فلما قتلوا فقدت البيت عِزّها وسؤددها[5] .

---

(1) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 197 ـ 203 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 325/2 .
(3) يحي الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ص 177 .
(4) إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 359 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 325/2 ، القذى : ما يقع في العين من الأذى ،العائر : وجع في العين ، سقوب : عمد الخباء .
(5) عفت وصال حمزة : شعر النساء زمن (الرسول صلى الله عليه وسلم) ، ص 66 .

وتتابع صفية بكاءها في قصيدة اخرى ، فتقول[1] : [من الهزج]

1 ـ آلا يَا منْ لِعَيْنٍ للتَّـــ ـــبَكِّي دَمْعُهَـا قَانِ
2 ـ كَغَرْبَيْ دَالِجٍ يَسْقِي خِلالَ الغَيْثِ الـدّانِ
3 ـ ومَا لَيْثُ غَرِيفٍ ذُو أَظَافِيرٍ و أَسْنَـ ـانِ
4 ـ ابُو شِبْلَيْـن وَثّابِ شَدِيدُ البَطْشِ غَرْثَانِ

15 ـ قتيلة بنت النضر :

هي قتيلة بنت النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي القرشية[2].

كانت حازمة ذات رأي وجمال ، وكان ابوها النضر مُعاديّا لرسـول الله (صلى الله عليه وسلم) ويتاذى به[3] ، فامر علي بن ابي طالب فقتله[4] . فقالت قتيلة في قصيدة ترثيه وتعاتب الرسول (ص) على قتله[5] : [من الكامل]

1 ـ يَا رَاكِبًا إنّ الأثِيلَ مَظنّـ ـةٌ منْ صُبْحِ خامِسَةٍ وأنتَ مُوَفّقُ
2 ـ ابْلِغ بهَا مَيْتً بأنّ تَحِيّـ ـ ـةً مَا إنْ تَزَالُ بهَا النّجَائِبُ تَخْفِقُ
3 ـ مِنِّي إلَيْكَ وعَبْرَةً مَسْفُوحَـ ـةً جَادَتْ بواكِفِها وأخْرَى تَخْنِقُ
4 ـ هَلْ يَسْمَعُنِي النّضرُ إنْ نَادَيْتُهُ أمْ كَيْفَ يَسْمَعُ مَيِّتٌ لا يَنْطِقُ
5 ـ أمُحَمَّدُ يَا خَيْرَ ضِنءٍ كَرِيمَةٍ فِي قومِهَا والفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ
6 ـ ما كَانَ ضَرّكَ لَوْ مَنَنْتَ ورُبَّمَا مَنَّ الفَتَى وهُوَ المَغِيظُ المُحْنَقُ
7 ـ أوْ كُنْتَ قَابِلَ فَدْيَةٍ فَلْيُنْفِقْـنَ بأعَزّ مَا يغْلُو بهِ مَا يُنْفَقُ
8 ـ فالنّضرُ أقرَبُ مَنْ أسَرْتَ قرَابَةً وأحَقّهُم إنْ كَانَ عتْقٌ يُعْتَقُ

---

(1) إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة ، ص 360 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 326/2 ، الغرب : الدلو العظيمة ، الدالج : الساقي ، الغريف : أجمة الأسد (موضعه) ، الغرثان : الجوعان .

(2) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1904/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 80/8 ؛ أما في سيرة ابن هشام : 227/2 ، فهي قتيلة بنت الحارث أخت النضر بن الحارث .

(3) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 159 .

(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 243/2 .

(5) إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة ، ص 328 ـ 330 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 327/2 ، الأثيل : موضع قرب المدينة ، واكفا : سائلا ، الضّنءُ : الأصيل ، المعرق : الكريم .

قال ابن هشام : ((فيقال ــ والله أعلم ــ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بلغه هذا الشعر قال : " لو بلغني هذا قبل قتله لمننت عليه "))[1] .

ب) شعراء الطائف :

إلى جانب شعراء المعارضة في مكة ، وقف بعض جيرانهم من شعراء الطائف ، يناهضون الإسلام ، ويثيرون قومهم ويحمسونهم بالقول للوقوف في وجه الدعوة الإسلامية ، وكان اشهر هؤلاء الشعراء : أمية بن أبي الصلت وابي محجن الثقفي .

1 ـ أميّة بن أبي الصّلت :

دخل المعركة بين المسلمين والمشركين مجموعة من الشعراء الذين لم يكونوا من مكة ولا يثرب ، ومن هؤلاء أمية بن أبي الصلت بن ربيعة الثقفي ، أحد أشهر شعراء المعارضة وفرسانها ، كان يتوقع ظهور رسـول بين العرب ، وتمنى أن يكونه ، وينـزل عليه الوحـي ، فلما نزل على محمد (ص) حقـد عليـه وعلى المسلمين ، وراح يحرّض قريشا على حربهم ، ورثى قريشا بقصائد تفيض حقدا وانفعالا ضد المسلمين ، حتى قيل : أن الرسول (ص) نهى عن روايتها[2] .

ومن أمثلة ذلك في شعـره ، قوله وقد تحركت شهوته لرثاء قتلى بدر ، وهو في هذا الرثـاء يبكي نفسـه التي قتلت يوم مبعث الرسـول عليه السـلام[3] ، فيقول[4] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ ألا بَكَيْتَ عَلَى الكِرا م بَنِي الكِرَام أولِي المَمَادِح
2 ـ كَبُكَا الحَمَام على فُرُو ع الأيْكِ فِي الغصْنِ الجَوَانِح

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 327/2 .
(2) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 31 .
(3) النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة ، ص 219 .
(4) أمية بن أبي الصلت : الديوان ، جمع وتحقيق ودراسة : عبد الحفيظ السطلي ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، سوريا ، ط 3 ، ص 345 ، 346 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 317/2 ، الممادح : ما يمدحون به ، الايك : الشجر الكثيف ، الجوانح : الموائل ، حرّى : حزينة محرقة القلب ، مستكينات : خاضعات ، المعولات : النساء اللائي يرفعن أصواتهن بالبكاء والصياح .

3 ـ يَبْكَيْنَ حَرّى مُسْتَكِيــ نَاتٍ يَرُحْنَ معَ الرَّوَائِح
4 ـ اَمْثالُهُنّ البَاكِيَّـــــا تُ المُعْوِلاتُ منَ النَّوائِح

إلى اَن يقول داعيا إلى الانتقام لقتلى بدر من المشركين[1] :

5 ـ لِلهِ دَرّ بَنِي عَلِـ ـ ـ ـيٍّ اَيَّـم منْهُم ونَاكِـــ ـ ـ ـح
6 ـ إنْ لم يُغِيرُوا غـ ـ ـ ـارَةً شَعْوَاءَ تُجْحِرُ كُلّ نَابـح
7 ـ بالمُقرَّبَـ ـ ـ ـاتِ المُبْعِدَا تِ ، الطامِحَاتِ معَ الطوَامِح
8 ـ مُرْدًا على جُرْدٍ إلـ ـ ـ ـى اَسَدٍ مُكَالِبَةٍ كَوَالِـــــح
9 ـ ويُلاق قِرْنٌ قِرْنَـ ـ ـ ـهُ مَشْيَ المُصافِحِ للمُصافِـــح
10 ـ بزُهَاءِ اَلْـ ـ ـفٍ ثمّ اَلْـ فٍ بيْنَ ذِي بَدَنٍ ورَامِـح

وقال في قصيدة اَخرى يبكي زَمعة بن الاَسود ، وقتلى بني اَسد[2] :
[من الخفيف]

1 ـ عَيْنُ بَكّي بالمُسْبِلاتِ اَبا الحَا رِثِ لا تَذخَري على زَمْعَه
2 ـ وعَقِيلَ بنَ اَسْوَدَ اَسَدَ البَاَ سِ لِيَوْمِ الهياجَ و الدَّفْعَه
3 ـ فعَلى مِثلِ هَلْكِهِم خَوَتْ الجَوْ زَاءُ لا خَانَةٌ ولا خَدَعَه
4 ـ وهُم الاَسْرَةُ الوَسِيطة منْ كَعْـ بٍ وفِيهم كَذِرْوَةِ القَمَعَه

إلى اَن يقول مادحا بني اَسد ، مبرزا خصالهم :

5 ـ فبَنُو عَمِّهم إذا حَضَرَ البَاَ سُ عُلَيْهِم اَكْبَادُهُم وجَعَه
6 ـ وهُمُ المُطعِمُونَ إذا قَحَط القَط رُ وحَالَتْ فلا تَرَى قَزَعَه

(1) أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 350 ، 351 ، ابن هشام : السيرة النبوية : 319/2 ، تُجحر : تلجأ إلى جحر ، المقرّبات : الكريمة التي تكون قرب البيوت اهتماما بها ، المبعدات : التي تبعد في جريها ، الطامحات : التي ترفع رؤوسها .
(2) نفسه ، ص 417 ، 418 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 320/2 ، المسبلات : الدموع السائلة ، تذخري : تدخري ، القزعة : القطعة من السحاب المتفرق .

2 ـ أبو محجن الثقفي :

هو أبو محجن بن حبيب بن عمير الثقفي[1] ، شاعر ثقيف الثاني في الطائف الذي أبى إلا أن يكون إلى جانب المشركين في معارضتهم للدعوة الإسلامية ، وهو شاعر شريف[2] ، ((مقل ، وأغراض شعره تدور حول الخمر في الأغلب ، وله أشياء تُستْجاد في المدح والفخر والحماسة))[3] . وهو كما قال عنه جواد علي : ((من الشعراء المطبوعين ، وكان كريما منهمكا في الشراب لا يكاد يقلع عنه))[4] .

من شعره في محاربة المسلمين، قوله في محاصرة المسلمين للطائف(8هـ) ، واستعمال الرسـول (صلى الله عليه وسلم) لمالك بن عوف في تضيـيق الخناق على أبي محجن وقومه[5] : [من المديد]

1 ـ هَابَتِ الاعْدَاءُ جَانِبَنَا ثمّ تَغْزُونَا بَنُو سَلَمَهْ
2 ـ وأتَانَا مَالِكٌ بِهِمْ نَاقِضًا للعَهْدِ و الحُرْمَهْ
3 ـ وأتَوْنَا فِي مَنَازِلِنَا ولَقـدْ كُنَّا أُولِي نَقِمَهْ

وفد أبو محجن مع قومه على الرسـول (صلى الله عليه وسلم) سنة تِسـع للهجرة ، وأسلموا كغيرهم من الوفود ، إلا أبا محجن استمر على عادته الجاهليـة في شرب الخمـر ، وحدّه عمر بن الخطـاب مرارا إلا أنه لم يكف عنـها إلا في معركة القادسية ، والملاحظ أن أبا محجن لم يشارك بشعره في المعارك التي قامت بين المسلمين والمشركين باستثناء هذه الأبيات ، بل أن ((كل ما لديه من شعـر في المساس بالإسلام ، هو الشعر المتعلق بالخمر لا غير))[6] .

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 107/4 .
(2) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 268/1 .
(3) عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم من الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) : 294/1 .
(4) جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، منشورات جامعة بغداد ، العراق ، ط 1 : 1413 ه/1993 م : 765/9 .
(5) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 208/6 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 107/4 .
(6) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 191 .

3 ـ كنانة بن عبد ياليل :

ثالث شعراء الطائف ، الذين كان لهم ذكر وأثر في الإسـلام ، هو كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير بن عوف ، ابن عم الشاعـر أبي محجن الثقفي[1] ، كان شديدا على المسلمين ، لمع اسمه في غزوة حنين (8هـ) ،حيث جاءت ثقيف ، وعليها كنانة بن عبد ياليل لتقاتل المسلمين ، وتنصر هوازن[2] .

من شعره في محاربة المسلمين ، قوله مجيبا كعب بن مالك يوم الطائف[3] :
[من الكامل]

1 ـ مَنْ كَانَ يبْغِينَا يُرِيـدُ قِتَالَنَـا فإنّا بِدَارِ مَعْلَـمٍ لا نَرِيمُهَـا
2 ـ وَجَدْنَا بِهَا الآبَاءَ منْ قبْلِ مَا تَرَى وكَانَتْ لَنَا أَطوَاؤُهَا وكُرُومُهَا
3 ـ وقَدْ جَرَّبَتْنَا قبْلُ عَمْرو بنُ عَامِرٍ فأَخْبَرَهَا ذُو رَأيـهَا وحَلِيمُهَا
4 ـ وقدْ عَلِمَتْ إنْ قالت الحَقّ أنَّنَا إذا مَا أَبَتْ صُعْرُ الخُدُودِ نُقِيمُهَا
5 ـ نُقوِّمُهَا حتّى يَلِينَ شَرِيسُهَـا ويُعْرَفَ للحَقِّ المُبِينِ ظُلُومُهَا
6 ـ عَلَيْنَا دِلاصٌ منْ تُرَاثٍ مُحَرَّقٍ كلوْنِ السّمَاءِ زَيّنَتْهَا نُجُومُهَا
7 ـ نُرَقّقُهَا عنّا ببيـضٍ صَوَارِمٍ إذا جُرِّدَتْ فِي غَمْرَةٍ لا نَشِيمُهَا

وقد اكد يحي الجبوري على أن هؤلاء الشعراء الثلاثة : أمية بن أبي الصلت، وأبي محجن الثقفي ، وكنانة بن عبد ياليل ، ((يمثلون جانبا من شعـر المعارضة في الطائف . وشعرهم وإن كان قليلا ، وأثره الديني غير واضح ، إلا أنه لا يصح أن يهمل فهو يمثل جانبا من هذا الشعر المعارض))[4] .

---

(1) السيـد محمد ديـب : شعـراء الطـائـف في الجاهلـية والإسـلام ، دار الطباعـة المحمديـة ، القاهـرة ، مصـر ، ط 1 : 1410 هـ / 1989 م ، ص 72 . ابن هشام : السيرة النبوية : 97/4 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 191 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 94/4 ، لا نريمها : لا نبرح منها الابار ، صعر خده : أماله دلالة على التكبر ، الدّلاص : الدروع اللينة ، محرق : أول من حرق من العرب (عمر بن عامر) ، لا نشيمها : لا نغمدها .
(4) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 192 .

ج) شعراء اليهود :

سلك اليهود مسلك شعراء الطائف في مناصرة المشركين ، ومناهضة الإسـلام من المدينة المنورة ، متناسين أنهـم أصحاب ديـن وتوحيـد ، وأنهم الأولى بنصرة الإسـلام من غيرهم . وقد برز منهم شعراء عديدون ، أبرزهم كعب بن الأشرف .

1 ـ كعب بن الأشرف :

من شعراء اليهود وفرسانها الذين دخلوا المعركة إلى جانب قريش، حتى أنه كان شديد العداوة لله ورسوله (صلى الله عليه وسلم)[1] ، فبالرغم من كونه بعيد الصلة عن قريـش في مكة ، إلا أن ((حب العداوة للرسول (ص) و الرغبة في التشهير به دفعـه إلى التحريض ضده في صورة استمالة قريش له برثاء قتلاهم في معركة بدر))[2] ، فها هو يهرع إلى مكة بعد وقعة بدر(2هـ)، مستغلا إحساس قريش بمصابها الفادح في بدر؛ليزيد من التهاب مشاعر الحقد والكره عند القرشيين لمحمد وأتباعه ، بتحريض سافـر على قتالهم ، وإنقاذ المدينـة منهم ، خاصة وقد جاءت الأنباء إلى المدينة بأن الحارث بن هشام بن المغيرة يجمع الجموع ، ويعـدّ العدة لحرب أخرى ضد المسلمين[3] ، وفي ذلك يقول[4] : [من الكامل]

1 ـ نُبِّئتُ أنّ بَنِي المُغِيرَةِ كُلّهُم خَشعُوا لِقَتْلِ أبي الحَكِيمِ وجُدِّعُـوا
2 ـ وابْنَا رَبِيعَةَ عِنْدَهُ ومُنَبِّهٌ مَا نَالَ مِثْلَ المُهْلِكِينَ وتُبّـعُ
3 ـ نُبِّئتُ أنّ الحَارِث بنَ هِشامهم فِي النَّاس يَبْنِي الصّالِحَاتِ ويَجْمَعُ
4 ـ لِيَزُورَ يَثْرِبَ بالجُمُوعِ وإنّمَا يَحْمَى على الحُسَبِ الكَرِيمُ الارْوَعُ

ولم يكتف كعب بالتآمر على الرسول (صلى الله عليه وسلم) ومعاداته بل تجاوزها إلى هجائه وذكر نساء المسلمين والتشبيب بهن ، حتى وصل به القبح إلى

(1) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 282/1 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 8/3 ، 9 .
(2) عبد الرحمن إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة ، ص 276 .
(3) النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة ، ص 234 .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 9/3 ، 10 ، الجدع : قطع الأنف والأذن وقطع اليد والشفة ، الأروع : من يبهر حسنه .

التشبيب بأمّ الفضل بنت الحارث رضي الله عنها ، بعد عودته إلى المدينـة ، وفي ذلك يقول عدو الله[1] : [من البسيط]

1 ـ أرَاحِلٌ أنْتَ لمْ تَحْلُلْ بمَنْقبـَـةٍ وتَارِكٌ أنتَ أمّ الفَضل فِي الحَرَمِ؟!
2 ـ صَفْرَاءُ رَادِعَةٌ لوْ تُعْصَر انْعَصَرَتْ منْ ذِي القَوَارِيرَ والحِنَّا و الكَتَمِ
3 ـ يَرْتَجّ مَا بيْنَ كَعْبَيْهَا و مرْفِقِهَا إذا تَأنّتْ قِيَامًا ثمّ لمْ تَقـ ـ ـم
4 ـ أشبَاهُ أمِّ حَكِيـ ـم إذْ تُواصِلُنـَا والحَبْلُ مِنْهَا مَتِينٌ غيْرُ مُنْجَذِمِ
5 ـ إحْدَى بَنِي عَامِرٍ جُنّ الفُؤادُ بها ولو تَشَاءُ شفَتْ كَعْبًا منَ السّقَمِ
6 ـ فَرْعُ النّسَاءِ و فَرْعُ القَوْمِ والِدُهَا أهْلُ التحِلّةِ و الإيفَاءِ بالذّمَـ ـم
7 ـ لمْ أرَ شمْسًا بلَيْلٍ قبْلَهَا طلعَتْ حتّى تَجَلّتْ لنَا في لَيْلَةِ الظّلَـم

وهذا الشعر يكشف عن عداوة دفينة للإسلام والمسلمين ، وقد جسدها كعب هجاءً وإقذاعا ، لذا حرصت الرواية الإسلامية على تجاهل رواية هذا الشعر ، وكل ما قيل من هذا الضرب قد طمس ، ولم تبق إلا الإشارة إليه ووصفه ، وما بقي من شعر في هذا المنوال في الصراع بين مكة والمدينة ، إنما هو مما لا يمس العرض أو الدين ، إلا بعض الأبيات النادرة التي انفردت بها بعض كتب التاريخ مثل أبيات كعب السابقة الذكر .

ولهجاء كعب المسلمين وتشبيبه بنسائهم أمر الرسول (ص) بقتله ، فاجتمع في قتله محمد بن سلمة ، وعصبة من الأنصار[2] .

2 ـ سماك اليهودي :

ومن شعراء اليهود الذين يلتقون مع قريش في عدائهم للإسـلام والمسلمين ، سماك اليهودي ، وقد رفع راية العدوان ضد المسلمين ، وساهم في التحريض على حربهم ، وفي البكاء على قتلى المشركين ، والرد على شعراء المسلمين ، فها هو

(1) ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 م : 1000/1 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 13/3 .

يجيب علي بن أبي طالب في ذكره إجلاء بني النضير (4هـ) ، و قتل كعـب ابن الأشرف ، متوعدا المسلميـن ، ومهددا بيـوم عليهم ، وبغارة فيها أبو سفيان بن حرب ، الذي سيقاتل بحزم وشدة و عنف ، ويثبت في الحرب ثبات الأسود[1] ، يقول[2] : [من المتقارب]

1 ـ إنْ تفْرَحُوا فهُوّ فَخْرٌ لكُم بمَقتَلِ كَعْـبٍ أبي الأشرَفِ
2 ـ غَدَاةَ غَدَوْتُم عَلى حَتْفِهِ ولَم يَأتِ غَدِرًا ولَم يُخْلَـفِ
3 ـ فَعَلَّ اللّيَالِي وصَرْفَ الدَّهُور يُدِيلُ منَ العَادِلِ المُنْصِـفِ
4 ـ بِقَتْلِ النّضِرِ و أحْلافِهَا وعَقرِ النّخِيلِ ولمْ تُقطـفِ
5 ـ فإنْ لا أمُتْ نَأتِكُم بالقَنَا وكُلّ حُسَام معًا مُرْهَـفِ
6 ـ بكَفٍّ كميٍّ بِهِ يحْتَمِي متَى يَلْـقَ قِرْنًا لهُ يُتلِفِ
7 ـ معَ القوْمِ صَخْرٌ وأشيَاعُهُ إذا غاوَرَ القـوْمَ لمْ يَضعَفِ
8 ـ كليْثٍ بِتَرْجٍ حَمَى غَيلَهُ أخِي غابَـةٍ هَاصِرٍ أجْوَفِ

ويجيب كعب بن مالك لقصيدته في الواقعة نفسها ، فيبكي كعب بن الأشرف وأصحابه ، ويذكر قتلى بني النضير ، وما حل بالقوم من بلاء ، فيقول[3] : [من الوافر]

1 ـ أرقتُ وضَافَنِي هَمّ كَبيرٌ بلَيْلٍ غيْرُهُ لَيْلٌ قصِيرُ
2 ـ أرَى الأحْبَارَ تُنْكِرُهُ جَميعًا وكُلّهُم لَهُ عِلْمٌ خَبيرُ
3 ـ وكانُوا الدّارسينّ لِكُلِّ عِلْمٍ بِهِ التّوْرَاةُ تَنْطِق والزّبُورُ
4 ـ قتلْتُم سَيِّد الاحْبَارِ كَعْبًا وقِدْمًا كَانَ يَأمَنُ منْ يُجِيرُ
5 ـ تَدَلّى نَحْوَ مَحْمُودٍ أخيه ومحمودٌ سَرِيرَتُهُ الفُجُورَ

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 200 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 135/3 ، 136 ، الحسام المرهف : السيف القاطع ، العادل المنصف : أراد محمد (صلى الله عليه وسلم) ، متهكما عليه لعنة الله ، الكمي : الشجاع ، القرن : المقاوم في القتال ، ترج : جبل بالحجاز ، الغيل : أجمة الأسد .
(3) نفسه : 137/3 ، ضافني : نزل بي ، نجيع : طري ، مدارع : ملابس من صوف ، العبير : الأخلاط من الطيب ، صخر : يقصد أبا سفيان بن حرب .

6 ـ فغَادَرَهُ كَأَنّ دَمًا نجيعًا يَسِيلُ على مَدَارِعِه عَبيرُ
7 ـ فَقِدَ وابيكُم وابي جمِيعًا اَصِيبَتْ إذْ اَصيبَ به النّضيرُ

إلى ان يقول :

8 ـ كَمَا لاقَيتُم منْ بَأسِ صَخرٍ بأَحُدٍ حيثُ ليْسَ لكُم نَصِيرُ

3 ـ جَبَلُ بن جوّال الثعلبي :

ومن شعـراء اليهـود جَبل بن جوّال الثعلبي ، الذي آلمه ما صارت إليه الحرب بين محمد (صلى الله عليه وسلم) وقريـش ، فانتصر للفئـة الضالة على حساب أهل الدعوة ، ومن شعره أبياتا تَمَثّل بها قول حُيَيْ بن أخطب لرسـول الله (صلى الله عليه وسلم) : " أما والله ما لمت نفسي في عداوتـك ، ولكنه من يخذل الله يخذل " ، ومدعيا أن هذه المعركة بين الإسلام وقريش كتبها الله على بني إسرائيل ، حتى ضربت عنقه ، فقال جبل بن جوال في ذلك المعنى[1] :
[من الطويل]

1 ـ لعَمْرُكَ مَا لام ابنَ أخطبَ نفْسَهُ ولكِنَّهُ منْ يَخْـذِلِ اللهَ يُخذلِ
2 ـ لجَاهَد حتّى أبْلغ النَّفسَ عُذرَهَا وقلْقَلَ يَبْغِي العِـزَّ كُلّ مُقلْقَلِ

وكان حسان بن ثابت قد قال شعرا في بني قريظة ، فأجابه جبل بن جوال باكيًا بني النضير وقريظة ، ولائما ومعاتبا سعد بن معاذ لحكمه في بني قريظة ، يقول[2] : [من الطويل]

1 ـ ألا يَا سَعْدُ سَعْدُ بَنِي مُعَاذِ لمَا لَقِيّت قرَيظة والنَّضيرُ
2 ـ لعَمْرُكَ إنّ سَعْدَ بني مُعَاذٍ غَدَاةَ تَحَمّلُوا لَهُوّ الصّبُورُ

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 202 ، 203 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 199/3 .

3 ـ فأمّا الخَزْرَجِيّ ابُو حُبَابٍ فقَالَ لِقِيْنُقاعَ لا تَسِيرُوا
4 ـ وبُدِّلتِ المَوَالِي مِنْ حُضيْرٍ اسَيْدًا والدّوائِرُ قدْ تَدُورُ

إلى ان يقول ، يهجو الانصار و يستهزىء بهم :

5 ـ واقِيمُوا يَا سَرَاةَ الاوْسِ فِيها كأنّكُم منَ المَخْزَاةِ عُورُ
6 ـ تَرَكْتُمْ قِدْرَكُم لا شَيءَ فِيهَا وقِدْرُ القوْمِ حَامِيَّةٌ تَفُورُ

من خلال هذا العرض لاشعار المشركين يتبين لنا القدر الهائل من الشعر الذي لم يصل إلينا تحرّجا من روايته ، لما فيه من سبّ للرسول (صلى الله عليه وسلم) والمسلمين والدين الإسلامي الحنيف ، أضف إلى ذلك وقوف الخلفاء الراشدين موقفا حازما إزاء الشعر الذي قيل ايام الصراع مع المشركين ، لان روايته تثير الحزازة في النفوس بإثارة ما كمن من أحقاد وثأر لقتلى الطرفين ، وتداول أي شعر من هذا النوع سيؤدي حتما إلى خلافات عفا عليها الإسلام .

هذا وقد حاولت قدر الإمكان إبراز أهم شعراء وشواعر المعارضة ، خاصة من عرف منهم بكثرة شعره وجودته ، دون أن أغفل بعض الشعراء المقلين أو المغمورين ، الذين دفعتني روعة أبياتهم وقدرتها الساحرة على التأثير في نفوس المشركين لإيراد البعض منها .

كما أنني لن أقتصر على هذه المجموعة من الشعراء فحسب ، بل سأحاول قدر الإمكان إدراج عدد اخر منهم في طيات هذا البحث حتى يتسنى لنا تحري حقيقة هذا الشعر الذي غيّبَه الدارسون في أبحاثهم .

1) مضامين شعر المعارضة وأغراضه :

من يستعرض موضوعات شعر المعارضة يجدها لا تخرج في أغلبها على ما كان سائدا ومتداولا من موضوعات شعريـة في العصر الجاهلي ، إذ بقيت هذه الموضوعات تفوز بحـظ وافر من اهتمام الشعـراء الذيـن ظلوا يتناولونها بالأسلوب التقليدي المحافظ على المعاني المأثورة ، والمباني المعروفة ، واشتمال القصيـدة الواحدة على موضوعات متعددة ، وسنحاول أن نعرض هنا لأهم هذه الموضوعات .

أ ـ التحريض على قتال المسلمين :

ومما انطلقت به ألسنة شعراء المشركين (المعارضة) في التحريض على قتال المسلمين[1] ، قول أمية بن أبي الصلت[2] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ للهِ دَرّ بَنِي عَـ ـــلـيٍّ أيّم منْهُم ونَاكِحْ
2 ـ إنْ لَمْ يُغِيرُوا غَارَةً شعْوَاءَ تُجْحِر كُلّ نَابِحْ

إلى أن يقول :

3 ـ ويُلاق قرنٌ قرنَه مشْيَ المُصافِح للمُصَافِحْ
4 ـ بزُهاءِ ألْفٍ ثم ألـ ـــفٍ بيْن ذِي بَدنٍ ورَامِحْ

وهذا أبو سفيـان بن حرب يحرّض قريـشا يـوم السّـويق* (2هـ) ، فيقول[3] : [من البسيط]

1 ـ كُرّوا على يثْرِبَ و جَمْعِهم فإنّ مَا جَمّعُوا لكُم نَفَلُ
2 ـ إنْ يَكُ يَوْم القلِيبِ كَانَ لهُم فإنّ مَا بَعْدَهُ لكُم دُوَلُ

---

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 233 ، 234 .

(2) أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 350 ، 351 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 319/2 ، ويوم القليب : يوم بدر ، وسمي كذلك لأن الرسول (ص) ، رمى بقتلى المشركين في القليب ، والقليب : البئر القديمة .

- السويق : شعير او حنطة تحمص وتطحن ثم تمزج بعسل وسمن ، وهي أكثر ما طرح المشركون من أزوادهم في هذه اليوم ، يتخففون منها للنجاء من المسلمين ، وقد هجم المسلمون على سويق كثيرة ، فسميت هذه الغزوة ، بغزوة السويق .

(3) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 2274/5 ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 140/2 .

وهذه هنـد بنت عتبـة يوم أحـد (3هـ) تُحرض جنـود المشركيـن ، فتقول[1] : [من الرجز]

1 ـ إيهًا بَنِي عبْدِ الدَّارْ
2 ـ إيهًا حُمَاةَ الأَدْبَارْ
3 ـ ضَرْبًا بكُلِّ بَتَّارْ

ب ـ الهجاء :

واكثر شعـر المعارضة في هجاء المسلمين ، والرد على شعرائهم ، ومن ذلك ، قول عبد الله بن الزبعرى يهجو مُوهب بن ريّاح (أبو أنيس) لما قاله في سهيل بن عمرو[2] : [من الوافر]

1 ـ وأمْسَى مُوهِبٌ كحِمَارِ سَوْءٍ اَجَازَ ببَلْدَةٍ فِيهَـا يُنَادِي
2 ـ فإنَّ العَبْدَ مِثْلكَ لا يُنَاوِي سُهَيْلا ضلَّ سَعْيُكَ منْ تُعَادِي
3 ـ فأقْصِرْ يَا ابنَ قَيْنِ السَّوءِ عنْهُ وعدٍّ عَن المَقالةِ فِي البِلادِ

وهذه عَصمَاء بنت مروان تَعِيبُ الإسلام وأهلهُ بعد أن قُتل أبُو عَفَّك ، فتقول[3] : [من المتقارب]

1 ـ باسْتِ بَنِي مالِكٍ و النَّبيت وعَوْفٍ وباسْتِ بَنِي الخَزْرَج
2 ـ أطعْتُم أتَوِيَّ منْ غَيْرِكُم فلا منْ مُرَادٍ ولا مَذحَـــج

وقد تميز هجاء المشركين بغلبة الارتجال ، والارتجاز ، والمبادهة مع قليل من الجزالة وكثير من الرّكاكة والسهولة في التعبير[4] .

---

(1) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 5207/11 ؛ ابن هشام : السيـرة النبوية : 24/3 ؛ إبراهيـم النعانعة : شعـر بني كنانة ، ص 386 .
(2) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 33 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 233/4 ؛ التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 134 ، باسْتِ : بئستْ ، الأتاوي : الغريب.
(4) إليا الحاوي : فن الهجاء وتطوره عند العرب ، دار الثقافة ، بيروت ، ص 87 .

ج ـ الفخر والحماسة :

وقد تنوع فخر شعراء المعارضة بين فخر ذاتي ، وفخر قبلي قومي ، ومن الفخر الذاتي ، قول أنس بن عبّاس السّلمي في قتله نافعَ بن بُديل[1] :

[من الطويل]

1 ـ تَرَكْتُ ابْنَ وَرْقاءَ الخُزَاعِي ثاوِيًّا بِمُعْتَرَكِ تَسْفِي عَلَيْهِ الأَعَاصِرُ
2 ـ ذكَرْتُ اَبَا الرّيّانِ لمّا رَاَيْتُهُ وايْقنْتُ انّي عِنْدَ ذلِك ثائِرُ

ومنه قول مرحب اليهودي يوم خيبر(7هـ) ، حينما خرج من حصنه وهو يرتجز ، ويقول[2] : [من الرجز]

1 ـ قَدْ عَلِمَتْ خَيْبَرْ انّي مَرْحَبْ شَاكِي السِّلاح بَطَلٌ مُجَرَّبْ
2 ـ اَطعَنُ اَحْيَانًا وحِينًا اَضْرِبْ إذا اللّيُوث اَقبَلَتْ تَلَهَّبْ
3 ــ كَانَ حِمَايَ كالحِمَى لا يُقرَبْ

اما الفخر القبلي القومـي ، فيمثله قول عَمرو بن العَاص يوم أحد (3هـ) مفتخرا بجيش المشركين[3] : [من الطويل]

1 ـ خَرَجْنَا منَ الفَيْفَا عَلَيْهِم كَأَنَّنَا مَعَ الصّبْحِ منْ رَضْوَى الحَبيكِ المُنَطّق
2 ـ تَمَنّتْ بَنُو النّجّارِ جَهْلا لِقاءَنَا لدَى جَنْبِ صَلْع و الامَانِيّ تَصْدُقُ

ومنه قـول الزّبَرقانُ بن بَدْر مفاخرا بقومـه ، يوم وفـدوا على النبـي (صلى الله عليه وسلم)[4] : [من البسيط]

1 ـ نَحْنُ الكِرَامُ فلا حَيّ يُعَادِلُنَا مِنّا المُلُوكُ وفِينَا تُنْصبُ البِيّعُ

---

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 127/3 ، ثاويا : مقيما ، المعترك : الموضع الضيق في الحرب ، الأعاصر: الرياح ذات الغبار ، ثائر : آخذ بثأري .
(2) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 218/2 ؛ وفي سيرة ابن هشام : 253/3 " أقبلت تحرّب " بدل " أقبلت تلهّب " و " إن حِمايَ " بدل " كان حماي " .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 91/3 ، رضوى : جبل بالمدينة .
(4) نفسه : 168/4 ؛ ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 347/4 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 561/2 ، البيّع : أماكن العبادة ، القزع : السحاب الرقيق ، هويا : سراعًا .

2 ـ وكَمْ قسَرْنَا منَ الاحْيَاءِ كُلِّهِمُ عِنْدَ النِّهَابِ وفضْلُ العِزِّ يُتَّبَعُ
3 ـ ونَحْنُ يُطعِمُ عِنْد القحْطِ مُطعِمُنَا مِنَ الشِّوَاءِ إذا لمْ يُؤْنَس القزَعُ
4 ـ بمَا تَرى النَّاسَ تَأْتِينَا سُرَاتُهُم من كُلِّ اَرْضٍ هُوِيًّا ثمَّ تَصْطَنِعُ

د ـ المدح :

وقد غلب على مدح شعراء المعارضة ، الصدق، النابع من إعجاب الشاعر بالممدوح وإكباره لشمائله وصفاته ، سواء أكان هذا الممدوح فردا أو جماعة ، عكس المـدح التكسّبـي الذي يبتغي الشاعـر من ورائه نيل الهبات والعطايا من الممدوح .

ومن مدح المعارضة الجيـد ، قـول ضرار بن الخطاب الفهري يمدح أم غيلان الدّوسيّة التي اجارته من قومها[1] : [من الطويل]

1 ـ جَزَى اللهُ عَنَّا اَمَّ غَيْـلانَ صَالِحًا ونِسْوَتَهَا إذْ هُنّ شُعْثٌ عَوَاطِلُ
2 ـ يُزحْزحْن عنّي المَوْتَ بعْدَ اقتِرَابِهِ وقدْ بَرزتْ للنّائِرِينَ مَقَاتِلُ

ومنه كذلك قول أبي سفيان بن حرب يمدح سيد بني النضير وصاحب كنزهم " سلام بن مِشْكم اليهودي " ، الذي اواه واطعمه ليلة خروجه لغزوة السّويق[2] : [من المتقارب]

1 ـ وإنِّي تَّخَيَّرْتُ المَدِينَةَ وَاحِدًا لِحِلْفٍ فلَمْ اَنْدَم و لَمْ اَتلوَّم
2 ـ سَقَانِي فَرَوَانِي كُمَيْتًا مُدَامَةً عَلى عَجَلٍ مَنِّي سَلامُ بنُ مِشْكَمِ

هـ ـ الرثاء :

وقد كثر الرثاء في هذه الفترة نظرا لطبيعـة الصراع العسكري والشعـري

(1) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 80 ؛ ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 252/1 ؛ ابن حجر: الإصابة : 485/3 ، مع اختلاف في الرواية ، وكانت دوس لم تسلم بعد ، إلا أنه كان بينها وبين قريش دم ، فأرادت أن تثأر له بقتل ضرار بن الخطاب ، الشعث : جمع شعثاء ، وهي التي تغير شعرها ، وتلبّد ، العواطل ، جمع عاطل ، وهي التي خلت من الحلي .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 3/4 ؛ إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة ، ص 353 .

بين المسلمين والمشركين ، إلا أنه اقتصر على رثاء الأشخاص الذيـن سقطوا في تلك المعارك ، كما تميز بمشاركة النساء الشاعرات في رثاء قتلى المشركين على غرار ما كان مع شاعرات المسلمين .

فهذه أخت مِقيَس بن صُبَابَة تبكيه بحرارة ، فتقول[1] : [من الطويل]

1 ـ لعَمْري لقدْ أخزَى نُمَيْلةُ رَهْطهُ وفَجَّعَ أطيَافَ الشَّتَاءِ بمِقيَس
2 ـ فللّهِ عَيْنَا منْ رَأى مِثْلَ مِقيَسٍ إذا النّفسَاءُ أصْبَحَتْ لمْ تُخرّس

وتبكي هندُ بنت عُتبة أصحاب القليب من المشركين ، يوم بدر (2هـ) ، فتقول[2] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ لِلّهِ عَيْنَا منْ رَأى هُلْكًا كهُلْكِ رِجَاليَهْ
2 ـ يَا رُبَّ بَاكٍ لِي غَدًا فِي النَّائِبَاتِ و بَاكِيّهْ
3 ـ كمْ غَادَرُوا يَوْمَ القَلِيـ ـب غَدَاةَ تِلْكَ الوَاعِيّهْ

كما يبكيهم كعب بن الأشرف ، فيقول[3] : [من الكامل]

1 ـ طحَنَتْ رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلِكِ اهْلِهِ ولِمِثْلِ بَدْرٍ تسْتَهِلّ وتَدْمَعُ
2 ـ قُتِلَتْ سَرَاة النَّاس حَوْلَ حيَاضِهم لا تَبْعدُوا إنّ المُلُوكَ تُصرّعُ

ويبكي عبد الله بن الزبعرى هو الآخر قتلى بدر ، فيقول[4] : [من الكامل]

1 ـ مَاذا عَلى بَدْرٍ ومَاذا حَوْلَهُ منْ فِئْيَةٍ بيض الوُجُوه كِرَام
2 ـ تَرَكُوا نُبيْهًا خلْفهُم ومُنبِّهًا وابْنَيْ رَبيعَة خيْرَ خصْم فِئَام

كما يبكي أبُو خِراش الهُذلي ابن عمّه زُهَير بن العُجْوة الهُذلي الذي قتله جَميل

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 39/4 ؛ محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 209 ، التخريس : نوع من الطعام يصنع للنفساء بعد أن تلد ، نُميلة : نُميلة بن عبد الله قاتل مقيس .
(2) عفت وصال حمزة شعر النساء زمن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، ص 64 ؛ محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 198 ، الواعية : الصراخ على الميت .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 9/3 .
(4) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 46 ، 47 ، وقد عدّد قتلى المشركين في باقي الأبيات واحدا واحدا .

ابن مَعْمَر [وهو غير جَميل بُثينة] يوم حنيـن (8هـ) وهو أسيـر مكبّـل ، فيقول[1] : [من الطويل]

1 ـ عَجَّفَ أضْيَافِي جَمِيلَ بنَ مَعْمَرٍ بذِي فَجَرٍ تَأوِي إلَيْهِ الأرَامِلُ
2 ـ طويلُ نِجَادِ السّيْفِ ليْسَ بجَيْدَرٍ إذا اهْتَزّ واسْتَرْخَتْ عَلَيْهِ الحَمَائِلُ

ونلاحظ في رثاء شعـراء المشركين بعض التميز خاصة عند الشواعـر ، فهذه أمّ كلثـوم بنتُ عبـد ود تبكي أخاها عَمْـرو الذي قتله علـي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في أبيات لا نستشفّ فيها حقدا على قاتله "علي بن أبي طالب"، بل أن الإعجاب به غلب على النّقمة عليه ، تقول[2] : [من البسيط]

1 ـ لو كانَ قاتِلَ عَمْرُو غيْر قاتلهِ لكُنْتُ أبْكِي عَلَيْهِ آخِرَ الأبَدِ
2 ـ لكِن قاتِلُهُ منْ لا يُعَابُ بهِ منْ كانَ يُدْعَى قدِيمًا بَيْضة البَلَدِ

إلى أن تقول :

3 ـ يَا أمّ كُلْثومَ ابكيه ولا تَدَعِي بُكَاءَ معولة حرّى عَلى وَلَدِ

و ـ الاعتذار :

وقد اتسم الاعتذار لدى شعراء المعارضة بانقسامه إلى صورتين رئيسَتيْن ؛ أولهما ما رسمه الشعراء بين أيدي المشركين ، فهذا الحارث بن هشام يعتذر للمشركين بعد فراره يوم بدر، زاعمًا أنّه حارب حتى تخضّب جواده بدماء الخصوم ، ورأى أحبّته يُؤسرون وينحرون ، فأدرك حينئذ أنّه إن قتل واحدا من المسلمين فهو مقتول دونه ، وأنه إن أوجعهم بضربة أوجعوه بضربات أوجع وأنجع ، ولهذا كله أثر الفرار كي لا يمكّن أعداءه من نفسه ، فتُعيّرَ به قريش ، يقول[3] : [من البسيط]

1 ـ اللهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُـ ـم حتّى رَمَوْا فَرَسِي بأشْقَرَ مُزْبِدِ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 91/4 ، الجدير : القصير .
(2) جورج غريب : شاعرات العرب ، ص 247 .
(3) ابن عبد البر : الاستيعاب : 301/1 ، 302 ، أشقر : دم .

2 ـ ووَجَدْتُ رِيحَ المَوْتِ منْ تِلْقائهم فِي مَازِق والخَيْلُ لمْ تَتَبَدّدِ
3 ـ فعَلِمْتُ انّي إنْ اقاتِلْ وَاحِدًا أقتل ولا يَنْكَى عَدُوّي مَشهَدِي

ويعتذر هبيرة بن أبي وهب لقومه يـوم فر من معركة الخندق (5هـ) ، الأسلوب نفسه ، فيقول[1] : [من الطويل]

1 ـ لعَمْري مَا وَلّيْتُ ظهْري مُحَمّدًا وأصْحَابَهُ جُبْنًا ولا خِيفَة القتْلِ
2 ـ ولكِنّي قلّبْتُ أمْري فلَمْ أجِدْ لِسَيْفِي غِنَاءً إنْ ضربْتُ ولا نَبْلِي
3 ـ وَقفْتُ فلمّا خِفْتُ ضيْعَة مَوْقِفِي رَجَعْتُ لِعودٍ كالهزَبْرِ إلى الشّبْلِ

أمّا ثانيهما ، فهي تلك الصورة من الاعتذار التي رسمها الشعراء بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) بعد وفودهم عليه ، وإسلامهم ؛ فهذا عبد الله بن الزبعرى يعتذر للرسـول (صلى الله عليه وسلم) ويعاهده أن يكون من جنـود المسلمين ، يذب عنهم بسيفه ولسانه ، فيقول[2] : [من الخفيف]

1 ـ يَا رَسُولَ المَلِيكِ إنّ لِسَانِـي رَاتِقٌ مَا فتَقتُ إذ أنَا بُورُ
2 ـ إذْ أبَارِي الشّيْطانَ فِي سُنَنِ الغَـ ـيّ ومنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثْبُورُ

وأنشد سَاريّة بن زَنيم النبـي (صلى الله عليه وسلم) معتذرا ، وكان قد بلغه أنّه هجاه فتوعده ، يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ تَعَلّم رَسُـولَ اللهِ أنّكَ قادِرٌ عَلى كُلّ حَيٍّ منْ تِهَام ومُنْجدِ
2 ـ تَعَلّم رَسُولَ اللهِ أنّكَ مُدْرِكِي وأنّ وَعِيدًا مِنْك كَالأخذِ بِاليَدِ
3 ـ تَعَلّم بأنّ الرّكبَ آلُ عُويمرٍ هُم الكاذِبُونَ المُخْلِفُو كُلّ مَوْعِد
4 ـ ونُبِّيّ رسُولُ اللهِ انّي هَجَوْتُهُ فلا رَفَعَتْ سَوْطِي إلَيّ إذًا يَدِي

(1) ابن عبد : الاستيعاب : 1963/3 .
(2) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 35 ، 36 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 46/4 ؛ وفي الاستيعاب : 902/3 " أنا في ذلك خاسر مثبور " بدل " ومن مال ميله مثبور " .
(3) ابن حجر : الإصابة : 4/3 ، 5 .

وهناك موضوع آخر متميز من موضوعات شعـر المعارضة ، وهو شعر " النقائض " ، وقد عمدت إلى إدراجه ضمن موضوعات شعـر الدعوة دون المعارضة ، لا لشيء إلا لعده موضوعا مشتركا بين الجانبين ، فاكتفيت بإدراجه ضمن موضوعات شعر الدعوة فقط حتى لا يقع في التكرار .

الفصل الثاني :

أثر الدعوة في موضوعات شعر صدر الإسلام ، وسماته الفنية

أولا : أثر الدعوة في لغة الشعر وألفاظه وتراكيبه :

1 ــ في شعر الدعوة :

أ ــ شعر الأنصار

ب ــ شعر المهاجرين

ج ــ شعر الوافدين من البادية

2 ـ الأثر الجاهلي في شعر المعارضة :

أ ــ الأثر الجاهلي في شعر مكة

ب ــ الأثر الجاهلي في شعر الطائف

ج ــ الأثر الجاهلي في شعر اليهود

ثانيا : مميزات شعر الدعوة والمعارضة وسماته الفنية :

1 ــ مميزات شعر الدعوة وسماته الفنية

2 ــ مميزات شعر المعارضة وسماته الفنية

أولا : أثر الدعوة في لغة الشعر و ألفاظه وتراكيبه :

إذا كانت الدعوة الإسلامية ثـورة على معتقدات الجاهليين ، وعلى الفكر العربي الجاهلي عامـة ، وعلى الأوضاع الاجتماعية الجائـرة ، فما هي الآثـار الواضحة التي تركتها هذه الثورة في الشعر العربي ، في لغته وألفاظه وتراكيبه ؟ وما مدى استجابة شعراء الدعوة لقيم الإسـلام ، لتكون أشعارهم موائمة لروحه وتوجيهه ؟ وهل استطاعت تلك الدعوة أن تحوّل الشعـر عن مساره ، وتجنده في خدمتها ؟ وهل يمكن أن نلمس أثرها فـي الشعر المناهض للإســلام ؟ وهل نمر خلال دراستنا لشعر الدعوة والمعارضة بقصائد ومقطوعات شعـرية ، تختلف في شيء عن الشعر الجاهلي في أسلوبه وألفاظه ومعانيه ؟

ولعل أيسر الطرق للإجابة عن هذه الأسئلة وغيرها هو دراسة شعر الدعوة والمعارضة من حيث لغته وألفاظه وتراكيبه .

1 ــ في شعر الدعوة :

وسندرس هنا شعر الدعوة حسب بيئات شعرائها ــ وكذلك الحال مع شعر المعارضة ــ ، لنتبين فــي هذا الجانب مــدى تأثر شــعراء المسلمين بالدعــوة الإسلاميــة ، ومدى محاكاتهم للقرآن الكريــم والسنة النبوية الشريفة مــن خلال أشعارهم ، وكذا مبلغ تحمسهم لآداب القرآن وتعاليمه .

أ ــ شعر الأنصار :

بعد الهجرة إلى المدينة اشتعلت نار الحرب بين مشركي مكـــة ومسلمي المدينة ، وكما شرعت الرماح واستلت السيوف في هذه الحرب ، سلت الألسنة ، وأذيعت القصائد من الجانبين .

لا ريب إذا قلنا بأن العصر الإسلامي امتداد زماني للعصر الجاهلي ، فما كان عليه الشعر في العصر الجاهلي لا يمكن أن يتغير طفرة ، وإنما هو خاضــع لقوانين الفطرة التي تقوم على التدرج في الانتقال والتغير ، فالعرب ــ حين بدأت

الدعوة الإسلامية ــ هم عرب الجاهلية شعرا وخلقا وسلوكا ... إلى غير ذلك[1] .

بيد أنه لا مناص من القول ، بأن هناك من الشعراء المسلمين ــ وفي مقدمتهم شعراء الأنصار ــ من تنازل في الإســـلام عن الخيال المجنّـح في تعبيراتـــه وأفكاره ، وانتقل إلى أسلوب آخر في التعبير والتفكير يمتزج فيه الخيال بالواقع ، والعاطفة بالفكر ، والشعور بالعقل .

ذلك أن الشعر في ظلال الإسـلام هو وسيلة من وسائل التعبيـر يخضع لما تخضع له سائـر الوسائل التعبيريـة من مبادىء الإسـلام وقيمـه وأخلاقياتـه ، والشعراء في ظلال الإســـلام كما الشعراء في كل بيئة وعصر متهيئين للتأثر بما يظلهم مـــن موجّهات العواطف والتفكير والخيال .

والأكيد أن بداية الأثر الإسـلامي في شعر الدعوة كان انطلاقا من توجيـــه الرسول (صلى الله عليه وسلم) للشعـراء للدفاع عن المجتمع المسلم والجهـــاد بالكلمة ، من جهة ، والبنية الخلقية الإسلامية التي أحدثت انقلابا عميقا في النفوس المؤمنة ، فجعلتها تنصرف عـــن الموضوعات المغمـــوســـة بالحياة الجاهلية ، وتصرف طاقاتها في موضوعات تتصل بالحياة الإسلامية الجديدة ، أو على الأقل لا تخرج عن الإطار الخلقي ، من جهة أخرى [2] .

لقد وجدنا منذ فجر الدعوة الإسـلامية تلاحما بين توجيهات الرسول (ص) ، ومواقف الشعراء المسلمين ، فحين اشتد أذى قريش للنبي عليه الصلاة السلام ، ورسالته ، وقد جندت لذلك سيوفـها وفرسانـها ، وهبّ شعراؤها يهجون النبـي (صلى الله عليه وسلم) هجاء مرّا ، ويسفّـهون رسالتـه ، ويسخرون منـها ، ويعيرون تابعيه من المهاجرين والأنصار ، اضطر الرسول عليه السلام أن يقابلهم بسلاحهم ، لما للشعـر من تأثير في نفوس القبائل العربية ، فأرسل عليهـم أبرز شعـراء الأنصار وأعظمهم شأنا : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالـك ، وعبد الله بن رواحة .

(1) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر، مطبعة السعادة ، مصر ، 1402هـ/1982م ، ص 171 .
(2) عبد الباسط بدر : مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي، دار المنارة للنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية، ط 1 : 1405 هـ/1985 م ، ص 100 .

نهض هؤلاء الثلاثـة تغمرهم الشجاعة وصدق الإيمان للدفاع عن أعراض المسلمين ورسالة الإسلام ، والذود عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فتمكنوا من الرد على الخصوم ، وتفنيـد دعواهم ، وكشف مثالبهم ؛ ثم أبانوا عن عقيـدة الإسـلام وأكدوا صحتها وسمو منزلتها ونبل هدفها[1] في قصائد تنمّ عـن التأثر الواضح بالدعوة الإسلامية ، وبالرسول الكريم (ص) ، الحامل للوائها .

فهذا **حسان بن ثابت** منذ أن أصبح شاعر الرسـول (ص) ، قد اقتصر شعـره على المنافحة عنه ومصاولة أعدائه وأعداء المسلمين ، ثم الرد على أهاجي المشركين ، وتسجيل ما حدث في عهد النبوة من غزوات ووقائع ، ومفاخرة شعراء الوفـود التي كانت تقدم على الرسـول عليه السلام ، لتجادل وتعرض ما عندها أو تعلن إسلامها ، ورثاء من استشهد من المسلمين إبّان الوقائع . فكان شعره في تلك الحقبة ((سِجلا لجميع الأحداث التي توالت على المسلمين ، وغلب منذ ذلك الحين الطابع الإسلامي على جلّ أغراضه))[2] .

فها هو (رضي الله عنه) يلجأ إلى القيم الإسـلامية حين يهجو بني هذيل الذين غدروا بالمسلمين يوم الرجيع* (3هـ) ، فيقول[3] : [من الوافر]

1 ـ فلا واللهِ مَا تدْري هُذَيْـلٌ أَمحْضٌ ماءُ زمْزَمَ أم مَشُوبُ
2 ـ ومَا لهُم إذا اعتمَرُوا وحَجُّوا منَ الحَجرَيْن والمَسْعَى نَصيبُ
3 ـ ولكِنَّ الرّجِيعَ لهُم مـحَلٌّ بِه اللّؤمُ المُبَيَّنُ و العيُـوبُ
4 ـ هُم غرُّوا بذِمَّتِهم خُبَيْبًـا فبِئْسَ العَهْدُ عَهْدُهُم الكَذُوبُ

وعند هجو المنافقين نراه يطعن في صدق عقيدتهم ويتهمهم بالزيغ والمروق من الديـن[4] ، كما فعل يوم تبُـوك (9هـ) في هجائه لأبي الضحّاك بن خليفـة

(1) حسين الحاج حسن : النقد الأدبي في آثار أعلامه ، المؤسسـة الجامعية للدراسات والنشـر والتوزيـع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1416 هـ / 1996 م ، ص 116 .
(2) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 102 .
• الرجيع : ماء لهذيل بناحية الحجاز . وكان الرسول قد أرسل ستة نفر من أصحابه مع قوم من الهوْن بن خزيمة بن مدركة ليفقهوهم في دينهم، فغدروا بثلاثة منهم في هذا الموضع ، وقتلوا رابعهم بالظهران، وباعوا خامسهم وسادسهم لأهل مكة .
(3) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 58 ، المشوب : الممزوج ، الحجرين : الحجر الأسود ، والحِجر : حِجْر أو مقام إبراهيم .
(4) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 211 .

الأشهلي ، يقول[1] : [من الكامل]

1 ـ أبْلِغ أبَا الضحّاكِ أنَّ عُرُوقَهُ أعْيَتْ عَلَى الإسْلام أنْ تتَمَجَّدَا
2 ـ أتُحِبُّ يُهْدَانَ الحِجَازِ ودِينَهُم كَبِدَ الحِمَار ولا تُحِبُّ مُحمَّدَا
3 ـ وإذا نَشا لكَ نَاشِىءٌ ذُو غِرّةٍ فَهَّ الفُــؤادِ أمَرْتَهُ فتَهَـوَّدَا

ولجأ إلى القيم الإسلامية في هجاء اليهود أيضا ، فنعى عليهم كفرهم بالقرآن على رغم ما وجدُوه في كتابهـم مــن أحاديث تتصل ببعث الرسول عليه الصلاة والسلام[2] ، واتهمهم لذلك بجهلهم بالتوراة ، فقال[3] : [من الوافر]

1 ـ تَفَاقدَ مَعْشرٌ نَصرُوا قرَيْشًا وليْسَ لهُم ببَلْدَتِهم نصِيرُ
2 ـ هُمُ أوتُوا الكِتَاب فضيَّعُوهُ فهُم عُمْيٌ مِنَ التَّورَاةِ بُورُ
3 ـ كَفَرْتُم بالقُران وقدْ أتِيتُم بتَصْدِيق الذِي قالَ النَّذِيرُ

وكان هجْو حسان (ض) ، على مرارته صادقا لا تكلف فيه ، لم يندفـع إليه حبا للتكسب والاستجداء ، بل ذودا عن دين يؤمن به وبرسوله ، وأملا في ثواب الله ورضوانه ، لا بغية له ولا لأصحابه غير الجنة التي وُعدُوا ونَعيمها .

ويتجلى هذا في ألفاظه الجديدة التي لم نألفها من قبل ، نحو (جبريل أميـن الله ، وروح القدس ، وأرسلت عبدا ، شهدت به ، ورسول الله)[4] . وهذه الألفاظ وغيرها لم يكن لها وجود لولا الإسلام ، الذي أثر في الشعراء .

وقد تأثر حسان وغيره مـن شعراء الدعوة بآيات القرآن الكريم وطرائقه في التعبير ، ومناهجه في صياغة الحجج وسوْق الآراء ، مما جعلهم يحتذون حذوه ، ويرصّعون كلامهم ببعض تعابيره البليغة ، وصوره الجميلة ، وحكمه الخالدة[5] .

(1) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 137 ، العرق : الأصل ، ذو غرة : لا تجربة له ، الفة : العاجز .
(2) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 212 .
(3) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 181 ، 182 .
(4) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 277 ، 278 .
(5) حسين الحاج حسن : حضارة العرب في صدر الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1412 هـ / 1992 م ، ص 305 .

فحسان يرد على أبي سفيان ، فيقول[1] : [من الطويل]

1 ـ عَزِيزٌ عليْهِ أن تَحِيدوا عن الهُدَى حريصٌ علَى أنْ يستَقِيمُوا ويهْتَدُوا

وقد اقتبس هذا الأسلوب البارع مـن قوله تعالى : ﴿ لقدْ جَاءَكُم رَسُـولٌ منْ أنْفسِكُم عَزيزٌ عليْهِ مَا عَنِتم ، حَرِيصٌ عليْكم بالمُؤمِنينَ رؤوفٌ رَحِيمٌ ﴾[2] .

كما يستقي معانيه من القرآن الكريم حين يقول[3] : [من الوافر]

1 ـ يُنَادِيهم رسُول الله لمـّا قذفْنَاهُم كَبَاكِب فِي القلِيـبِ
2 ـ ألَمْ تَجِدُوا حدِيثِي كانَ حقًا وأمْرُ اللهِ يأخذُ بالقلـُوبِ
3 ـ فمَا نَطقُوا ولوْ نطقُوا لقالُوا صَدقتَ وكُنْتَ ذا رَأيٍ مُصِيبِ

فقد اقتبس هذه الأبيات من قولـه تعـالى : ﴿ قالـُوا هَذا مَا وَعَـدَنَا اللهُ ورَسُولُه وصَدَق اللهُ ورسُوله ﴾[4] ، وقولـه أيضا عز من قائل : ﴿ ليَجْـزِيَّ اللهُ الصَّادِقِينَ بصِدْقِهم ويُعَذّبَ المنَافِقِين ﴾[5] .

ولعل قوله[6] : [من الوافر]

1 ـ بِمَا صَنعَ المليكُ غدَاة بَدْرٍ لنَا فِي المُشركِينَ منَ النَّصِيبِ

من قولـه تعـالى : ﴿ إنْ يَنْصرْكُم اللهُ فلا غَالِبَ لكُم ، وإنْ يَخذلْـكُم فمَنْ ذا الذِي يَنْصرُكم مـِنْ بَعْـدِه ، وعلى اللهِ فليتوَكلِ المؤمنُـونَ ﴾[7] ، وقولـه أيضـا : ﴿ ولقدْ نَصرَكُم اللهُ ببَدْرٍ وأنْتُم أذلّة ... ﴾[8].

(1) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 96 .
(2) التوبة : 128 .
(3) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 26 .
(4) الأحزاب : 22 .
(5) نفسها : 24 .
(6) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 24 .
(7) آل عمران : 160 .
(8) نفسها : 123 ، 124 .

وقد نظم حسان قصيدة مدح فيها أبا بكر ، أيام الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، جَليَّ فيها تأثره بالقرآن الكريم ، حين يقول[1] : [من البسيط]

1 ـ إذا تَذكَّرْتَ شجْوًا منْ أخِي ثِقةٍ فاذكُر أخَاكَ أبَا بَكْرٍ بِمَا فَعَلا
2 ـ الثّالِيَ الثانيَ المحْمُودَ مشهَدُهُ وأوَّلَ النّاس طُرًّا صدّق الرّسُلا
3 ـ والثّانيَ اثنَيْن فِي الغَارِ المُنِيفِ وقدْ طَافَ العَدُوّ بِهِ إذ صَعَّدَ الجَبَلا
4 ـ خيْرُ البَرِيَّةِ أتقاهَا وأرْأفُهَـا بعْد النَّبيّ وأوْفاهَا بِمَا حَمَلا

وغني عن البيان أن حسان قد استقى معانيه ، واقتبس تراكيبه مـن قوله تعالى : ﴿ ثانِيَ اثنين إذ هُما فِي الغَار ﴾[2] .

وإذا كنا نقرأ في آي الذكر الحكيم قوله تعالى : ﴿ وإنَّ وإيَّاكُم لعَلَى هُدًى أوْ فِي ضَلالٍ مُبينٍ ﴾[3] ، أو قولـه : ﴿ يقولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إلى المَدِينَـةِ لَيُخرجَـنَّ الأعَـزّ مِنْها الأذل ﴾[4] ، أو قوله عز من قائل : ﴿ أيَّ الفَرِيقَـيْـن خيْـرٌ مَقامًا وأحْسَنُ نَدِيا ﴾[5] ؛ فإننا نرى هـذا الأسلوب البياني يتمثل كذلك في قول حسان بن ثابت في الرد على أبي سفيان حين هجا النبي (ص) ؛ يقول[6] : [من الوافر]

1 ـ أتَهْجُوهُ ولسْتَ لهُ بكُفْءٍ فشَرّكُمَا لِخيْرِكُمَا الفِدَاءُ
2 ـ هَجَوْتَ مُبَارَكًا بَرًّا حَنِيفا أمِينَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ[7]

ومن إسلاميات حسان التي يظهر فيها تأثره بالديـن الإسلامي داليته[8] التي يقول فيها[9] : [من البسيط]

1 ـ وقدْ زَعَمْتُم أنْ تَحْمُوا ذِمَارَكُم ومَاءُ بَدْرٍ زَعَمْتُم غيْرُ مَوْرُودِ

(1) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 281 ، 282 ، الشجو : الهم والحزن ، مشهده : شيمته ، المنيف : الحسن .
(2) التوبة : 40 .
(3) سبا : 24 .
(4) المنافقون : 08 .
(5) مريم : 73 .
(6) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 17 ، 18 .
(7) محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، ص 108 .
(8) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 260 .
(9) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 84 ، الذمار : كل ما يلزم حفظه ، التصريد : الشرب دون الارتواء ، المنجذم : المنقطع .

2 ـ وقدْ وَرَدْنَا ولمْ نَسْمَع لِقولِكُم حَتّى شربْنَا رَوَاءً غيْرَ تَصْرِيدِ
3 ـ مُسْتَعْصِمِينَ بِحَبْلٍ غيْرِ مُنْجَذِمٍ مُسْتَحْكِمٍ منْ حِبَالِ اللهِ ممْدُودِ
4 ـ فِينَا الرّسُولُ وفِينَا الحَقَّ نتْبَعُهُ حتّى الممَاتِ ونَصْرٌ غيرُ محْدُودِ

فكأنّه يستحضر قوله تعالى : ﴿ فأوْرَدَهُم النّار وبئسَ الورْدُ المَوْرود ﴾[1] ، وقوله أيضا : ﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا ولا تَفرَّقوا ﴾[2]، وقوله: ﴿ فقد اسْتَمْسَكَ بالعُرْوةُ الوُثقَى لا انْفِصام لها واللهُ سَمِيعٌ عَلِيم ﴾[3] ، وغيرها من الآيات .

ومن قبيل هذا التأثر المباشر بأسلوب القرآن الكريم ومعانيه ، والاتجاه إلى نظم الوقائع التاريخية[4] ، قوله من قصيـدة في غزوة الأحزاب (الخندق) سنـة خمس للهجرة[5] : [من الكامل]

1 ـ حتّى إذا وَرَدُوا المَدِينَة وارْتَجَوْا قتْلَ النَّبـيِّ ومَقْتَمَ الأسْلابِ
2 ـ وغَدَوْا عَلَيْنَا قَادِرِينَ بأيْدهِـمْ رُدُّوا بغَيْضِـهِم عَلى الأعْقابِ
3 ـ بهُبُوبِ مُعصِفَةٍ تُفَرِّق جَمْعَهُم وجُنُودِ رَبِّكَ سَيِّـدِ الأرْبَابِ
4 ـ وكَفَى الإلهُ المُؤْمِنِينَ قِتَالَهُـم وأثابَهُم فِي الأجْـرِ خَيْرَ ثوَابِ
5 ـ منْ بَعْدِ مَا قنَطُوا ففَرِّجْ عَنْهـُم تنْزِيلُ نَصِّ المَلِيـكِ الوَهَّابِ
6 ـ وأقرَّ عَيْنَ مُحمَّدٍ وصِحَابِهِ وأذَلَّ كُلّ مُكـذّب مُرْتَابِ

فهو متأثر بقوله تعالى : ﴿ إذ جَاءَتْكُم جنودٌ فأرْسَلْنا عليْهِـم ريحًا وجُنُودًا لمْ تَرَوْهَا ﴾[6] ، وغيرها من الآيات .

كما يظهر الجانب الدينـي في مدائح حسان لمن يقرأ مراثيه في الرسـول (ص) ، وهي ((مراثٍ مصبوغة بالصبغـة الدينيـة ، يتكلم فيها عن المنبـر

(1) هود : 98 .
(2) آل عمران : 103 .
(3) البقرة : 256 .
(4) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والاموي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م ، ص 41 .
(5) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 21 ، 22 ، الاسلاب : الغنائم ، بأيديهم : بقوتهم .
(6) الأحزاب : 09 .

والمصلى والمسجـد والوحي ، ويذر بكاء الأرض والسمـوات ، ويتشوق إلى لقاء النبي صلى الله عليه وسلم في الفردوس ، ويشير إلى ما ورث عنه المسلمـون من الرشد والهدى ، وله في ذلك قصائد دالية ثلاث تفيض بالمعاني الرقيقـة السمحة ، وتنم عن روح ديني مصقول))[1] .

والملاحظ على مدائح حسان الإسلاميـة أنها تختلف في قالبها عن قصائـد المديح التقليدية ، فأكثرها خلو من المقدمات الطللية والغزلية التي كان شعراء المديح يحرصون على استهلال مدائحهم بها ، إذ لا نجده يبتدىء بوصف الأطلال إلا في همزيته المشهورة في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وهجاء أبي سفيان بن الحارث ، وكذلـك لا نجد في مدائحه إسرافا في تجويد الأسلـوب وابتكار المعاني ، وإنمـا يدَعُ نفسـه على سجيتها ، ويعبر عن شعوره إزاء الممدوح بأسلوب تتجلى فيه البساطة ومجانبة الغلـو والمبالغات المسرفة . كما يميز مديحه صدوره عن روح إسلامية خالصة عكس هجائه وفخره الذي نجده يزاوج فيهما بين الأساليب الجاهلية والإسلامية معا[2] .

ويبدو أن شعر حسان في الإســـلام كان فاتحة الشعر الديني في العصور اللاحقة ، حتى أنه جعل منه فنا مستقلا ، حيث أصبح حسـان وشعـراء الدعـوة ((يتحدثون عن عقائد الدين ومبادئه وقيمه العليا ، ويدعون إلى التعاليم السماوية والمكارم الخلقية الرفيعة))[3] ، إذ تحدثوا عن وجدانية الله ، وعن الوحي والنبوة ، وعـن عقيـدة الخلْـق والحياة والمـوت ، والبعث والحساب والعقاب والثواب ، وللتدليل نعرض هذه الصورة في قوله[4] : [من الطويل]

1 ـ أشَهدْتُ بإذن اللهِ أنَّ مُحمَّدًا رَسُولُ الذي بيْنَ السَّمَواتِ منْ عَلُ

2 ـ وأنّ أبَا يَحْيَ ويَحْيَ كِلَيْهِمَا لهُ عَملٌ فِـي دِينِهِ متَقبَّـــلُ

ومع هذا فإن حسان لم يكن في شعـره إسلامي محض ، فقد كان أحيانا

(1) زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي، دار الشعب ، القاهرة ، مصر ، 1391 هـ / 1971 م ، ص 44 .
(2) إحسان النص : حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 237 ، 238 .
(3) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ص 147 .
(4) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 301 .

جاهليا شكـلا ومضمونا . كما مزج في أحايين أخـرى بين أسلوب الجاهلية ومعانيها ، وأسلوب الإسلام وقيمه .

وإذا كان من الطبيعي أن نجد في شعر حسان آثارا إسلامية واضحة ؛ فإنه من الطبيعي أيضا أن نجد في شعره إفحاشا شديـــدا ، وعصبية قوية ، أحدثت في النفوس ميلا غريبا إلى النكاية والتشفي ، خاصة في هجائه الذي كان موجعا ومقذعا استمد معانيه من مآثر الجاهلية ، لا المثل الإسلامية التي يهزأ بها المشركون ، ولا يضيرهم أن يعيروا بإنكارهم لها ، وخروجهم عليها .

فقد كان يوجع أعداءه بهجائه المفحـش الذي ((يلائم جفـاء البدو وخشونة طبائعهم ، فيتردد على ألسـن الرواة ، ويتندر به الأعراب في أسمارهم ، لما فيه من صور بارعة ، تضحك هذه الأذواق الغليظة ، التي لم ترققها الحضارة))[1] . وأوضح ما يصور هذا اللون في هجاء حسان ، قصيدته في هند بنت عتبة يوم أحد (3هـ) ، حين يقول[2] : [من الكامل]

1 ـ أشِرَت لكَاع وكانَ عَادَتَهَا لُؤْمٌ إذا أشِرَتْ معَ الكُفرِ
2 ـ وعَصاكِ إسْتُكِ تتّقِينَ بِهِ دَقّ العَجَايَة عَارِيَّ الفهْرِ
3 ـ قرِحَتْ عَجِيزَتُهَا ومَشرَجُهَا منْ نَصِّهَا نَصًّا عَلى القهْرِ
4 ـ ونَسِيتِ فَاحِشةً أتَيْتِ بِهَا يَا هِنْدُ وَيْحَكِ سُبَّةَ الدَّهْرِ
5 ـ فَرَجَعْتِ صَاغِرَةً بِلا تِرَةٍ ممّا ظفِرْتِ بِهِ ولا وَتْرِ
6 ـ زَعَمَ الوَلائِدُ أنَّهَا وَلَدَتْ وَلَدًا صغِيرًا كأنَ منْ عَهْرِ

فهول ما فعلت هند بنت عتبة بحمزة عمّ رسول الله (صلى الله عليه وسلم)، جعل حسان يقذع إقذاعا يستمـد معانيه من مآثر الجاهلية ، فالمهجوة : لكاع ،

(1) محمد محمد حسين : الهجاء و الهجاؤون في الجاهلية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط 3 : 1389 هـ / 1970 م ، ص 241 .

(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 215 ــ 217 ، أشرت : بطرت ، لكاع : لئيمة ، العجاية : عصب مركب من عظام كفصوص الخاتم تكون عند رسغ الدابة ، الفهر : حجر يدق به الجوز واللوز ، المشرج : العصبـــة التي بين الدبـــر والفرج ، النص : التحريك حتى تستخرج الناقة أقصى سيرها ، السبة : العار ، صاغرة : ذليلة ، بلا ترة وبلا وتر : أي لم تتالي منا ولم تثأري ، والترة والوتر : الظلم ، والموتور : الذي قتل له قتيل ولم يدرك ثأره ، العهر : الزنا .

لئيمة ودنيئة ، تأتي الفاحشة ، وتلد من عهر . وهذا النوع من الهجاء أشدّ إيلاما من تعيير المشركين بالكفر وعدم الإيمان بالله ورسوله[1] .

ونراه في قصيدة أخرى يوم أحد (3هـ) ، في رثاء حَمزة بن عبد المطلب ، قد جمع بين أسلوب الجاهلية ومعانيها وأسلوب الإسـلام وقيمه ، إذ يذكر الدّيار قائلا[2] : [من السريع]

1 ـ أتَعْرِفُ الدَّارَ عفَا رسْمُهَا بَعْدَكَ صَوْبَ المُسبل الهَاطِلِ
2 ـ بيْن السّرَادِيح فأدْمَانَةٍ فمَدْفع الرَّوْحَاء فِي حَائِـــل

ثم بعد بيت واحد من الشعـر فقط ، يتخلص بسرعة من ذكر الدّيّار ، ليرثي حمزة بن عبد المطلب ، في أبيات رائعـة تظهر تأثـره الواضح بالديـن الجديد ، فيقول[3] :

3 ـ دَعْ عَنْك دَارًا قدْ عَفَا رَسْمُهَا وابْكِ حَمْـزةَ ذِي النَّائِـل
4 ـ المالىء الشّيزَى إذا أعْصَفتْ غبْراءُ فِي ذي الشَّبم المَاحِلِ

إلى أن يقول[4] :

5 ـ غَدَاة جِبْرِيلُ وَزِير ٌ لـهُ نِعْم وَزِيرُ الفارس الحَامِلِ

ولحسان في كل مناسبة إسلاميـة قصيدة ، ومن أجود قصائده التي كان لها أبعد الأثـر ، وأحسن الذكر عند المسلميـن ، قصيدته التي تنبأ فيها بفتح مكة والتي مطلعها[5] : [من الوافر]

1 ـ عفَتْ ذات الأصَابع فالجَواءُ إلى عذرَاءَ منْزِلُهَا خلاءُ

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 107 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 310 ، عفا رسمها : محا أثرها ، الصوب : المطر ، المسبل : المنصبّ ، الهاطل : كثيـر السيلان ، السرداح : الوادي ، أدمانة والروحاء : موضعان ، حائل : جبل .
(3) نفسه ، ص 310 ، النائل : العطاء ، الشيزى : جفان من خشب يقدم فيها الطعام للضيوف ، الغبراء : الريح التي تثير الغبار ، الشبم : البرد .
(4) نفسه ، ص 312 .
(5) نفسه ، ص 11 ، ذات الأصابع فالجواء : موضعان بأكناف دمشق ، عذراء : موضع قرب دمشق ، وكانت في هذه المواضع منازل بني جفنة ملوك غسان .

ومطلعها جاهلي ، يتذكر من خلاله أيامه الأولى عند الغساسنة بالشام ، وما كان له من لهو وشراب ، والجزء الإسلامي من القصيدة ، هو((الذي سما بحسان، سمو لا يلحقه شاعر إسلامي آخر))[1] ، يقول[2] :

2 ـ عَدِمْنَا خيْلَنَا إن لمْ تَرَوْهَا تُثِيرُ النَّقعَ موعِدُها كَدَاءُ
3 ـ يُبَارِينَ الأعِنَّة مُصْعِدَاتٍ على أكتَافِـــها الأسَلُ الظِّمَاءُ
4 ـ تَظلُّ جِيَادُنَا مُتَمطِّرَاتٍ تُلطِّمُهُنَّ بالخُمُر النِّسَـــاءُ

والأثـر الإسلامـي هنا واضح متميز ، فهو يعبر عمّا يجيـش في صدور المسلمين ، من الحق والإيمان ، ويخاطب المشركين بلغة الدين ، فيقول[3] :

5 ـ وجِبْرِيلُ أمِينُ اللهِ فينَا ورُوحُ القدْسِ ليْسَ لهُ كِفَاءُ
6 ـ وقال اللهُ قدْ أرْسَلْتُ عَبْدًا يقولُ الحَقَّ إن نفَعَ البَلاءُ

ومن خلال هذه القصيـدة نستطيع أن نلتمس تطورا حضاريا فنيا في وضعه الطبيعي الصحيـح ؛ ذلك أن ((فيها امتداد واضح لأسلوب الشعر الجاهلي ، وفيها مع ذلك ملامح من التطور الذي كان قد بدأ يطرأ على القصيدة العربية))[4] .

كما يزاوج حسان في قصيـدة أخرى بين الأسلـوب الجاهلي والأسلـوب الإسلامـي ، فنجده من جهـة ، يعبـر عن اعتزازه بالمسلميـن ، وبالنبـي (صلى الله عليه وسلم) الذي جاءهم بالقـرآن نورا وهاديا ، و بيّن لهم الحلال من الحرام ، ويفخر بصحابة الرسول (عليه الصلاة والسلام) ، الذيـن أرسوا قواعد الإسـلام ، وأعَـزّوا ديـنه وكتابه ، كما يفخر بأن جبريل ينزل الوحي بين ظهرانيهم ؛ ليبيـن فرائض ديـن الله وأحكامه ؛ ولذا فهم خيـار الخلق كلهم ،

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 70 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 14 ، 15 ، النقع : الغبار ، كداء : الثنية العليا بمكة مما يلي المقابر ، يبارين الأعنة : تجاري الخيل في اللين وسرعة الانقياد ، مصعدات : ذاهبات صعدا ، الظماء : المشتاقة إلى الدماء ، الأسل : الرماح ، متمطرات : مسرعات ، تلطم : تضرب ، ويقال أن نساء مكة يوم الفتح ظللن يضربن وجوه الخيل بالخمر ليرددنها ، حتى أن الرسول عليه السلام لما رأى ذلك تذكر بيت حسان هذا .
(3) نفسه ، ص 16 ، ليس له كفاء : ليس له نظير ، البلاء : الامتحان .
(4) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 42 .

ونِظامُهم ، وقادتهُم[1] ، يقول[2] : [من الكامل]

1 ـ اللهُ أكْرَمَنَا بنَصْرِ نَبيِّـهِ وبِنَا أقامَ دَعَائِمَ الإسْـلام
2 ـ وبِنَا أعَزَّ نَبيّـهُ وكِتَابَـهُ وأعَزّنَا بالضّرْبِ و الإقدَام
3 ـ في كُلّ مُعْتَرَكٍ تطيرُ سُيوفُنَا فِيهِ الجَماجِم عنْ فِراخ الهَام
4 ـ يَتْتابُنَا جِبْرِيلُ في أبْيَاتِنَا بِفرَائِضِ الإسلام والأحْكام
5 ـ يَتْلُو عَلَيْنَا النُّورَ مُحْكمًا قِسْمًا لَعَمْرُكَ لَيْسَ كالأقسَام
6 ـ فنَكونُ أوّلَ مُسْتَحِلٍّ حَلالهِ ومُحَـرِّمٍ للهِ كُلَّ حَـرَام
7 ـ نحْنُ الخِيارُ منَ البَرِيَّةِ كُلّها ونِظامُهَا وزِمَامُ كلّ زمَام

ومن جهة أخرى يأخذ في الفخر بقومه ، فخرا ((يحكي فن الشعر الجاهلي، ففيه ما في الشعر الجاهلي ، من جزالة اللفظ وفخامته وميله إلى الخشونة ، وفيه أيضا المعاني الجاهلية ، والجنـوح إلى المبالغة فيها))[3] ، كيف لا وقد تناول فيه حسان الفخر بقديم أيامهم ، وشرف أحسابهم ، وعظيم نكايتهم قديما في أعدائهم ، وبسط سلطانهم عليهم ، كما يعتد بأجداده التبابعة* ، يقول[4] :

8 ـ سائِلْ أبَا كَربٍ وسَائِلْ تُبّعًـا عَنّا وأهْلَ العِتْـ ـرِ والأزْلام
9 ـ واسْألْ ذوِي الألْبَابِ عنْ سَرَواتِهم يَومَ العُهَيْـ ـن ففَاجِرٍ فرُؤام
10 ـ أنَّا لَنَمْنَعُ منْ أرَدْنَا منْعَـ ـهُ ونَجُـودُ بالمَعْرُوفِ للمُعْتَـام
11 ـ وتَرُدَّ عَادِيّة الخمِيس سُيُوفنَـا ونُقِيـ ـمُ رَأسَ الأصْيَدِ القمْقام

إلى أن يقول[5] :

12 ـ فلَئِنْ فخَرْتُ بهم لمِثْلُ قدِيمِهم فخَرَ اللّبيبُ به عَلى الأقوَام

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 248 .
(2) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 377 ، 378 ، فرخ الرأس : الدماغ ، القِسم : الحظ .
(3) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 249 .
• التبابعة : ملوك اليمن ، أو أجدادهم الاوائل .
(4) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 379 ، أبا كرب وتبع : من ملوك حمير (اليمن) ، العتر : الذبيحة المقدمة للأصنام، الأزلام : قداح يقسمون بها الذبيحة ، السروات : الأشراف ، العهين ، فاجر ، ورؤام : أيام كانت لهم في الجاهلية ، المعتام : المختار ، الخميس : الجيش ، عاديته : شره ، الأصيد : العظيم ، القمقام : السيد الكثير الخير الواسع الفضل .
(5) نفسه ، ص 380 .

ونرى حسان في مديحه وفخره الإسلامي ، يبتعد عن خشونة الجاهلية ، وعن الغريب والحوشي ، وعن الغلو والإفراط والزخرف ، ومن هنا وصف القدماء شعر حسان في الإسلام باللين ، وفضلوا شعره الجاهلي عليه .

والحق أن حسان شاعر مطبوع في شعره الإسلامي ، كما كان مطبوعا في شعره الجاهلي ، غاية الأمر أنه تأثر بالأسلوب القرآني الناصع البيان ، المطرد السياق ، الواضح الطريقة ، السهل الممتنع ، كما تأثر ببشاشة الإسلام ، فلانَ جانبه ، ورقت حاشيته ، وسلست مَلكته الفنية فانتهج في شعره الإسلامي الأسلوب الذي أشرنا إليه ، وهو الأسلوب الذي يسميه الأصمعي وغيره لينا وضعفًا ، وما هو في النظرة المنصفة كذلك ، وإنما يعجب الأصمعي وغيره غرابة الألفاظ ، وضخامة الأسلوب ، والمبالغة في المعاني ، ويرون هذا دون غيره مقياس الجودة في الشعر[1] .

وعلى هذا النحو سار شعر حسان في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، مدحا يبرز فيه النفس الإسلامي ، ولغة الدين ، و ((ليس من معاني الجاهلية ، ولا من لغتها قوله في الأبيات السابقة : " أعز نبيه وكتابه " ، وقوله : " ينتابنا جبريل في أبياتنا بفرائض الإسلام " ، وقوله : " يتلو علينا النور "))[2]... الخ .

ويبدو هذا التأثير الإسلامي ، والتأثر بالقرآن الكريم ، في مدحه أيضا للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، حين يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ أغرَّ عليْـ ـه للنُّبوّةِ خاتَـمٌ منَ اللهِ مَشهُودٌ يلُوحُ ويُشهَـدُ
2 ـ وضمَّ الإلهُ اسْم النّبيّ إلى اسمه إذا قالَ فِي الخمْسِ المُؤذّنُ أشهَـدُ
3 ـ وشقّ لهُ منْ اسْمِهِ لِيُجِلّـــهُ فذو العَرْشِ محْمُودٌ وهذا مُحمَّـدُ
4 ـ نَبيٌّ أتَانَا بَعْدَ يَأسٍ وفَتْـــــرَةٍ منَ الرُّسْلِ والأوثانُ فِي الأرضِ تُعْبَدُ

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 249 ، 250 ؛ ينظر : الشعـــر والشعراء لابن قتيبة ، طبعة ليدن ، ص 170 ؛ الموشح للمرزباني ، طبعة السلفية ، القاهرة ، مصر ، 1929 م ، ص 64 ، 65 .
(2) نفسه ، ص 250 .
(3) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 82 ، 83 ، أغر : كريم .

5 ـ فأمْسَى سِراجًا مُسْتنِيرًا وهَادِيًا يلُوحُ كمَا لاح الصّقيلُ المُهَنَّدُ
6 ـ وأنْذرَنَا نَارًا وبَشّرَ جَنّـــــةً وعلّمنَا الإسْلامَ فاللهَ نَحْمَـــــدُ

إلى أن يقول[1] :

7 ـ لكَ الخلْق والنَّعْمَاءُ والأمْرُ كُلّهُ فإيّاك نسْتَهْدِي وإيّاك نَعْبُدُ

وهذا يبعد الضعف واللين عن شعر يمتاح من القرآن ألفاظه ومعانيه ، وتبدو جلية في أبياته السابقة في قولـه : " نبي أتانا بعد يأس وفتـرة " ، " أنذرنا نارا ، وبشر جنة " ، " إياك نستهدي وإياك نعبد "[2] ، وغيرها .

كما اتسم أسلوب حسان بالتأرجح بين حوشيـــة اللفظة الجاهلية وغرابتها وتعقيدها ، وبين سلاسة اللفظة الإسلامية وبساطتها وسهولتها ، أو هو الحلقة المفقودة بين العهدين ، أو الخطـوة الممهـدة لسيادة أسلـوب الشعر فـي صدر الإسلام[3] .

ولكن رغم ذلك فإن شعر حسان اتّسم بمسحة مدنيّة ميزت أسلوبه عن أساليب الشعراء آنذاك ؛ إذ يكاد يخلو مـن المعجـم الشعري المألوف عند فحول الشعراء الجاهليين،حتى يوشك أن يكون قريب الشبه في لغته بلغة العصر الإسلامي نفسه[4].

إذ يتضح أثـر البيئـة الحضرية ــ الحسية والفكرية والدينية ــ في جزالـة ألفاظه وسهولتها ، وفي إحكام عباراته ودقتها ، كما يتضح في معانيه التي تكشف عن بيئتَيْه الحضريّتيْن في يثرب وجوار الغساسنة من جهة ، وفـــي ظل الإسلام وفكره وعقائده ومبادئه من جهة أخرى[5] .

ومن يقارن بين شعر حسان في الجاهلية وشعره في الإسلام يجزم أن قائل هذا غير ذاك ، ولولا الصياغة اللفظية لما كان بين الشعرين أدنى صلة . وهذا إن

(1) حسان بن ثابت : الديوان ، ص 83 .
(2) صلاح الدين الهادي : الادب في عصر النبوة والراشدين ، ص 251 .
(3) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 101 .
(4) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 33 ، 34 .
(5) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 261 .

دل على شيء فإنما يدل على مدى تأثر الشاعر بالإسلام ، فقد تحول به إلى إنسان آخر يختلف تماما عنه قبل الإسلام .

ومن خلال ما قدمنا يمكننا القول بأن أثر الدعوة الإسلامية في شعر حسان وإن كانت أظهر في معانيه من أثرها في أسلوبه ، وإن كان هذا الأثر ضئيـلا ضيّق المدى على الرغم من الروح الإسلامية التي تشيع في شعره الإسلامي عامة ؛ فإنه يجب الإشادة و التنويه به " الأثر " ، لقرب المدة الزمنيـة والفكريـة ، التي تنأى بالشاعر من أن يخلع ثوبه الجاهلي ، وموروثه الضخم فـي فترة وجيزة ، كما أن كل ((محاولة للتجديد لابد مـن أن تكلف صاحبها ضربا مـن الالتواء في التعبير والتعثر في الأداء))[1] .

وعليه فإن القول ضعف شعـر حسان فـي الإسـلام ليس صحيحا ، بل أن كل ما في الأمر أن شعـر حسان قد ((تغيرت أغراضه واختلفت معانيه عما كان عليه في الجاهليـة ، ولذلك نراه يعبر عن انتصارات المسلمين في شتى الميادين بنفس الجودة والأصالة والعمق الذي كان عليـه بعد أن شرح الله صدره للإسلام ، والذي كان واضحا في أشعاره التي كانت تواكب الفتوحات الإسلامية والانتصارات في شتى المجالات))[2] .

وقد كان شعـر حسان بحـق يمثل تاريخا صادقا ساير أحداث الصدر الأول للإسلام ، وحروبه وغزواته ، حيث كان له في كل ((موقعة إسلامية أثر شعري ، يبرز فيه مزايا الإسلام العالية ، ويعلي من قيمـة المجاهدين ، ويؤنب المشركين ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم به سعيـدا ، وعليه حريصا ، لأنه أحد المعاول الرئيسيـة ، التي هدمت صرح الشرك وقضت علـى مرتكزاته ، ولهذا وضع له المنبر في المسجد ، فينشد ما قاله من الشعر في هجاء المشركين))[3] .

أما **كعب بن مالك** : فقـد كان يمثل الأثـر الإسلامي القوي في شعـراء الأنصار الذين هبّت ريحهم في الإسلام ، واستطاعوا أن يظهروا أثرهم في المعاني

(1) حسان بن ثابت (حياته وشعره) ، ص 283 .
(2) شوقي عبد الحليم حمادة : الأدب العربـي بين الصدق الفنـي والأخلاقـي في صدر الإسـلام ، مكتبـة النهضـة ، مصر، ص 162 .
(3) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ص 71 .

الإسلامية ، ويوفقوا في طرح قيم الإسلام ومبادئه وغاياته ، شكلا ومضمونا ، بعد أن سرت الدعوة الإسلامية في عروقهم ، وخالطت دماءهم ، فوفقوا بحزم في وجه الشرك وأتباعه .

وطبيعي أن يكون لهذه الحياة الدينية الجديدة أثرها البعيد في العرب[1] ، وخاصة في شعر الأنصار الذين آووا الرسول (ص) ، وأيدوه بالسيف واللسان .

فقد ناضل شاعرنا كعب بن مالك بسيفه ولسانه ، مع من ناضل من شعراء المسلمين ، وصور الأحداث بروح إسلامية ظاهرة التأثر بالدين الحنيف[2] ؛ ففي معركة بدر (2هـ) نجده يرد على ضرار بن الخطاب ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ عَجِبْتُ لأَمْرِ اللهِ واللهُ قادِرُ ... على مَا أرَاد ليْسَ للهِ قاهِرُ
2 ـ قضَى يَوْمَ بَدْرٍ أنْ نُلاقِيَ معْشرًا ... بَغَوْا وسَبِيلُ البَغي بالنّاس جَائِرُ
.....
3 ـ وفِينَا رَسُولُ اللهِ والأوْسُ حَوْلَهُ ... لهُ مَعْقلٌ منْهُم عَزِيزٌ ونَاصِرُ
4 ـ وجَمْعُ بَنِي النّجّارِ تحْتَ لِوَائِهِ ... يَمْشونَ فِي المَاذِيّ والنّقعُ ثائِرُ
5 ـ فلمّا لقيْنَاهُم وكُلَّ مُجَاهِد ... لأَصْحَابِهِ مُسْتَبْسِلُ النّفْسِ صَابِرُ
6 ـ شَهِدْنَا بأنّ اللهَ لا ربَّ غيْرَهُ ... وأنّ رسُول اللهِ بالحَقّ ظاهِرُ

إلى أن يقول[4] :

7 ـ وكانَ رَسُولُ اللهِ قدْ قالَ أقبِلُوا ... فوَلّوا وقالُوا إنّما أنتَ سَاحِرَ
8 ـ لأمْرٍ أرَاد اللهُ أن يُهْلِكُوا بِهِ ... وليْسَ لأمْرِ حَمّهُ اللهُ زاجِرُ

ويتضح في هذه القصيدة فهم كعب وتأثره بالمعنى العام للقرآن الكريم، فقوله: " إنما أنت ساحر " ، متأثر بقوله تعالى : ﴿ وقال الكَافِرُونَ هذا سَاحِرٌ كذّاب ﴾[5] ،

(1) شوقي ضيف : التطور والتجديد في الشعر الاموي ، دار المعارف ، مصر ، ط 7 : 1981 م ، ص 11 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 74 .
(3) كعب بن مالك الأنصاري : الديوان ، ص 30 ، 31 ، البغي : الظلم ، معقل : حصن .
(4) نفسه : 31 ، 32 ، حمّه الله : قدره الله ، زاجر : دافع .
(5) ص : 04 .

وقولـه أيضا : ﴿ كذلِكَ مَا أتَى الذيـنَ مِنْ قبْلِهم منْ رسُـولٍ إلا قالُوا ساحِـرٌ أو مَجْنُون ﴾[1] ، وقوله : " وليس لأمر حمّه الله زاجر" ، متأثر بمعنى الآية الكريمة : ﴿ وإذا أرَادَ اللهُ بقوْمٍ سُوءً فلا مَرَدَّ لهُ ﴾[2] ، أو قوله : ﴿ ولا يُرَدُّ بأسُهُ عن القوْمِ المُجْرِمِين ﴾[3] .

وله في الواقعة نفسها ، قطعـة يتوعد فيها أبا سفيان مستشرفا فتح مكـة ، والطلوع على قريش من كداء ، يقول[4] : [من الوافر]

1 ـ فلا تَعْجَل أبَا سُفيَان وارْقبْ جِيادَ اللهِ تَطّلِعُ منْ كَدَاءِ
2 ـ بنَصرِ اللهِ رُوحُ القُدْسِ فيهَا ومِيـكالُ فيَا طِيبَ اللّقاءِ

فالمعاني والألفاظ يغلب عليهـا التأثر بالإسلام ، في ((الفخر برسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، والانتصار بالملائكة))[5] ، فقوله : " روح القدس فيهـا وميكال " ، كأنه يستوحي قوله تعالى : ﴿ تتنزل الملائكة والروح فيها ﴾[6] ، أو قوله تعالى : ﴿ أنّي ممِدّكُم بألف منَ الملائكةِ مُرْدفين ﴾[7] ، وقوله أيضا : ﴿ يمددكم ربكم بخمْسَـةِ ءالافٍ من الملائِكـةِ مُسوّمين ﴾[8] .

ولا ريب أن القرآن الكريم كان له أثره الأدبي واللغـوي فـي شعر كعب ، فضلا عن أثره الديني والروحي ، وإذا ((كانت اللغة مظهرا لمضمون ، فـلا مناص من التسليـم بأن اللغـة العربيـة دخلت فـي طور جديد عندما عبرت عن المضمون القرآني))[9] .

فانظر إلى ما أحدثه هذا القرآن في نفس كعب حتى غدا يستقي أبياته من آي

(1) الذاريات : 52 .
(2) الرعد : 11 .
(3) الأنعام : 147 .
(4) كعب بن مالك : الديوان ، ص 09 .
(5) سعد بوفلاقة : شعر الصحابة ، ص 190 .
(6) القدر : 04 .
(7) الأنفال : 09 .
(8) آل عمران : 125 .
(9) عصام قصبجي : أصول النقد العربي القديم، منشورات جامعة حلب ، سوريا ، 1411 هـ / 1991 م ، ص 13 .

الذكر الحكيـــم ، فيقول مادحا الرســـول (ص) ، مبـينا معجزاته ، ومقارنا إياها بمعجزات الرسل السابقين[1] : [من الطويل]

1 ـ فإن يَكُ مُوسَى كلَّم الله جَهْرَةً على جَبَلِ الطُّورِ المَنِيفِ المُعظَّـمِ
2 ـ فقدْ كلَّمَ اللهُ النّبـيّ مُحَمّـدًا على المَوضِعِ الأعْلَى الرَّفِيعِ المُسَوّمِ
3 ـ وإنْ تَكُ نَمْلُ البَرِّ بالوَهْمِ كلَّمَتْ سُلَيْمَانَ ذا المُلْكِ الذي ليْسَ بالعَمِي
4 ـ فهذا نَبـيَّ اللهِ أحْمَدَ سَبَّحَـتْ صِغارُ الحَصَى فِـي كفِّهِ بالتَّرَنُّـمِ

ففي البيت الأول والثالـث ثقافـة قرآنيـة[2] ، تستمد من قولـه تعالـى : ▫ وكلَّمَ اللهُ موسَى تكْلِيما ▫[3] ، وقوله أيضا : ▫ حتَّى إذا أتَوا على وَادِ النَّمْـل قالت نملةٌ يا أيُّها النَّمْلُ ادخلوا مسَاكنَكُم ▫[4] .

وحاول كعب بن مالك تأكيد صلة الرسالة الإسلامية بالسماء ، وأنها وحي من عند الله ، أنْزِل على محمد لتبليغ الناس[5] ، فقال مناقضًا هبيرة بن أبي وهب يوم أحد (3هـ)[6] : [من الطويل]

1 ـ وفينَا رَسُولُ اللهِ نَتْبَعُ أمْرَهُ إذا قالَ فِينَا القولَ لا نتطلَّعُ
2 ـ تَدَلّى عليْهِ الرَّوحُ منْ عِنْد رَبِّهِ يُنزّلُ منْ جَوِّ السَّمَاءِ ويرْفعُ

وقد تميزت مناقضات كعب الإسلامية بسمو الموضوعات التي عالجتها ، ونبل الغاية التي قصدت إليها ، فموضوعاتها هـي الإسلام ودعوته ، وغايتهـا إخراج الناس من الظلمات إلى النور ، ومن ضيق الكفر إلى سعة الإسلام[7] .

إلا أنه لم يقف عند هذا النوع من المناقضات الإسلامية فحسب ، بل تعداه إلى نوع آخر قريب من المعانـي الجاهليـة التي تشير إلى المآثر والأحساب والأنساب

(1) كعب بن مالك : الديوان ، ص 09 .
(2) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 251 .
(3) النساء : 164 .
(4) النمل : 18 .
(5) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 133 .
(6) كعب بن مالك : الديوان ، ص 42 .
(7) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 36 .

والمثالب ، والأيام ، بالإضافـة إلى التهديد والوعيد[1] ، كما هو الشأن بالنسبـة لقصيدته السابقة الذكر يوم أحد ، حين يقول[2] : [من الطويل]

3 ـ وإنَّا بأرْض الخَوفِ لوْ كانَ أهْلُهَا سِوَانَا لقدْ أجْلُوا بليْـ ـلٍ فأقشعُوا
4 ـ إذا جَاء مِنَّا رَاكِبٌ كانَ قولُـهُ أعِدُّوا لِمَا يُزْجِي ابنُ حَرْبٍ ويجْمَعُ
5 ـ فمَهْما يُهمَّ النَّاسَ ممَّـا يكِيدُنَا فنحْنُ لـهُ سَائِـ ـرِ النَّاس أوْسَعُ
6 ـ فلوْ غيْرُنَا كانتْ جَمِيعًـا تكِيدُهُ البَرِيَّـهُ قـد أعْطوْا يَدًا وتورَّعُوا
7 ـ نُجالِـدُ لا تبْقـى علَيْنَا قبيلـةٌ مـنَ النَّاس إلا أنْ يَهابُوا ويفظعُوا
8 ـ ولمَّا ابْتَنَوا بالعِرْض قالَ سَرَاتُنَا عَلامَ إذا لمْ نمْنَعِ العِرْضَ نَزْرَعُ ؟

إلا أن هذا لا ينقص مـن شأن تأثره بالإسلام شيئا ، إذ أننا نرى ذلك واضحا عندما يصور عظماء قريش في بدر (2هـ) ويصف هوانهم وقد ألقوا على أرض المعركة ، ينتظرهم مصير آخر مؤلم في نار تلظّى وقد شب حميمُها بزبر الحديدة والحجارة ، يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ فكُبَّ أبُو جَهْلٍ صرِيعًا لِجَهْلِهِ وعُتْبَة قدْ غادَرْنَهُ وهوّ عَائِرُ
2 ـ وشيْبَةُ والتَّيْمِيّ قد غودِرْنَ الوَغى ومَا مِنْهُم إلا بذِي العَرْشِ كافِرُ
3 ـ فأمْسُوا وَقودَ النَّارِ فِي مُسْتقرِّهَا وكُلَّ كفُورٍ فِي جهَنَّم صائِرُ
4 ـ تلظَّى عليْهِم وقد شَبَّ حمِيُهَا بزُبُرِ الحَدِيدِ والحجَارَةِ ساجِرُ

فثقافتـه القرآنية واضحة مـن خلال البيتين الأخيرتين اللتين يتجلى فيهما تأثره بقولـه تعالى : ﴿ فاتقوا النَّارَ التِي وَقودُها النّاسُ والحجَـارَة ﴾[4] ، وقوله أيضا : ﴿ والذين كفرُوا لهُم شرَابٌ منْ حَمِيم ﴾[5] .

كما حاول في مدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) ، تأكيد صلاحية الرسالة التي كان يبشر بها ، فهي هداية للناس في الدنيا ، وإنقاذ لهم من سوء المصير في

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 130 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 41 ، 42 ، يزجي : يسوق ، نجالد : نقاتل ، العرض : اسم موضع قرب المدينة .
(3) نفسه ، ص 31 ، كبّ : قتل ، تلظى : تزيد اشتعالا ، السّاجر : شديد الاشتعال .
(4) البقرة : 24 .
(5) يونس : 04 .

الآخرة ، وفـي ذلك طرف مـن الدعاية للدين الجديد ، ونشرٌ لمفاهيمه بأسلوب مبتكر[1] ، يقول[2] : [من الوافر]

1 ـ فمَنْ يتْبَعْهُ يُهْدَ لكُلِّ رُشدٍ ومنْ يكفُر بهِ يُجْزَ الكفُورُ

ونجده ينتقل في فخره من الذاتية الجاهلية ، لينصهر في بوْتقة المجموعـة الجديـدة التي ارتضاها بديـــلا عن أسرته وعشيرته ، وهي تلك التي ارتضت بالله ربّا ، وبالإسلام دينا وبمحمد (صلى الله عليه وسلم) نبيًّا ورسولا[3] .

فيفخر يوم أحد (3هـ) ، بتأييد الملائكـة للمسلمين فـي حرب المشركين يوم بدر (2هـ) ، فيقول[4] : [من البسيط]

1 ـ ويَوْمَ بدْرٍ لقِيناكُم لنَا مدَدٌ فِيهِ معَ النَّصرِ مِيكالٌ وجِبْرِيلُ

ثم يقف متأملا طبيعة الواقع الجديد الذي يذود عنه من منطلق روحي محض ، مبتعدا بذلك عن منطق العصبيـة ، وشريعة الغزو والبطش الجاهليـة ، فيصور اندفاع المسلمين في المعركـة اندفاعا عظيما ، أملا في النصر ، أو السبـق إلى الشهادة في سبيل الله ، والفوز برضوانه ، فيقول[5] :

2 ـ إنْ تقتُلونَا فدِينُ الحَقّ فِطرَتنَا والقتلُ في الحَقّ عِنْد اللهِ تفْضِيلُ

ثم نراه يبدو شديد الاعتزاز بحسّـه الجديد من واقع تلك الدوافع الجديدة التي تدفعه إلى التقدم في القتال ، دون خشية الموت[6] ، فيقول يوم خيبر (7هـ)[7] : [من الطويل]

1 ـ عظِيـمُ رَمَاد القِدْر في كُلّ شتْوَةٍ ضَرُوبٍ بنَصلِ المَشرَفِيّ المُهنّدِ

(1) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 134 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 29 .
(3) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 121 .
(4) كعب بن مالك : الديوان ، ص 58 ، 59 .
(5) نفسه ، ص 59 .
(6) عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية، دار غريب ، القاهرة ، مصر ، 1998 م ، ص 28 .
(7) كعب بن مالك : الديوان ، ص 26 ، ضروب : كثير الضرب ، المشرفي : السيف المنسوب إلى مشارف اليمن .

2 ـ يَرَى القتلَ مَدْحًا إنْ أصَابَ شهَادَةً مِـنَ اللهِ يَرْجُوهَا وفوْزًا بأحْمَدَ
3 ـ يَذودُ ويَحْمِي عنْ ذِمَار مُحَمّـدِ ويَدْفعُ عنْـهُ باللّسَـان وباليَـدِ

ومن خير ما قال كعب في أحد ، رثاؤه لحمزة بن عبد المطلب ، ومن سقط شهيـدا من المسلمين ، حيث أخضـع رثاءه لمقاييس الإسـلام وقيمه ، إذ نراه ((يلجُ الرثاء من باب ثواب الآخرة ، والتنعم بجنان الخلد ، مبينا قيمة الاستشهاد في سبيل الله))[1] ، فيقول[2] : [من المتقارب]

1 ـ وقتْلاهُمُ فِي جِنَانِ النَّعِيمِ كِرَامُ المَدَاخِـلِ والمَخـرَجِ
2 ـ بمَا صَبَرُوا تحتَ ظِلِّ اللّوَاءِ لِوَاءِ الرَّسُولِ بذِي الأضْوَجِ
3 ـ غدَاةَ أجابَـت بأسْيَافِهَـا جمِيعًا بَنُو الأوْسِ و الخزْرَجِ
4 ـ وأشيَاعُ أحْمَدَ إذ شايَعُوا على الحَقِّ ذِي النُّورِ والمنْهَجِ
5 ـ فمَا بَرِحُوا يضْرِبُونَ الكُمَاةَ ويمْضونَ فِي القسْطلِ المرْهجِ
6 ـ كذلِك حتّى دَعَاهُم مليكٌ إلى جَنَّـةٍ دَوْحَـةٍ المُولِجِ
7 ـ فكُلُّهُم مَاتَ حُـرَّ البَلاءِ على مِلَّـةِ اللهِ لمْ يَحْرَجِ

ويرى الدّارس لهذه الأبيات تأثر الشاعر الواضـح بالقـرآن الكريم ، في قوله تعالى: ﴿ إنَّ الذِينَ آمَنُوا وعَمِلُوا الصّالِحاتِ لهُم جَنَّات النَّعِيـم ﴾[3] ، وقال أيضا : ﴿ ومنْ يُطِعِ اللهَ ورَسُولهُ يُدْخِلهُ جَنّاتٍ تجْرِي منْ تحْتِهَا الأنْهَار ﴾[4].

ويذكر يـوم الخندق (5هـ) السبـب في تألبـ الأحزاب ضد الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، فيقول[5] : [من الطويل]

1 ـ لقدْ عَلِمَ الأحْزابُ حِيـنَ تألّبُوا عليْنَا ورَامُوا دِينَـنَا مَا نُوادِعُ

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 127 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 18 ، 19 ، ذي الاضواج : موقع قرب أحد ، الكماة : البطل المكتمل السلاح ، القسطل : غبار الحرب ، المرهج : المرتفع في الجو ، الدوحة : الشجرة الكبيرة ، المولج : الداخل .
(3) لقمان : 08 .
(4) الفتح : 17 .
(5) كعب بن مالك : الديوان ، ص 45، راموا : طلبوا ، أضاميم : جماعات، غايظونا : غاضبونا ، الصنيعة : الفضل والمعروف .

2 ـ أضَامِيمُ منْ قيْس بن عيلانَ أصْفقتْ وخِنْدِفَ لمْ يَدْرُوا بمَا هُــو وَاقِعُ
3 ـ يَذودُونَنَا عـنْ دِينِنَا ونَذُودُهُــم عَـنِ الكفْرِ والرَّحْمنُ رَاءٍ وسَامِعُ
4 ـ إذا غايَظُونَا فـي مُقامٍ أعَانَـنَا على غيْظِهِم نَصْرٌ مـنَ اللهِ وَاسِعُ
5 ـ وذلِك حِفظُ اللهِ فِيـنَا وفَضْلُـهُ عَلَيْنا ومنْ لمْ يَحْفَظِ اللهُ ضائِعُ
6 ـ هَدانَا لدِيـنِ الحَـقِّ واختَارَهُ لنَا وللهِ فوقَ الصَّانِعِيـنَ صنَائِـعُ

وتمثل هذه الأبيات عقيدة كعب الدينية ، وعاطفته الإسلاميـة فـي صورة إسلامية في الألفاظ والأساليب والمعاني ، كما تبرز ثقة المسلميـن بنصر الله الذي طالما آمنوا به ، وفي ذلك دعوة إلى الإسلام تحمّلهـا الشعر فـي أقسى الظروف وأشدها عند مداهمـة الأخطار فرفع ذلك من روح المسلميـن المعنويـة ، وألهب حماسهم في مواجهة جيش الكفار[1] .

أمّا بعد الفتح ، فقد قال كعب قصيدة متميزة بعد الفـراغ من حنين (8هـ) ، حافظ فيها على البناء السليم والنسج المحكم الجميـل ، يذكر فيها الرسول (ص) ، ويدعو الناس إلى الدخول في ديـن الله ليكونوا منهم ، أو أن يحكموا السيـف في رقابهم ، إن هم تمسكوا بضلالهم[2] ، في ألفاظ إسلامية متميزة ، ذات دلالة أسلوبية في التأكيد والتأثير للمعنى ، يقول[3] : [من الوافر]

1 ـ نُطِيعُ نَبِيَّنَا ونُطِيعُ رَبَّا هُوَّ الرّحمَـنُ كانَ بنَا رَؤُوفَا
2 ـ فإنْ تُلْقوا إلَيْنَا السِّلْمَ نقْبَلْ ونَجْعَلْكُم لنَا عَضُـدًا وريفَا
3 ـ وإنْ تأبُوا نُجَاهِدكُم ونَصْبر ولا يكُ أمْرُنَا رَعِـثًا ضَعِيفَا
4 ـ نُجَالِدُ مَـا بَقِينَا أوْ تُنِيبُوا إلى الإسـلامِ إذْعَانًا مُضِيفَا

وبعد وفاة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقف كعب ليرثيه بروح المؤمن الذي وعى مفاهيم الدين الحنيف، وملأ الإيمان قلبه، فهو يبكيه دون يأس أو جزع،

(1) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة ، ص 359 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 82 ، 83 .
(3) كعب بن مالك : الديوان ، ص 48 ، 49 ، الوريف : البهيج .

بل يذكر فضـل الله على المسلمين إذ نجاهم برسـوله من ظـلام ولظى[1] ، فيقول[2] : [من المتقارب]

1 ـ يَا عيْنُ فابْكِي بدَمْعٍ ذرَى لخيْرِ البريّةِ والمُصطفَى
2 ـ وبَكّي رسُولَ اللهِ وحُقّ البُكاءُ عليْهِ لدَى الحَرْبِ عِنْد اللّقا
3 ـ على خيْرِ مَنْ حملَتْ ناقةٌ وأتْقى البَرِيّةِ عنْـد التّقى

إلى أن يقول[3] :

4 ـ وكَانَ بَشِيرًا لنَا ومُنْذِرًا ونُورًا لنَا ضوؤُهُ قد أضَا
5 ـ فأنْقذنَا اللهُ فِي نُورهِ ونَجّى برَحْمَتِه منْ لظى

ولم يكتـف كعب بنعـي الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه ، أو إلى العرب والمسلميـن وحسب ، بل تعداه إلى الأحياء جميـعا بما فيهـم الجـن[4] ، يقول[5] : [من المتقارب]

1 ـ ألا أنْعِي النّبيّ إلى العَالمِينَا جمِيعًا ولا سِيَّمَا المُسْلِمِينَا
2 ـ ألا أنْعِي النّبيَّ لأصْحابِهِ وأصْحابِ أصْحابِهِ التّابِعِينَا
3 ـ ألا أنْعِي النّبيَّ إلى مَنْ هَدَى مـنَ الجنِّ ليْلَة إذ تَسْمَعُونَا
4 ـ لِفقْدِ النّبيّ إمَام الهُـدَى وفقدِ المَلائِكـةِ المُنْزَلِينَا

ولا غرو إذا قلنا بأنّ رثاء كعب بن مالـك يستمد معانيه وألفاظـه و صوره من القرآن الكريم ، قال تعالى : ﴿ وأنْزَلنَا إليْك الكِتَاب بالحَقِّ مَصدِّقا لمَا بيْنَ يدَيْهِ منَ الكِتاب ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ ومنْ يُطِع اللهَ ورسُولِهِ يُدْخِلـهُ جنّاتٍ تجـري

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 83 .
(2) كعب بن مالك : الديوان ، ص 79 .
(3) نفسه ، ص 79 .
(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 127 .
(5) كعب بن مالك : الديوان ، ص 75 .
(6) المائدة : 48 .

مِنْ تحتِها الأنْهار ومنْ يتولّى يُعذّبْهُ عذابًا أليما ﴾[1] ، وقال أيضا : ﴿ مَا تتّـزّلُ المَلائِكة إلا بالحقِّ وما كانُوا إذًا منْظرين ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ إنَّا أنْزَلنَا إليْك الكِتابَ بالحقِّ لِتحْكُم بيْنَ النَّاس بمَا أرَاك الله ﴾[3] .

ورثاء كعب بالرغم من ذلك لم يكن إسلاميا في مجمله ـ كما هو الشأن في باقي أغراضه الأخرى ــ أين زاوج بين قيـم الإسلام وألفاظ القرآن وتعابيره من جهة ، وأخذ بعض معانيـه من الجاهليـة من جهة أخرى ن لكنه أضفى على تلك المعاني مسحة إسلاميـة ، وإن كان البعض يرى أن إفادته من الأسلوب الإسلامي كانت ((إفادة مباشرة ليس فيها أي محاولـة جادة للمُلاءَمَة بين مقتضيات الشعر ودواعي السياسة أوالدين))[4] .

وفيما عرضناه للإشعاع القرآني في شعـر ابن مالك لا ينبغي الإحاطـة الشاملة والدراسة الدقيقة لتلك القباسات المنبثقة من شعـره ، بل التأكيد على تأثره بالقرآن الكريـم والتعاليـم الإسلاميـة ، خاصة وأن تراكيبـه وعباراتـه قد ازدادت ــ بعد إسلامه ــ سهولة ورقة وعذوبة، كما أنّ تراكيبه ((طبيعية لا تعقيد فيها ، ولا التـواء . في حيـن كانت معاني شعـره فطريـة ، تمتاز بالصراحة والصدق))[5] ، وفيها جميعا نلتمس تأثره بالدين الإسلامي الحنيف .

أما عبد الله بن رواحة ، فهو ثالث شعراء المدينة الذين كان لهم باع كبير في التصدّي للشرك والمشركين ، إلا أنّه اختلف عن صاحبيه ، حسان وكعب في مناقضتهما للمشركين ، فقد كان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائـع والأيام والمآثر ، ويعيرانهم بالمثالب ، وكان ابن رواحة يعيرهم بالكفر ، فكان أشد القول عليهم ــ قبل إسلامهم ــ قول حسان وكعب ، وأهونه عليهم قول ابن رواحة، فلما أسلموا وفقهوا الإسلام كان أشد القول عليهم قول ابن رواحة[6] .

---

(1) الفتح : 17 .
(2) الحجر : 08 .
(3) النساء : 105 .
(4) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 30 .
(5) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 131 .
(6) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1219/3 .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أثر الإسلام الكبير في شعره ، كيف لا وقد اقترن اسمه بشعر ((الجهاد والثبات على العقيدة والمبدأ ، ويتمثل المجاهدون بأبياته في تمني الشهادة وهم يتوجهون إلى الموت بقلوب راضية مطمئنة))[1] .

وهذا الأثر الإسلامي عند عبـد الله بن رواحة يعـود لمصاحبته للرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وملازمته له وتمثله لتوجيهاته ، إذ نراه يمدح الرسـول عليه السـلام بأنه ((صاحب الشفاعة يوم القيامة ، وأن من يحرم شفاعته تسوء عاقبته ، ويدعو لدينه بالنصر والتأييد))[2] ، يقول[3] : [من البسيط]

1 ـ إنِّي تفرَّسْتُ فيكَ الخَيْرَ أعْرِفهُ فِرَاسَةَ خالفتهُم في الذِي نظرُوا
2 ـ ولو سَألتَ أو اسْتنْصَرْتَ غيْرَهُم في جُلِّ أمْرِك مَا آوُوا ولا نَصَرُوا
3 ـ فثبَّت اللهُ مَا آتاكَ مِنْ حَسَنٍ تثبيتَ مُوسَى ونَصْرًا كالذِي نُصِرُوا

ولا شك أنّ الشاعر متأثر بآي الذكر الحكيم ، منها قولـه تعالى : ﴿ يَا أيُّها النّبي إنَّا أرْسَلنَاك شاهِدًا ومُبَشِّرًا ونَذِيرا ﴾[4] ، و قولـه أيضا : ﴿ ومَا أوتِـيَّ مُوسَى وعِيسَى ومَا أوتيّ النَّبيُّون منْ ربِّهم ﴾[5] ، كما أنه يستقي معانيه من قوله تعالى : ﴿ ولقدْ آتَيْنَا مُوسَى الكِتابَ لعلَّهُم يهتّدُون ﴾[6] .

ومدائح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، في شعـر شعرائه بعامة ، تغلب عليها هذه النزعة الدينيـة ، وتغمرها روح إسلامية واضحة ، ويشِيع فيها التأثر بالقرآن الكريم ، وهذا طبيعي لدورانها حول صاحب الدعـوة ، وتناولها لمكانته وفضله في الهداية ، وإشادتها بفضائله وأخلاقه التي هي من خلق القرآن[7] .

أمّا إذا انتقلنا إلى ميدان الدفاع عن الدعوة الإسلاميـة ، فإننا نجد عبد الله ابن رواحة يـوم بدر (2هـ) يخاطب أبا سفيان ، مُعيرا إياه بالكفر والشرك ،

(1) إبتسام مرهون الصفار : الامالي في الادب الإسلامي ، ص 106 .
(2) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 251 .
(3) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 489/3 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 900/3 .
(4) الأحزاب : 45 .
(5) البقرة : 136 .
(6) المؤمنون : 49 .
(7) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 252 .

ومعصية الرسـول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، فيقول[1] : [من الطويل]

1 ـ وعَدَنا أَبُو سُفيَان بَدْرًا فلمْ نَجِد لِمِيعادِهِ صِدقًا ومَا كانَ وافيا
2 ـ عَصيتُم رسُولَ اللهِ أُفٍّ لِدِينكُم وأَمْرُكم السَّيّء الذي كانَ غاويا
3 ـ فإنِّي و إنْ عنَّفتُمُونِي لقائِلٌ فِدًى لرسُول اللهِ أَهْلِي ومَالِيا
4 ـ أَطعْنَا ولمْ نَعْدِلهُ فِينا بغيْرِه شِهَابًا لنَا فِي ظلمَةِ اللّيْلِ هَادِيا

وثقافته القرآنية واضحة إذ يستمد أبياتـه من قوله تعالى : ﴿ الذِينَ آمَنُـوا وهَاجَرُوا وجَاهَدُوا فِي سَبيلِ اللهِ بأَمْوالِهم وأَنْفسِهم أَعْظمُ دَرجَةً عِنْد الله ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ يا أَيُّها الذينَ آمنُوا أَطِيعُوا اللهَ وأَطيعُوا الرَّسُولَ ... ﴾[3] .

كما نجده في أبيات أخرى يحذر أبا سفيان من عدم إسلامه ، و يهدده بصور العقاب الآجل والعاجل في الدنيا والآخرة ، فيقول[4] : [من الطويل]

1 ـ فابْلِغ أَبَا سُفيَان إمَّا لقِيتَـهُ لَئِن أَنتَ لمْ تخْلِص سُجُودًا وتُسْلِمِ
2 ـ فبَشِّر بخِزيٍ منَ الحَيَاةِ مُعَجَّل وسِرْبَال قار خالِدًا فِـي جَهَنَّم

حيث استمد مادته من مؤشرات الآيات القرآنية ، قال تعالى : ﴿ فاسْجُدُوا للهِ واعْبُدُوا ﴾[5] ، وقوله أيضا : ﴿ بَلا منْ أَسْلَم وَجْهَهُ للهِ وهُوَّ مُحسِنٌ فلهُ أَجرُهُ عِنْد ربِّه ﴾[6] ، وقوله تعالى :﴿ ولهُم عذابٌ في الحَيَاةِ الدَّنْيا ولعذابُ الآخِرَة أَشق ﴾[7] ، وقوله عز من قائل : ﴿ سَرابيلُهُم منْ قطِرَان وتغْشَى وُجُوهَهُم النَّار ﴾[8] ، وغيرها من الآيات القرآنية[9] .

(1) ابن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان : 267/4 .
(2) التوبة : 20 .
(3) محمد : 33 .
(4) ابن كثير : البداية والنهاية : 267/4 .
(5) النجم : 62 .
(6) البقرة : 112 .
(7) الرعد : 34 .
(8) إبراهيم : 50 .
(9) عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات القرآنية ، ص 17 ، 18 .

وكان عبد الله بن رواحة دائم الاستمداد من القـرآن ، إذ نراه يقتبسه في هجائه للمشركين[1] ، ولم يكتف بأن تكون ألفاظه شبيهـة بألفاظ القرآن الكريـم ، وقريبـة منه ، بل تعدى ذلك إلى أن أخذ ألفاظـه نفسها ، وشكل تراكيبـه[2] ، فيقول[3] : [من الوافر]

1 ـ شهدْتُ بأنَّ وَعْدَ اللهِ حـقٌّ وأنَّ النَّارَ مَثوَى الكافِرِينَا
2 ـ وأنَّ العَرْشَ فوْق المَاءِ طافٍ وفوْق العَرْشِ رَبُّ العَالمِينَا
3 ـ وتحْمِلُـهُ ملائِكـةٌ كِرَام مَلائِكـةُ الإلهِ مُسَوَّمِينَا

وهو بلا شك يستقي ألفاظه و معانيه من قوله تعالى : ﴿ إنَّ وَعْدَ اللهِ حَـقٌّ فلا تَغُرَّنَّكُم الحَيَاةُ الدُّنْيا ﴾[4] ، وقوله تعالى : ﴿ فاصْبر إنّ وعْـد اللهِ حق ﴾[5] ، وقوله أيضا : ﴿ أليْسَ فِـي جَهنَّـم مَثْـوًى للكافِرين ﴾[6] ، وقولـه أيضا : ﴿ ويحْمِلُ عرْش رَبِّك فوْقهُم يَومئذٍ ثمَانيّة ﴾[7] ، وقولـه : ﴿ وكانَ عرْشـهُ على المَاء ليبْلوّكم أيُّكُم أحسَـنُ عَمَلا ﴾[8] ، وقولـه أيضا : ﴿ عَلَيْـهَا مَلائِكةٌ غِـلاظ شِدَاد لا يعْصُون اللهَ مَا أمَرَهُم ﴾[9] .

ومن خلال هذه الأبيات نلحظ أن ((منطقة الغيبيات أشـدّ سيطـرة على الأبيات بين حديث الجنة والنار ومشاهد القيامـة ، وصورة العرش ورب العرش والعالمين جميعا ، ومـن حولها صورة الملائكة المقربين مـن خالقهم سبحانه وتعالى))[10] .

---

(1) شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص 68 .
(2) كامل فرحان صالح : الشعر والدين (فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي) ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 2005 م ، ص 121 .
(3) ابن كثير : البداية والنهاية : 7/1 .
(4) لقمان : 33 .
(5) غافر : 75 و 77 .
(6) العنكبوت : 67 ؛ الزمر : 32 .
(7) الحاقة : 17 .
(8) هود : 07 .
(9) التحريم : 06 .
(10) عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 19 .

كما يصف ابن رواحة ، النبي (صلى الله عليه وسلم) مقتبسا قوله تعالى : ﴿ تتَجَافَى جُنُوبُهم عَن المضَاجِـع يدْعُـونَ ربَّـهُم خوفًا وطمَعًا وممّا رزقناهُم يُنفِقون ﴾[1] ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ يَبيتُ مُجَافِي جَنْبِهِ عنْ فِرَاشِهِ إذا اسْتثقلت بالمُشركِينَ المَضاجِعُ

ونجده ينشد بين يدي النبي (صلى الله عليه وسلم) ، داعيا إلى الإسـلام ، فيقول[3] : [من البسيط]

1 ـ نُجَالِدُ النَّاسَ عَنْ عَرضٍ فنأسِرهم فِينَا النّبِـيّ وفيـنَا تنْزَلُ السّورُ
2 ـ وقدْ عَلِمْتُـم بأنَّا ليْس غالِبنَا حَيٌّ منَ النَّاس إنْ عَزّوا وإنْ كثرُوا
3 ـ يَا هَاشِم الخير إنَّ اللهَ فضّلكُم على البَرِيَّـةِ فضلا مَا لهُ غيرُ

وقوله متأثر بالآيـة الكريمة : ﴿ إن ينْصُركُم الله فلا غالِبَ لكُم ﴾[4] ، وبقوله أيضا : ﴿ وكذلكَ أوْحَيْنَا إليْك قرْآنًا عَرَبيًّا ... ﴾[5] .

ولننظر إلى إيـمان ابن رواحة في غزوة مؤتة (8هـ) ، وقد جسّـد نهايته الرائعة حيث الشهادة والخلود ، حين يكون قد صوّر كل موقف من مواقف بطولته في توجهه إلى مؤتة بأبيات شعرية متميـزة ؛ فقد ورد في السيـرة أن المسلمين ودّعُـوا الجيـش المجاهد بقولـهم : (صحَبكم الله ، ودفـعَ عنْـكم ، وردّكم صالحين)[6] ، ليجيبهم ابن رواحة بأبيات ثلاثـة فيـها دعاء من نمـط آخـر تماما ، إذ أنّه لم يرض بالدعاء له بالسلامة والعودة إلى الأهل والأحبـة ، وإنما يسأل الله أن يكرمه بالشهـادة ، فيدفن بعيـدا عن أهلـه ، وينال رحمـة الله ودعاء المسلمين له إذا مرّوا على قبره وتذكروا جهاده وصبره في سبيل إعْـلاء

(1) السجدة : 16 .
(2) البخاري : صحيح البخاري : 166/12 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : 82/5 .
(3) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 225/1 ، 226 .
(4) آل عمران : 160 .
(5) الشورى : 07 .
(6) ابن هشام : السيرة النبوية : 6/4 .

كلمة الله ، يقول[1] : [من البسيط]

1 ـ ولكِنّنِي أسْألُ الرّحمن مغْفِرة وضرْبَةً ذات فرغ تقذِفُ الزَّبَدَا
2 ـ أوْ طعْنَة بيَدَيْ حرَّان مُجْهزَةً بحَرْبَةٍ تُنْفِذ الأحْشاءَ والكَبِدَا
3 ـ حتّى يُقالَ إذا مَرّوا على جدّثِي أرْشدَهُ اللهُ منْ غازٍ وقدْ رَشدَا

ويناشد راحلته أن تسهم في تحقيق هذا الاستشهاد متخيلا نهاية رحلته السعيدة ، وقد ملكت نفسه صورة الشهيد الثاوي بعيدا عن أهله متمنيا تلك الصورة[2] ، فيقول[3] : [من الوافر]

1 ـ إذا أدَّيْتِنِي وحملْتِي رَحْلِي مَسِيرَة أرْبَع بعْد الحسَاءِ
2 ـ فشأنُكِ أنعم وخلاكِ ذمّ ولا أرْجِع إلى أهْلِي ورَائي
3 ـ وجَاء المُسْلِمُون وغادَرُونِي بأرْض الشّام مُشتَهي الثوَاء
4 ـ ورَدّكِ كُل ذو نسَبٍ قريب إلى الرحمَن مُنْقطِعَ الإخاءِ
5 ـ هُنالِك لا أبالِي طلعُ بَعْلٍ ولا نَخلٍ أسَافِلُهَا رواء

ويبدو خطاب عبد الله بن رواحة لناقته خطابا مختلفا عما عهدناه في الشعر الجاهلي ، فهو لا يدعو عليها بالهلاك إن لم توصله إلى بغيته ، ولا يصف إعياءها وتعبها ، ولكنه ينقل لنا تشوّقه إلى أرض الجهاد ، فيتعاطف مع ناقته موعِدا إياها بالذكر الطّيّب والرفعة التي يجسدها نعتها بخلوها من أي عيب أو ذم إذ يكفيها فخرا أن توصله إلى ساحة الشرف والاستشهاد[4] .

ثم يأتي دوره لقيادة جيش المسلمين ، بعدما استشهد جعفر وزيد ، فيقسم بالله أن يتغلب على لحظات ضعف قد تعتري مشاعره ، وكأن نفسه تراوده ليحجم عن المعركة ، فيذكرها بأنها ما هي إلا نطفة في شنة ، وأنها عاشت حياة

(1) ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان : 1134/1 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 898/3 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 6/4 .
(2) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 110 .
(3) ابن الأثير : الكامل في التاريخ : 235/2 ، 236 ، الحساء : جمع حسى ، وهو ما يفور في الرمل حتى يجد صخرا ، شأنك أنعم : أي تنعم بالحرية بعد موته ، الثواء : الإقامة في مكان ، بعل : الذي يشرب بعروقه من الأرض ، رواء : صنعة النخيل .
(4) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 111 .

طويلة في رغد واطمئنان ، وأنّه قد آن الأوان للبذل والعطاء ، فليس هناك من يكره الجنة ، يقول[1] : [من الرجز]

1 ـ أقسَمْتُ يَا نَفـسُ لتنْزِلَـنَّ لتَنْزِلَـنَّ أو لتُكرهِنَّهْ
2 ـ إنْ أجْلَبَ النَّاس وشدَّوا الرّنّه مَالِي أرَاكِ تكْرَهِين الجَنَّهْ
3 ـ قدْ طالَ مَا قدْ كُنْتِ مُطمَئِنَّهْ هلْ أنْتِ إلا نُطفَةٌ فِي شنَّهْ ؟

وقال أيضا مثبتا نفسـه على القتال مع الصبر والاستماتة في سبيل الله لرفع كلمـة الحق[2] : [من الرجز]

1 ـ يَا نَفسُ إلا تُقتَلِي تَمُوتِي هذا حِمَامُ المَوْتِ قد صُلِيتِ
2 ـ ومَا تمَنَّيْتِ قد أعْطيْتِ إنْ تفْعَلِي فِعْلَهَـا هُدِيتِ

ويلاحظ في مقطوعتيه الرجزيتين ((صدق عاطفته ، وعفويته في التعبير عن إحساسه))[3] ، والروح الإسلاميـة في أراجيزه واضحة وجلية دون أدنى شك ، كيف لا وهو يذكر " الجنة " و " الهداية " ، ويتمنى الشهادة في سبيل الله واللحاق بصاحبيه جعفر وزيد ، رضي الله عنهم جميعا .

وإذا عدنا إلى أشعاره التي قالها في الإسـلام وجدناها مسايرة لحياته اليومية ، مصاحبـة لجهاده وقتالـه فـي سبيل المبدأ والديـن ؛ فهو ينضح بتأثره بالقرآن الكريم والقيم الإسلامية ، ومتمثل إلى حد كبير لتلك القيم والتعاليم ، و ((لو حفظ شعره جميعا فلربما ساعد على توضيح صورة الشعر في صدر الإسلام ، لما امتاز به من سهولة في اللفظ وشيوع للمعاني الدينية))[4] .

ويمكن القول أن شعر الأنصار ، وإن كان أقل تمثـلا من غيره لقيـم الديـن الإسلامـي فـي نظر البعض[5] ، فإنه كان مكسوا بثوب الإيمان ملتزما بالمعاني

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 11/4 ؛ ابن كثير : البداية والنهاية : 67/5 ، نطفة : الماء القليل الصافي ، شنة : السقاء البالي .
(2) نفسه : 12/4 .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 112 .
(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 140 .
(5) نفسه ، ص 140 .

الإسلاميـة ، طالما كان في التزامها مزيدا من القوة للدفاع عن الدعوة ، جانحا إلى أسلوب الشعر الجاهلي متى كان في ذلك فائدة للدعوة أيضا[1] .

ب ـ في شعر المهاجرين :

لم يكن شعر الأنصار في المدينة وحده المتأثر بالديـن الإسلامي ، وقيمـه وتعاليمه السامية ، بل كان هناك شعر آخر عبر عن أماني المسلمين وسجل النزعة الدينية الجديـدة ، وذلك هو شعـر المهاجرين . ويعد **عبد الله بن جحش** أبرز شعراء المهاجرين المتأثرين بالدين الجديد .

فها هو قد اضطر لقتـال المشركين في الشهر الحرام ــ وهو من الأشهـر المقدسة في الجاهليـة والإســلام ــ ، فاستنكرت العرب وبينهـم الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، توقيت تلك الحرب ، إلا أن الله جل جلاله أنزل قولـه تعالى : ﴿ يسْئلونَك عَنِ الشّهرِ الحرامِ قتالٌ فيه قلْ قتالٌ فيه كبيرٌ وصدٌّ عن سبيلِ اللهِ وكُفرٌ بهِ وإخرَاجُ أهلِهِ منْهُ أكبَرُ عِند الله والفِتنَـة أكبَرُ مِنَ القتلِ ﴾[2] ، فأنشـد عبـد الله أبياتا يرد فيـها على مزاعم قريـش ، ويستفيد من الآيات الكريمة ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ تعدّونَ قتلا في الحَرام عَظِيمَةً وأعْظَمُ منْهُ لا يرى الرَّشد راشِدُ
2 ـ صُدُودكم عمّـا يقولُ مُحمَّدٌ وكُفرٌ بـهِ واللهُ راءٍ وشاهِدُ
3 ـ وإخرَاجُكم منْ مَسجِدِ اللهِ أهلَهُ لِئلا يُرَى للهِ فـي البَيتِ ساجِدُ

فالشاعر يستقي معنى أبياتـه من الآية السابقـة الذكر و من مجمل القرآن الكريم ، في قوله تعالى : ﴿ ولا يَجْرِمنّكم شنئانُ قومٍ أنْ صدّوكم عَن المسْجـدِ الحرامِ أن تعْتدُوا ﴾[4] ، كما أنّه يستقي مجمل ألفاظه من القرآن الكريم ، فاستهل

(1) محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، ص 185 ؛ ينظر : أحمد الشايب : تاريخ الشعر السياسي ؛ مصطفى الشكعة : الأدب في موكب الحضارة .
(2) البقرة : 217 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 208/2 .
(4) المائدة : 02 .

لفظـة " الله " ثلاث مرات ، ولفظة " الصمد " و " الكفر" و " ساجد " و " الحرام " و " الرشد " ، وغيرها . كما يلاحظ في شعره غياب الألفاظ الجاهليـة ، مما يدل على عمق إيمانه ، وصدق تمثله للإسلام في أسلوبه ومعانيه وألفاظه[1] .

وهذا **عَبدُ بنُ جحش** يصف ما يلقاه وأهله في سبيل الله ، كما يصف حال قريش حين هاجر إلى المدينة ، فذكر ما في هذه الهجرة من تلبية لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وقد وصف قريشا بأنهم قوم بغوا واعتدوا وزاغوا عن الحق فوسوس لهم الشيطان فأضلهم عن الحق والهدى[2] ، يقول[3] : [من الطويل]

1 ـ فقلتُ لهَا بل يثربُ اليومَ وجهُنَا | ومَا يَشأ الرّحمَنُ فالعَبْدُ يرْكبُ
2 ـ إلى اللهِ وَجْهي والرَّسول ومنْ يقمْ | إلـى اللهِ يومًـا لا يُخيّبِ

إلى أن يقول :

3 ـ أجَابُوا بحمدِ اللهِ لمّا دَعاهُم | إلى الحقّ دَاعٍ والنّجاحُ فأوْعبُوا
4 ـ وكُنَّا وأصحابٌ لنَا فارقوا الهُدَى | أعَانُوا عليْنَ بالسّلاح و أجْلبُوا
5 ـ كفوْجَين إمَّا منْهُـم فمُوفّـق | على الحقّ مَهدِيٌّ وفوجٌ مُعذّبُ
6 ـ طغوا وتمنَّوا كِذبَـة وأزلَّهُم | عن الحَقّ إبْلِيسٌ فخابُوا وخيَّبُوا

ومما لا شـك فيه أن الشاعر متأثر بآيات الذكر الحكيم ، خاصـة منها قوله تعالى : ﴿ إنِّي وجَّهتُ وجْهي للذي فطرَ السَّموات والأرْض حَنِيفًا ومَا أنا مـنَ المُشركين ﴾[4] ، كما أنه متأثر بألفاظ القرآن الكريم حيث استعمل ألفاظ : " الله " ، " وجه " ، " الرسول " ، " الحمد " ، " الهدى " ، " الحق " ، " فوج " ، " إبليس " . في حين لا نجد في هذه الأبيات لفظة جاهلية واحدة ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على صدق تعلق الشاعر بالإسلام . وهي أبيات من قصيدة متكاملة المعاني ، سلسة الألفـاظ ذات وحدة موضوعية بدءا من المطلع حتى النهايـة ، وفكرتها

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 142 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 100 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 97/2 .
(4) الأنعام : 79 .

الهجرة في سبيل الله . ولقد حمل الشاعر لغة قصيدته مفردات وأفكارا إسـلامية شملت معظم أبياته ، مما يدل على تأثر الشعـراء بلغة القـرآن منذ وقت مبكر ، وبالإضافة إلى ما ذكرنا سابقا من مفردات إسلامية ، فإن من بين الأفكار الإسلامية الهامة الواردة في القصيدة ، تأكيد الشاعر أن خشيته لله تعالى هي التي دعتـه للهجرة في سبيله ، وهجرتـه إلى يثرب لم تكن إلا بإرادة الله ، كما أن هجرته لم تكن إلا لله ورسوله ، ومن يتوجـه إلى الله لا يخيب[1] .

وفي أبيات أخرى نرى شاعرنا أبا أحمد بن جحش يهتز لنبأ بيع داره من قبل صهره أبي سفيان ، فيخاطبه ، مؤنبا له على فعلته قائلا[2] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ أبْلِغ أبَا سُفيَان عَن أمْرٍ عَواقبُه نَدَّامَهْ
2 ـ دَارُ بن عَمِّك بعتَها تقضِي بها عنْك الغرَامَهْ
3 ـ وحَليفكم باللهِ ربّ النَّاس مُجتهدُ القسَامَهْ
4 ـ اذْهَبْ بها اذْهَبْ بهَا طُوِّقتَهَا طوْق الحَمَامهْ

وقد بدأ الشاعر أبياته بأسلوب أمر محذرا من خلاله أبا سفيان مـن العواقب المترتبة عن فعلته ، كيف لا وقد باع دار صهره وابن عمه ، كما لجأ إلى تكرار الأسلوب نفسه ؛ أسلوب الأمر في البيت الأخير ، فكرر التركيبة " اذهب بها " مرتين ، وإن دل هذا التكرار على شيء فإنما يدل على ((ألم الشاعر النفسـي لضياع داره ، وبيعها مـن قبل مـن تربطه به صلة قرابة قويـة ، إنـه والد زوجته))[3] .

وعليه فلم يعد الشعر في عصر النبوة ((وقفا على الشعراء الفرسان ، مقتصرا على أبواب الفخر والحماسـة والرثاء ... ولكن بدأ يمارسه شعـراء اختصوا به ، فاهتموا من ناحيـة المضمـون باهتمامات العصـر ، فسلس أسلوبـه ، ورقت ألفاظه ، وعذبـت موسيـقاه ، وعكـس الوقـع الإسـلامي الجديـد))[4] .

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 176 ، 180 .
(2) ابن سعد : كتاب الطبقات الكبير : 96/4 .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 181 .
(4) قصي الحسين : النقـد الادبـي عند العـرب واليونان (معالمه وإعلامه) ، المؤسسـة الحديثـة للكتاب ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 2003 م ، ص 103 ، 104 .

فهذا **عبـد الله بن الحارث السهمي** يصور ما لاقاه و إخوانـه المهاجرون من أمْن وطمأنينة في الحبشـة ، كما يحرض قومه على الثـورة ضد قريـش ، ويدعوهم إلى الهجرة هروبا بأنفسـهم ودينـهم من بطـش قريش واضطهادها ، فيقول[1] : [من البسيط]

1 ـ إنَّا وجَدْنَا بلادَ اللهِ واسِعـةً تُنْجي منَ الذّلّ والمَخزاةِ والهُون
2 ـ فلا تُقِيمُوا على ذلّ الحياةِ وخِزْ يٍ في الممَاتِ وعيْبٍ غيْرِ مَأمُون
3 ـ إنّا تبِعْنَا رَسُولَ اللهِ واطّرَحُوا قولَ النّبيّ وعَالُوا في الموَازين
4 ـ فاجْعَلْ عَذابَك في القوم الذينَ طغَوا وعَائِذًا بِك أنْ يَعْلُوا فيُطغُونِي

وثقافته القرآنية واضحة من خلال هذه الأبيات ، إذ أنه متأثر بقولـه تعالى : ﴿ فلهُم أجْرٌ غيرُ مَمنُون ﴾[2] ، وقولـه أيضا : ﴿ ربَّنا آمَنّا بمَا أنْزلت واتّبَعْـنا الرّسُول فاكتبْنا مَع الشّاهِدِين ﴾[3] ، وقولـه تعالى : ﴿ ونضعُ المَوازينَ القسْـط ليوم القيامة ﴾[4] ، وقوله أيضا : ﴿ اللهُ الذي أنْزلَ الكِتابَ بالحقّ والمِيزان ﴾[5] .

وقد ختم أبياتـه بالدعاء سائلا الله أن يسلط عذابه على القوم الظالمين حتى لا تقوم لهم قائمـة . كما نجده فـي أبيات أخرى يقتبـس مـن القصص القرآني ، فيهـجو قريشـا ((لجحودهـا حق الله ، مشبـها جحودهـم بجحود عاد ومدين والحجر ، ... ، وكل أولئـك الأقوام قص القرآن جحودهم في آيات كثيـرة ، وفي سور مختلفـة))[6] ، يقول[7] : [من الطويل]

1 ـ وتِلْك قريْشٌ تجْحدُ اللهَ حقّهُ كما جَحِدتْ عادٌ ومَدْيَنُ والحِجْرُ

وهذه **صفية بنت عبـد المطلب** قد أصيبت باستشهاد أخيهـا حَمـزة

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 253/1 ، عالوا : ظلموا وجاروا .
(2) التين : 06 .
(3) آل عمران : 53 .
(4) الأنبياء : 47 .
(5) الشورى : 27 .
(6) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 214 .
(7) ابن عبد البر : الاستيعاب : 885/3 .

في أحد (3هـ) أشد مصاب ، فقامت ترثيه رضي الله عنها ، رثاء أخت صادقة في حبها لأخيها البطل ، صادقة في إيمانها ، لقد كان وزير رسول الله ، وقد لبى نداء ربه ليحشر في جنـة النعيم في زمرة الشهداء[1] ، وقد أبدت صبرا واحتسابا في سبيل الله ، تقول[2] : [من الطويل]

1 ـ فقالَ الخبيرُ إن حَمْزة ثوَى وَزيرَ رَسُول الله خيرَ وزير
2 ـ دَعَاهُ إلهُ الحقّ خيْر دعْوَة إلى جنَّةٍ يَحْيَ بها وسُرُور
3 ـ فذلِك مَا كُنَّا نُرجِّي ونرْتجِي لِحمْزة يوْم الحشر خيْر مَصِير

والظاهر أن الشاعـرة قد استلهمت آي الذكر الحكيم ، في قولـه تعالـى : ﴿ واجْعَل لي وَزِيرًا منْ أهلِي ﴾[3] ، وقولـه أيضا : ﴿ والذيـنَ آمنُـوا وعمِلُوا الصّالِحاتِ أولئك أصحَابُ الجَنَّة ﴾[4] ، وقولـه عز وجل : ﴿ ولا تحْسبَنَّ الذيـنَ قتِلُوا في سبيل اللهِ أمْواتا بل أحْياءٌ عنْد ربِّهم يُرزَقون ﴾[5] .

وتبكي الرسـول (صلى الله عليـه وسلم) ، فتذكر في قصائـدها ألفاظا إسلاميـة عديدة مثل : " الرسـول " ، " البر " ، " الرحيم " ، " النبي " ، وغيرها ، فتقول[6] : [من الطويل]

1 ـ ألا يَا رَسُولَ اللهِ كُنْت رَجاءَنَا وكُنْت بِنَا بَرًّا ولمْ تكُ جَافِيا
2 ـ وكانَ بنَا بَرًّا رَحِيمًا نبيَّنَا لِيَبْكِ عليْك اليَوْمَ منْ كانَ باكِيا
3 ـ لَعَمْرِي ما أبْكِي النّبيَّ لفقدِهِ ولكِن لِهَرْجٍ كانَ بَعْدك آتِيا

والملاحظ أن شعر صفية بنت عبد المطلب وغيرها من الشواعر المهاجرات ، قد غلب عليه الرثاء ، فكان فـي مجملـه شعر ندب وعويل . ولكنه لم يعدم تأثرا بالقرآن الكريم والقيم الإسلامية ، كما لاحظنا ، أضف إلى ذلك أن شعر المهاجرين

(1) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 111 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 110/3 ؛ عبد البديع صقر : شاعرات العرب في الجاهلية ، ص 227 .
(3) طه : 29 .
(4) البقرة : 82 .
(5) آل عمران : 169 .
(6) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 113 ، الهرج : الفتنة .

في مجمله ، جاء خاليا ((من ألفاظ الجاهليـة وأسلوبها ، وشبيها بأسلوب القـرآن الكريم ألفاظا وتعابيرا ومعنىً وموسيقى))[1] .

ج ــ في شعر الوافدين من البادية :

لم يكن الشعر المتأثر بالإسلام مقتصرا على شعر الأنصار وشعر المهاجرين فقط ، بل تعداهم إلى شعراء كانوا يسكنون الباديـة ، ثم وفدوا على النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، إبّان الفتح وبعده ، وهذا ما سنتبينه من خلال دراستنا لأثر الدعوة في شعرهم .

لا غرو إذا قلنا بأن شعر البادية فـي العهـد النبوي كان فـي معظمه شعر جاهلي ، يجري على ألسنة جاهلية ، و يفيض عن وجدانات جاهلية ، ويعبر عن حياة جاهليـة ، ومن ثَمَّ يصْدق عليـه ما يصدق على الشعر الجاهلـي الذي كان مزدهرا قبل الإسلام من خصائص الشكل والمضمون[2] .

إلا أن هذا لا يعني بالضرورة غياب شعر بدوي متأثر بالإسلام ، إذ أن كل ما في الأمر أن شعراء البادية المتأثرين بالدعوة الإسلامية في العهد النبوي ، كانوا قلة قليلـة بالنسبـة للشعراء الذين كانت تموج بهم البادية ، وتردد أشعارهم . كما أن التطور في شعرهم قد جرى على ((على نحو طبيعي تدريجي))[3] ؛ فلغتهـم الشعرية تعتبر حلقة ضروريـة في التدرج اللغوي ، بين لغة الجاهلية المتقعرة ، ولغة الإسلام السهلة العفوية[4] . وربما يعود ذلك إلى أنّهم لم يكونوا من مُحترفي الشعر بل كانوا يقولونه في لحظات من الانفعال القوي لفقد عزيز أو اغترابه فـي الفتوح أو لحنين جارف إلى مواطنهم الأولى للفخر بفروسيتهم وبلائهم فـي حروب الفتوح ، ولم يكن لديهم ذلك الإلمام الواسع بالتراث الشعري الجاهلي ـ إذا استثنينا كعب بن زهير ــ ، ولا ذلك الرصيد الضخم من الألفاظ والعبارات والصور، لذلك جاءت أشعارهم تلقائية في مقطوعات قصيرة ، أقرب ما تكون في لغتها وصورها

(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 146 .
(2) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 213 .
(3) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 49 .
(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 146 .

إلى طبيعة العصر[1] ، ولذلك يمكن اعتبار أشعار هؤلاء الوافدين من البادية أكثر الأشعار المتأثرة بالدين الإسلامي وقيمه وتعاليمه ، وهذا ما سنراه من خلال تتبعنا لشعر أبرزهم .

لقد وجد في شعر البادية نماذج وأصداء إسلامية ، ظهرت واضحة عند مجموعة من الشعراء ، الذين وفدوا على النبي (صلى الله عليه وسلم) إبّان الفتح وبعده[2] .

فهذا **العَبّاسُ بن مرْداس السّلمي** وقد وفد إلى المدينة عام الفتح (8هـ) ، والتحق بالرسول (صلى الله عليه وسلم) في ألف من بني سليم ، وشارك في نصرة المسلمين بالسيف واللسان ، فيقول مفتخرا ببلائه وبلاء قومه في نصرة المسلمين[3] : [من الطويل]

1 ـ سَرَيْنَا ووَاعَدْنَا قُدَيْدًا مُحمَّدَا يَؤُمَّ بنَا أَمْرًا منَ اللهِ مُحْكمَا
2 ـ تمَارُوا بنَا في الفجْر حتّى تبَيَّنُوا معَ الفجْرِ فِتيَانًا وغابًا مُقوّمَا

إلى أن يقول :

3 ـ وجُنْدٌ منَ الأنْصار لا يخذلُونَهُ أَطاعُوا فمَا يَعْصُونَهُ مَا تكلَّمَا
4 ـ فإنْ تكُ قد أَمَّرْتَ في القوْمِ خالِدا وقدَّمْتَـهُ فإنّـهُ قدْ تقدَّمَا

والواضح أنّ الشاعر متأثر بالقرآن الكريم ، ومتمثل إلى حد بعيد التعاليم الإسلام ، في قوله تعالى : ﴿ سُبْحان الذي أَسْرَى بعبْدِهِ ليْلا ﴾[4] ، وجاء في الذكر الحكيم : ﴿ هوّ الذي أنْزل عليْك الكتَابَ منْهُ آياتٌ مُحكمَاتٌ هُنَّ أُمَّ الكِتاب ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ منْ يُطع الرّسُول فقد أَطاعَ الله ﴾[6] ، وقال جل وعلا :

(1) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 49 ، 50 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 112 .
(3) العباس بن مرداس السلمي : الديوان ، ص 141 ، 142 ، تماروا بنا : شكوا فينا ، الغاب : الدفاع ، قديدا : موضع قرب مكة .
(4) الإسراء : 01 .
(5) آل عمران : 07 .
(6) النساء : 80 .

﴿ يَا أَيُّها الذيـنَ آمَنوا أَطيعـُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرّسُـولَ وَلا تُبْطِلُوا أعمَالكُم ﴾[1] ، وغيرها من الآيات القرآنية[2] .

والعباس بن مرداس شعر قاله في مناسبات متعددة ، إذ نراه وقد أثارت معركة حنين (8هـ) شاعريته ، فانطلق يصور هذه المعركـة بجميع أبعادها[3] ، مفتخرا بفضل قبيلته في مواجهة المشركين ، وتحقيق النصر ، فيقول[4] : [من الكامل]

1 ـ نُصِرَ النّبيَّ بنَا وكُنَّا مَعْشرًا في كُلِّ نَائِبَةٍ نضُرّ وننْفعُ
2 ـ زُرْنَا غدَاتئِذٍ هَوَازِن بالقنَا والخيْلُ يهزّهَا عجَاجٌ يسْطعُ

وتمثل هذه الأبيات فخرا بقوة قبيلـة سليم في مواجهـة قوى الكفر المعاديـة للرسـول عليه السـلام ، ووفائها بالوعد الذي أخذته على نفسها فآزرت الرسـول (صلى الله عليـه وسلم) ، فكان النصر على أيديـها وبقوتها ولولاها لما أحرز المسلمون هذا النصر[5] .

وإذا كان فخره في هذه القصيدة لا يختلف كثيرا عن لغـة الفخـر الجاهلـي وأسلوبـه ، فإنه ليس كذلك في معناه ، إذ أنّ فخره بقومـه وشجاعتهم ليس فخرا بإشاعـة الظلم ، ولكن لنصرة الإسلام ، والسعي لمرضاة الله ورسولـه ، ولا أدل على ذلك مـن فخره ببلاء قومـه يوم حنين ، أين خاضوا غمار الحرب حامليـن أرواحهم على أكفهم في ثبات وصبر ، دون أن يجدوا غضاضة ؛ فهم إنما خرجوا لنصرة الرحمن ودينه[6] ، يقول[7] : [من البسيط]

1 ـ واذكُرْ بَلاءَ سُلَيْمٍ في مَواطِنِها وفي سُلَيْمٍ لأهْل الفخرِ مفتَخرُ
2 ـ هُم بَنُو الحرْبِ والموت الدّعَاف إذا لاقَى الكتائِبَ منهُم قادَةٌ صبُرُ
3 ـ قومٌ هُم نصَرُوا الرّحْمَنَ واتّبَعُوا دِينَ الرَّسُولِ وأَمْرُ اللهِ مُشتَجَرُ

(1) محمد : 33 .
(2) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 147 .
(3) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 433 .
(4) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 99 ، 100 .
(5) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 334 .
(6) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 338 .
(7) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 73 ، مشتجر : مختلف .

إلى أن يقول[1] :

4 ـ ونحنُ يومَ حُنَيْنٍ كانَ مشهَدُنَا للدِّين عِزٌّ وعِنْد اللهِ مُدَّخرُ

فقبيلة سليم مشهورة بالشجاعـة وحب القتال ، وانتصارها على قبائل هوازن وثقيف في يوم أَوْطاس ومعركتي حنين والفتح يمثل هذه الشجاعة المتأصلة فيها ، ومن ثَمَّ كان الفخرُ بهذه الشجاعة جاهليا ولكن توجيهها في نصرة الرسول (ص) ، وجعل هذه النصـرة أساسًا للفخـر ومعيارا للفضل أحال هذه الشجاعـة إلى معنى إسلامي ، فعرض صورة ناطقة عن إيمان العباس وعقيدته ، وأسهم في إبراز هذه الصورة نضاله في سبيل هذا الإيمان والعقيـدة ، وقتاله المشركين لكي ينقادوا لأمر الله ويذعنُوا للإسلام ويركنوا إلى السلام وإلا فالحرب[2] ، يقول[3] : [من الوافر]

1 ـ فإن يُهْدوا إلى الإسْلام يَلفوا أنوفَ النّاس مَا سَمَر السَّميرُ
2 ـ وإنْ لمْ يُسْلِمُوا فهُم آذانٌ بحَرْبِ اللهِ ليْسَ لهُم نَصِيرُ

وللعباس شعر كثير في حنين (8هـ) ، ويكاد ينحصر معناه في الفخـر ببلاء قومه الذين نصروا الرسول (صلى الله عليه وسلم) في مكة ، وأبلوا البلاء العظيم فـي حنين ، وفي قهر هوازن وإذلالها[4] ، ويبدو أنَّ لقرب إسلام العباس وقومه من هذه المعركة أثره في إبرازها في شعره ، وفخره بما كان مـن قومه فيها[5] ؛ فهي ــ إلى ذلك ــ تكشف عن فرحة كامنة في النفس بالدخول في الدين الجديد ، ومصاحبة الرسول الكريم (صلى الله عليه وسلم) ، ولعل في هذا تفسيرا لقوله في يوم حنين وحده ((تسع قصائد في مائة واثنين وثلاثين بيتا))[6] .

أما المدح فليس من طبائع العباس بن مرداس ، ولا التكسب بالشعر ديدنه ، وإنما هو يمدح على صنائع تشد انتباهه ، وتستحوذ على إعجابـه[7] ، فلما اعتنق

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 74 .
(2) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 436 .
(3) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 70 .
(4) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 218 .
(5) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 240 .
(6) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 119 .
(7) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 246 .

الإسلام ، ووجد نفسه أمام المثل العليا والقيم النبيلـة ، تحركت مشاعره فياضـة ، فاندفـع بالثناء الصادق ، والمدح الخالص للرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، ولرسالته وما حملته من نور الهدايـة لتخرج الناس من الظلمات إلى النـور ، ومن ذلك قوله[1] : [من الكامل]

1 ـ يَا خاتَمَ النَّبَآءِ إنَّك مُرْسَلٌ بالحَقِّ كُلَّ هُدَى السَّبيلِ هُدَاكَا
2 ـ إنَّ الإلَهَ بَنَى عَلَيْك مَحبَّةً في خلْقِهِ و مُحمَّدًا سَمَّاكَا

وهو متأثر بلا ريب بقولـه تعالى : ﴿ مَا كانَ مُحَمَّدٌ أبَا أحَدٍ منْ رِجالِكُم ولكِن رَسُول اللهِ وخاتـمَ النَّبيّيـنَ ﴾[2] ، وبالآيـة الكريمة : ﴿ إنَّا أرْسلْنَاك بالحقّ بشِيرا ونذِيرا ﴾[3] .

ويتابع العباس قصيدته مفتخرا بوفاء قومه للرسـول (ص) ، ومستحضرا قوله تعالى : ﴿ وأوفُوا بعَهْدِ اللهِ إذا عَاهَدتم ﴾[4] ، فيقول[5] : [من الكامل]

3 ـ ثُمَّ الذِين وَفَوْا بِمَا عَاهَدتهُم جُنْدٌ بَعثتَ عليْهمُ الضَّحّاكَا
4 ـ رَجُلٌ بهِ ذَرَبُ السِّلاحِ كأنَّهُ لمَّـا تكَنَّفهُ العَدُوّ يَرَاكَا

ونراه يمدح الرسول عليه السلام في قصيدة متميـزة ، يتجلى فيهـا التطور الكبير في أسلوب مديحـه من ناحيـة رقة اللفظ والاهتمام بالفكرة بالإضافـة إلى الاتجاه الإسلامي[6] ، يقول[7] : [من البسيط]

1 ـ وأنْت لمَّا وُلِدتَ أشرَقتِ الـــ أرْضُ و ضاءَتْ بنُورِكَ الأفُقُ
2 ـ منْ قبْلِها طِبْتَ في الظلامِ وفي مُسْتوْدَعٍ حيثُ يُخصَفُ الورقُ

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 122 .
(2) الأحزاب : 40 .
(3) البقرة : 119 .
(4) النحل : 91 .
(5) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 122 ، 123 ، ذرب السلاح : حدته ومضاؤه .
(6) محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإسلام والعصر الأموي ، دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان ،1995 م ، ص 89 .
(7) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 119 ، المستودع : موضع الوديعة ، ويقصد الموضع الذي كان فيه آدم وحواء من الجنة ، وقيل أراد به الرحم .

وظل العباس يتتبع مناقب الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وكلما وقف على منقبة جلاها ، وأبرزها ؛ فالرسول عليه السلام مخلص في أداء رسالة ربـه بعقل ورشاد ، كما يقول[1] : [من الطويل]

1 ـ منْ مُبْلِغ الاقوامِ انّ مُحمّدا رَسُولُ الإلهِ راشِدٌ حيث يمّمَ
2 ـ دَعَا رَبَّهُ واستنصرَ اللهَ وَحْدهُ فأصْبَحَ قد وَفّى إليْهِ وأنْعَمَا

ونجده يقارن بين جاهليته وما كان عليه من شرك وضلال ، وإسلامـه حيث ينعم بصحبة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ لعمري إنـي يوم أجعلُ جَاهِدًا ضِمَارًا لربِّ العَالمِينَ مُشاركَا
2 ـ وتركْي رَسُولَ اللهِ والأوْسُ حولَهُ أولئـكَ أنْصارٌ لـهُ مَـا أولئكَا
3 ـ كتَاركِ سَهْلِ الارْضِ والحَزْنَ يبْتغِي ليَسْلُك في غيْبِ الأمُورِ المَسَالِكَا
4 ـ فأمَنْـتُ باللهِ الذي انَا عَبْــدُهُ وخالفْتُ منْ امْسَى يُرِيدُ المماَلِكَا
5 ـ ووَجَّهْتُ وَجْهي نَحوَ مكّـة قاصِدًا وتَابَعْتُ بينَ الأخشبَيْـنِ المُبَارَكَا

ولم يفته في هذه القصيدة أن يقارن بين الرسـول (صلى الله عليه وسلم) ، وبين من سبقه من الانبياء ، فقد جاء بالحق الناطق ، وكان أميـنا على الفرقان ، وأول شافع ، وآخر مبعوث تخاطبه الملائكة[3] ، يقول[4] :

6 ـ نَبيٌّ أتانَا بَعْدَ عِيسَى بِنَاطِقٍ مِنَ الحقِّ فيه الفصلُ منْهُ كذلِكَا
7 ـ أمِينًا على الفُرْقانِ أوّلُ شافِعٍ وآخِرُ مَبْعُوثٍ يُجِيـبُ المَلائِكَا

وغني عن البيان تأثر ابن مرداس بالقـران الكريم ، وما ألفاظه وتعابيـره " خاتم الأنبياء " و " مرسل بالحق " و " امنت بالله " و " رسول الله " و " عبده " و " نبي أتانا بعد عيسى " و " أمينا على الفرقان " و " أول شافع " و" آخر مبعوث "

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 141 .
(2) نفسه ، ص 120 ، ضمار : صنم كان لهم ، الحزن : ما غلظ من الأرض ، الممالكا : لعله يريد المحالكا ، أي الظلمات ، الأخشبان : جبلان محيطان بمكة .
(3) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 246 .
(4) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 120 .

إلى ما هنالك ، إلا ألفاظ وتعابير مستمدة من القرآن الكريم . ولم يكن يعقل أن يأتي أحد بمثل ما أتى به ابن مرداس لو لم يكن متمثلا للإسلام تمثلا عميقا إلى حد ما ، قال تعالى : ﴿ واعْبُـدُوا اللهَ ولا تُشركُـوا بهِ ﴾[1] ، وجاء في التنزيل الحكيم : ﴿ ذلِكُم اللهُ رَبّكم لا إلهَ إلا هو خالِـقُ كُلِّ شيءٍ فاعبُدُوه ﴾[2] ، وجاء في الآيـة الكريمة : ﴿ وانْزلَ التّوْرَاة والإنْجِيلَ مـنْ قبْلُ هُدًى للنّاس وانْزل الفرْقان ﴾[3] ، وقال تعـالى : ﴿ وآتَيْنَاك بالحَـقِّ وإنَّا لصادِقون ﴾[4] ، وقال سبحانه وتعالى : ﴿ فتوكّل على اللهِ إنّك على الحَقِّ المُبين ﴾[5] .

وواضح من حياة ابن مرداس ونشأته أنه بدوي خالص البداوة ؛ مرتبـط بقبيلته ، حريص على مكانته معها ؛ لا يرضى بالحياة بين عشيرته ولا فوق أرض سُليْم بديلا ، حتى حين تيسّر له أن يجد متسعا من الحياة خارج حدود باديته لم يقبل أن يستبدل بها أي موطن آخر على الرغم مما في هذا الموطن الجديد من مغريات، ويكفي أن يكون من بين ذلك ملازمة الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فهو تحت إلحاح الضرورة لا يجد سبيلا ، إلا مغادرة البادية حتى إذا أدى ما عليه من واجب الجهاد عاد إليها . بل إنه حين فكر في الخروج إلى البصرة على عهد عمـر بن الخطاب رضي الله عنه ، أبى أن يكون خروجا إلى المدينة ، فآثر بادية البصرة ، ليستبدل بادية ببادية[6] .

والذي ينظر فيما وصلنا من شعره يلاحظ أثر هذه البيئة البدوية فيه واضحا كل الوضوح ؛ إذ يلاحظ ذلك في فنونه الشعرية ، ويلاحظه في أفكاره ، ويلاحظه في معانيه وأخيلته ، ويلاحظه في أسلوبه ومنهجه الفني في عرض أفكاره ومعانيه.

فالشاعر يكاد يقصر شعره على الفخر والهجاء وهما أبرز فنـون الشعـر البدوي الخالص من التيارات الأخرى ، أما ما عدا ذلك من فنون الشعر فقد تناوله

(1) النساء : 36 .
(2) الأنعام : 102 .
(3) آل عمران : 04 .
(4) الحجر : 64 .
(5) النمل : 79 .
(6) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 235 ، 236 .

عرضا لا باعتباره فنا مستقلا ، وما استقل منها فهو قليل نادر[1] ، كما هو الشأن في مدحه للرسول (ص) .

والناظر في أساليب الشاعر وألفاظه ، وفي معانيه وأخيلته لا يستطيع أن يغير ما قررته فنونه الشعرية من قبل ، فهو ــ كذلك ـ بدوي حضري ، تمتزج لديه الطبائـع البدويـة بالطبائع الحضرية خاصة وأنه كان دائم الترحال والتنقل ، لذا تميزت تراكيبه بالبساطة القوية ، كما اتسمت ألفاظه بالسهولة والوضوح[2] .

وإذا وجهنا النظر إلى معانـي شعره وجدناهـا تمتاز بالصدق والصراحـة والوضوح ، إلى جانب البساطة والقرب والوضوح .

أما خيالاته وصوره ، فقد استقاها من البيئة البدويـة ، بمكوناتها الحيوانية والنباتية ، وظواهرها الطبيعية التي تبدو ماثلـة في شعـره ؛ فالخيل إذا اندفعت في الحرب بقـوة ، وأراد تصويرها ، لجأ إلى مرائيه المتكررة فـي هذه البيـئة فانتقى منها مـا يقرب الصورة ويوضحها ، فلم يجد سوى السيل العرمرم الذي لا يكاد يغيب عـن ناظر بدوي مثله[3] ، وذلك في تشبيهه اندفاع الجنود في المعركة رجالا وفرسانا ، فيقول[4] : [من الطويل]

1 ـ عَلى الخَيْلِ مَشْدُودًا عليْنَا دُرُوعُنَا ورَجْلا كدُفّـاعِ الأتِيِّ عرَمْرَمَا

واللواء الخافق الذي تهفو إليه الأفئدة ، وتتطلع إليه النفوس ، يشبه البرق في لمعانه بين السحاب[5] ، يقول[6] : [من الطويل]

1 ـ أمَامَ رَسُول اللهِ يخفقُ فوْقَنَا لِوَاءٌ كخُذْرُوفِ السّحَابةِ لامِع

(1) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 236 .
(2) نفسه ، ص 250 .
(3) نفسه ، ص 253 .
(4) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 141 ، رجلا : مشاة ، الأتي : السيل يأتي من بلد إلى بلد ، الدفاع : كثرة الماء وشدته ، العرمرم : الكثير .
(5) علي أحمد علام : شعراء فرسان تحت راية الإسلام (تاريخ وظواهر فنية) ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، القاهرة ، مصر ، ط 1 : 2001 م ، ص 304 .
(6) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 108 .

أو يشبّهُـه بالعقاب المحلـق الذي يحوم حول الفريسـة ليختطفـها[1] ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ بِمَكّة إذْ حِثْنَا كأنّ لِواءَنَا عُقابٌ أرَادتْ بعْد تحْلِيقِها خطْفا

والجيش إذا كثر جنوده ، وكشف عتاده ، وأصبح يترجرج في حركته يشبـه النجوم المتلألئة في السماء ، يراها الناظر ولا يحيط بها حصرًا ولا عدا[3] ، و ذلك قوله[4] : [من المتقارب]

1 ـ ورَجْرَاجةٌ مِثْلُ لوْنِ النَّجُو م لا العُزلُ فيها ولا الحُسَّرُ

إلى غير ذلك من الصور المنتزعة من البيئة البدوية التي أثرها الشاعر على الحاضرة حتى بعد إسلامه .

والحق أن العباس بن مرداس قد تمثل الإسلام في شعره تمثلا واضحا ، في أفكاره وألفاظه وأساليبه ومعانيه ، قل نظيره ، حتى يُخيّل إلينا أنّه غسل نفسه تماما من كل ما هو جاهلي ، مما يجعلنا نتساءل ، كيف لشاعـر أن يفصل نفسـه عن مرحلة النشأة والتكوين الفني ، والعمودية الشعرية المقدسـة التي لا زال الشعراء يُجارونها إلى الآن .

أما ثاني شعراء البادية الذين اتضح اثر الدعوة الإسلامية في شعرهم ، فكان كثيرا ما يتقيـد بقواعد الإسـلام ، ويستجيب لأوامـره ، وينتهي بنواهيـه[5] ، هو **كعْب ابن زُهير بن أبي سُلمى المُزني** صاحب البُردة .

فكعب وفد على النبـي (صلى الله عليه وسلم) بعد الفتـح ، فأسلم ، وأنشد قصيدة يعتذر فيهـا عما بدر منه ، وقد تجلى فيهـا تأثره الواضح بالإسـلام ، إلا

(1) علي أحمد علام : شعراء فرسان تحت راية القرآن ، ص 304 .
(2) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 115 .
(3) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 253 ، 254 .
(4) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 76 ، رجراجة : كتيبة تتمخض ولا تسير لكثرتها ، العُزل : الذين لا سلاح لهم ، الحسّر : الذين لا دروع لهم .
(5) شكري فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان، ط 7 : 1986 م ، ص 260 .

أنه بدأ قصيدتـه بما كان يبدأ به الشعراء الجاهليين من الغزل الذي لم ينفكّوا عنه في كل أشعارهم[1] ، الأمر الذي جعل بعض الدارسين يجزم بأن كعب لم يخرج قيد أنملة عن إطار الرؤية القديمة ، ومدحه للرسول (صلى الله عليه وسلم) لا ينبىء عن فهـم للإسلام ، ولا يختلف عن مدح أي شاعر جاهلي لبعض من كان يطلب رفدهم[2] ، كما ان الشاعر لم يغير شيئا من المذاهب الشعرية حين خاطب النبـي (صلى الله عليه وسلم)[3] ، ولم يتورع عن ذكر محبوبته التي كبلت قلبه وأسرته ، ليصف محاسنها وصفا جاهليا صرفا .

يقول كعب فـي قصيدته اللاميـة ، التي أعجب بها الرسـول (صلى الله عليـه وسلم) ، فكساه بردته[4] : [من البسيط]

1 ـ بَانَت سُعَادُ فقلْبي اليَوْمَ متْبُولُ مُتيَّمٌ إثرَهَـا لم يُجْـزَ مكْبُولُ
2 ـ ومَا سُعَادُ غَدَاة البَيْنِ إذ رَحَلُوا إلا أَغَنّ غَضِيضُ الطّرْفِ مَكحُولُ

والملاحظ أن الشاعر قد استهل قصيدته بمقدمة غزلية لطيفة ليس فيهـا بكاء على الأطلال ، أو مخاطبة الرفقة ، وإنما بدأها بالغزل مباشرة حتى صار مطلعها مثلا ورمزا يشار إليه " بانت سعاد ... "[5] .

وقد ذكر محبوبته سعاد ، واصفا ثغرهـا ومشبها حلاوته بخمرة شُجّت بماء بارد ، ثم يصف هذا الماء ويبالغ في تصوير برودتـه وصفائـه ، وبعد ذلك يشكو هجرها وإخلافها ، ومواعيدها العرقوبيـة ، ولم يخرج في ذلـك كلـه عن معاني الغزل في العصر الجاهلـي ، ولكنه وسمـها بسمات جماليـة فنيـة تمثـل اسلوبـه المعتمـد على اللغـة الجزلـة السلسـة ، والصـور الجميلـة ،

(1) النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية النبوة والخلافة ، ص 279 .
(2) فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكنـدرية ، مصر ، 2000 م ، ص 96 .
(3) زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، ص 35 .
(4) كعب بن زهير : الديوان ، صنعة : أبي سعيد الحسن بن الحسين العسكري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه: حنّا نصر الحتي، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ / 2004 م ، ص 26 ، 27 ، بانت : فارقت ، متبول : أصيب بتبل ، أي أصيب بهيام حتى السقم والضعف ، مكبول : مقيد ، أغن : في صوته غنّة ، غضيض الطرف : فاتر الطرف .
(5) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 229 .

والإيقـاع المتوازن المعتمد[1] ، يقول[2] :

3 ـ فمَا تَدُومُ على حَالٍ تكُونُ بهَا كمَا تلوّنُ في أثوَابها الغُولُ
4 ـ ومَا تمَسّك بالوَصْلِ الذي زعَمَت إلا كمَا ثُمْسِكُ المَاءُ الغرَابيلُ
5 ـ كانَت مَوَاعِيدُ عُرْقوبٍ لهَا مَثَلا ومَا مَواعِيدُها إلا الأبَاطِيلُ

ثم ينتقل إلى وصف ناقتـه ، فيصفها على اتم ما يصف به الجاهلي ناقته[3] ، فيقول[4] :

6 ـ ضخْمٌ مقلّدُهَـا فعمٌ مُقيّدُهـا في خلْقِهَا عنْ بنَاتِ الفحْلِ تفضِيلُ
7 ـ حرْفٌ أخُوهَا أبُوهَا منْ مُهَجّنَةٍ وعَمّهَـا خالُهَـا قوْدَاءُ شِمِلّيلُ

وبعد ثلاث وثلاثين بيتا يصل الشاعر إلى مدح النبي (ص) ، فيقول[5] :

8 ـ فقلتُ خلّـوا طريقي لا أبَا لكُم فكُـلّ مَا قدّر الرحْمَـنُ مَفعُولُ
9 ـ كُلّ ابْنِ أنْثـى وإنْ طالت سَلامَتُهُ يومًـا على الـةٍ حدْبَاءَ مَحْمُولُ
10 ـ أنْبِئتُ أنّ رَسُـولَ اللهِ أوْعَدَنِي والعَفـوُ عِنْد رَسُـولِ اللهِ مَأمُولُ
11 ـ مَهْلا هَداك الذي أعْطاك نَافِلة الـ قرْآن فِيهـَا مَواعِيـظٌ وتفصِيلُ

وواضح أن هذا المقطـع من قصيدة كعـب تأثر فيه بالقـرآن الكريـم ، في قوله تعالـى : ﴿ وكَانَ أمْـرُ اللهِ قدَرًا مَقـدُورا ﴾[6] ، وجاء في الذكـر الحكيـم : ﴿ ومَا جَعلنَا لِبَشـرٍ مـنْ قبْلِـك الخُـلد ﴾[7] ، كما أنـه متأثـر بالآيـة الكريمـة : ﴿ قل إنّ المَـوْت الذي تفِـرّون منْهُ فإنّهُ مُلاقيكُم ﴾[8] ،

(1) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 270 ؛ إبتسام مرهون الصفار : الأمالـي في الأدب الإسلامي ، ص 229 ، الغول : بالضم أحد الغيلان ، وهو جنس من الشياطين وهم سحرتهم .
(2) كعب بن زهير : الديوان ، ص 28 ، 29 .
(3) فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 96 .
(4) كعب بن زهير : الديوان ، ص 31 ، مقلدها:رقبتها، فعمّ مقيدها: ممتلىء رسغها، حرف: ضامرة ، قوداء شمليل: طويلة خفيفة.
(5) نفسه ، ص 37 ، 38 .
(6) الأحزاب : 38 .
(7) الأنبياء : 34 .
(8) الجمعة : 08 .

وبقوله تعالى : ﴿ كتابٌ فُصِّلت آيَاتُهُ قرآنًا عربيًّا لقوْم يعقلُون ﴾[1] ، وقوله أيضا : ﴿ ومَا انزل عليْكُم من الكِتابِ والحِكمَة يعِضكم به ﴾[2] .

وما أجمل التصوير على بداوة المعنى في وصفه هيبة الرسول ، وما يستولي من الفزع على الماثل في حضرته ، وكأن الشاعر أراد الاعتذار من خوفه فلم يجد غير الفيل الضخم مثالا للجرأة ... أو ليس في ذلك الاعتذار ، وفـي ذلك التمثيـل سذاجة جاهلية خشنة ، ولكنها لطيفة مستحبة ؟[3] ، يقول[4] :

12 ـ لا تأخذَنِّي بأقوَالِ الوُشاةِ ولمْ أذنِبْ ولوْ كثُرَت عنِّي الأقاويلُ
13 ـ لقدْ أقومُ مَقامًا لو يقومُ بهِ أرَى وأسْمَعُ مَا لو يسْمعُ الفِيلُ
14 ـ لظلّ يرعدُ إلا انْ يكُونَ لهُ منَ الرّسُولِ بإذنِ اللهِ تنْوِيلُ

ويتابع كعب قائلا[5] :

15 ـ إنّ الرّسُولَ لسيْفٌ يُستضاءُ به مُهنّدٌ منْ سُيُوفِ اللهِ مسْلُولُ

وتبدو البطولـة هنا بعموم الدلالـة على صدق رسالـة البطل التي يحرص الشاعر على التصديق بهـا ، حتى ليبدو البطل هاديا لأمة بأكملها ، يساعده مـن صدق بـه ويرتدي معه درع البطولة ، ولكن بطولته المطلقة تظل سائدة متميزة ، ففيها نور اليقين والهداية ، وفيها قوة البطل على نشر الدعوة المسندة إليه[6] .

ثم يصور أحداث الهجرة المقدسـة فرارا بديـن الإسلام ، وحرصا عليه ، فيقول[7] :

16 ـ فِي عُصبَةٍ منْ قرَيْشٍ قال قائلُهم ببَطنِ مَكة لمّا اسْلمُوا زُولوا

(1) فصلت : 03 .
(2) البقرة : 231 .
(3) بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، ص 271 .
(4) كعب بن زهير : الديوان ، ص 38 .
(5) نفسه ، ص 40 .
(6) عبد الله التطاوي : حركة الشعر في ظلال المؤثرات الإسلامية ، ص 13 .
(7) كعب بن زهير : الديوان ، ص 41 ، الكشف : المنهزمون ، النكسُ : الضعيف ، ميْلٌ معازيل : عُزّل لا يثبتون في الحرب .

17 ـ زالُوا فمَا زالَ أنْكاسٌ ولا كُشفٌ عِنْد اللّقاء ولا ميْـلٌ معازيلُ

فإذا بأولئك الفتية " العصبة " يسلكون سلوكا إسلاميا لا يغرهم فيه انتصار ولا تُغريهم نشوته ، ولا يجزعون من هزيمة ، إيمانا منهم بمشيئة الله تعالى وقدره في كل الأحوال ، يضيف كعب قائلا[1] :

18 ـ لا يفْرَحُون إذا نَالت رماحُهُم قوْمًا وليسُوا مجَازيعًا إذا نِيلُوا

فلما سمعت الأنصار هذه القصيدة شق عليهم حيث لم يذكرهم مع إخوانهم من المهاجرين ، فتعطفت عليه وأهدت إليه ، وكلموا النبـي (صلى الله عليه وسلم) فآمنـه ، وقالـوا : ألا ذكرتنا مع إخواننا من قريـش ! . فقـال كعـب يذكـر الأنصار[2] : [من الكامل]

1 ـ مِنْ سَرَّهُ كرَمُ الحَياةِ فلا يزَل في مِقنَبٍ منْ صالِحِي الأنْصارِ
2 ـ المُكرَهِين السَّمْهريّ بأذرُعٍ كصواقِلِ الهنْدِيِّ غيْرِ قِصارِ

فمـن يريد الحياة الكريمة فليلجأ للأنصار لأنهم الفرسان الشجعان ، الذيـن يحمون مـن يستجير بهـم أو يعـيش بينهم ، ولعـله بهذا يشير إلـى مؤاخاتهم للمهاجرين ، وبذا يقيم معادلة بين مسلمي قريش على أنهم الذين ناصروا الرسـول (صلى الله عليه وسلم) في مكة ، وهاجروا معه ، فالأنصار هم العـزة والمنعة لمن يعيش بين ظهرانيهم ، فهم أبطال ، غِضابٌ لله ورسوله ، سخروا كل قوتهم للذود عـن الإسلام والمسلمين[3] .

فكعب هنا يجمع القيم العربيـة المادحة ويضمها فـي إطار إسلامي ، يرفع الأنصار من المكانة القبلية المحدودة إلى مصاف المجاهدين المتقيـن الذين يبحثون عن الاجر والثواب[4] .

(1) كعب بن زهير : الديوان ، ص 42 .
(2) نفسه ، ص 43 ، يقال أنه عرض بهم في لاميته ، المقنب : ألف وأقل ، سمهري : شديد ، صواقل الهندي : السيوف .
(3) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 233 .
(4) نفسه ، ص 234 .

وروي أنّ كعبا حين أسلم وحسن إسلامه ، وصلح شأنه ، ركِب إلى قومـه يدعوهم إلى الدخول فيما دخل فيه ، وكان فـي قومـه بعض الخلاف ، فأسلم ناس كثيرون[1] : [من الطويل]

1 ـ رَحلتُ إلى قومِي لأدعُو جُلّهُم إلى أمْرِ حزْمٍ أحْكمَتهُ الجَوامِعُ
2 ـ لِيُوفُوا بمَا كانُوا عليْهِ تعَاقدُوا بخيْفِ مِنًى واللهُ رَاءٍ وسَامِعُ
3 ـ وتُوصلُ أرْحَامٌ ويُفرَجُ مَغرَمٌ وترْجعَ بالوُدِّ القدِيمِ الرَّواجِعُ
4 ـ فأبْلِغ بهـا أفنَاءَ عُثمَان كُلّهَا واوْسًا فبَلّغهَا الذي أنَا صَانِعُ
5 ـ سَأدْعُوهُم جُهْدِي إلى البرِّ والتُّقى وأمْر العُلا مَا شايَعتنِي الأصَابعُ
6 ـ فكُونُوا جَميعًا مَا استطعْتُم فإنَّهُ سَيلبسُكم ثوبٌ منَ اللهِ وَاسِعُ

ولا شك أن في هذه الأبيات أثرًا واضحًا للإسـلام بقيمه ومبادئـه ، حيث تتجلى دعوته المخلصة ، وموعظته الحسنـة لقومه ، إلى الوفاء بما تعاقدوا عليه من عهد ، مؤكدا أن الله لا يخفى عليه أمرهم ، والظاهر أنه تأثر بقوله تعالى : ﴿ لا تَخافَا إنَّنِي معَكُمَا أسْمعُ وأرَى ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ لا يَخفَى عليْـهِ شيءٌ في الأرض ولا في السّماء ﴾[3] ، وقوله عز من قائل : ﴿ واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشركُوا بهِ شيئًا ﴾[4] ، وكذلك قولـه : ﴿ أدعُوا إلى الله على بَصِيرةٍ ﴾[5] ، و قولـه : ﴿ ولكنّ البرَّ من آمنَ باللهِ ﴾[6] ، وقوله أيضا : ﴿ إنّ الله يأمُرُ بالعَدلِ والإحسَان وإيتَاء ذي القُرْبَى ﴾[7] .

وقد عبر كعب في بعض اشعاره عن روح تقربـه إلى حد كبير من كبار الزهّاد المسلمين ، فها هو يقـول لامرأته بأسلوب ينـم عـن قناعـة و رضا

(1) كعب بن زهير : الديوان ، ص 97 ، 98 ، جلهم : سادتهم ، المغرم : أسير الدين ، أفناء : أخلاط ، الجوامع : الأمور ، أوس وعثمان : ولدا عمرو بن أد بن طابخة ؛ وأمهما مزينة ، ما شايعتني الأصابع : ما دمت حيا .
(2) طه : 46 .
(3) آل عمران : 05 .
(4) النساء : 36 .
(5) يوسف : 108 .
(6) البقرة : 177 .
(7) النحل : 90 .

وتوكـل ، ولا يصدر هــذا إلا عن إيمـان عميـق ، وزهـد صادق[1] ، فيقول[2] : [من البسيط]

1 ـ اعْلَمْ انَّي متَى ياتِنِي قدَرِي فليْسَ يحْبِسُهُ شُحّ ولا شفقُ
2 ـ بيْنَا الفتَى مُعْجَبٌ بالعَيْش مُغتَبَطٌ إذا الفتَى للمنَايَا مَسْلَمٌ غلِقُ
3 ـ والمَرْءُ والمَالُ يَنْمِي ثمَّ يُذهِبُهُ مَرّ الدَّهُور ِ فيَفنِيهِ فينْسَحِقُ
4 ـ كالغُصْنِ بينَا تراَهُ نَاعِمًا هَدِبًا إذْ هاجَ وانْحتّ عنْ افنَانِهِ الورَقُ
5 ـ كذلِك المَرْءُ إنْ يُنْسَأ لهُ اَجَلٌ يُرْكبْ بهِ طبَقٌ منْ بَعْدِهِ طبَقُ

إلى اَن يقول :

6 ـ إنْ يَقْنَ مَا عِنْدَنَا فاللهُ يرزُقنَا ومنْ سِوَانَا ولسْنَا نحْنُ نرْتزِقُ

والظاهر من خلال هذه الأبيات أن الشاعر قد استقى معاني أبياته مـن الذكر الحكيم ، قال تعالى : ﴿ فإذا جَاءَ اَجلُهُم لا يستاَخِرُونَ سَاعـةً ولا يسْتقدِمُون ﴾[3] ، وقال أيضا : ﴿ كلّ نَفسٍ ذائِقةُ الموْتِ ﴾[4] ، وقال عز وجل : ﴿ المَالُ والبَنُـون زينَةُ الحَياةِ الدّنيا ﴾[5] ، وقولـه : ﴿ لتَرْكبُنّ طبَقًا عنْ طبَـق ﴾[6] ، وقولـه تعالى : ﴿ إنّ الله هُوَّ الرزّاق ذو القـوّة المَتِيـن ﴾[7] .

لقد كان كعب بن زهير أحد الفحول المقدمين في الجاهلية والإسلام ، ومـن يردد نظره في ديوانه يدرك الفارق الكبير بين كعب الجاهلي فـي خلقه وسلوكه ، وكعب المسلم الزاهد المتسامح،إلا أن ما يجمعهما هو كعب الفنان الأصيل الصادق، الدقيق الحس ، الرائع التصوير ، الذي يملك زمام البيان ، فيوجهه أنّى شاء[8] .

(1) منذر معاليقي : دراسات نقدية في الأدب الإسلامي ، ص 148 .
(2) كعب بن زهير : الديوان ، ص 168، الشفق : الخوف، الفلق : المرتهن للمنايا، الهدب : طول الأغصان وتدليها، هاج : يبس .
(3) الأعراف : 34 .
(4) آل عمران : 185 ؛ الأنبياء : 35 ؛ العنكبوت : 57 .
(5) الكهف : 46 .
(6) الإنشقاق : 19 .
(7) الذاريات : 58 .
(8) إبراهيم عوضين : الأدب العربي بين البادية والحضر ، ص 264 ، 265 .

أما **النابغة الجعدي ((قيس بن عبد الله))** ، فهو ثالث شعراء البادية ، الذين كان للإسـلام أثر واضـح في شعرهم ، حتى أنه نال رضا رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وإعجابه بحيث دعا له وشجعـه .

وحين وفد النابغة الجعدي على النبي(صلى الله عليه وسلم) ، أنشده قصيدته الرائية المتميزة التي تحفل بالمعاني الدينية ، يقول[1] : [من الطويل]

1 ـ أَتَيْتُ رَسُول اللهِ إذ جَاء بالهُدَى ويَتلُو كِتابًا كالمَجَـرّةِ نَيِّرَا
2 ـ وجَاهَدتُ حتَّى مَا أَحِسَّ ومنْ مَعِي سُهَيْلا إذا مَا لاحَ ثمَّتَ أغوَّرَا
3 ـ أُقِيمُ على التَّقوَى وأَرْضَى بِفِعْلِهَا وكُنْتُ منَ النَّار المَخوفَةِ أَوْجَرَا

ولعلنا نقف كثيرا عند تشبيه مـا يتلى مـن كلام الله سبحانه وتعالى بالمجرة ، وما يعبر عنه من إحساس الجعدي بنور الهداية الذي يفيض به هذا الكلام المقدس ، وبما في نظمـه مـن إعجاز يجعل سامعه ينظر إلى السماء محاولا إيجاد شبيه له هناك ، لأن ما يسمعه ليس مـن كلام أهل الأرض ، لذلك لم يجد أمامه إلا المجرة وهي ليست نجما يشع بنوره ولكنها نهر من النور والضياء[2] .

ثم يقول مفتخرا :

4 ـ ونَحْـنُ أُنَاسٌ لا تعود خيْلنَا إذا مَا التقيْنَا أَنْ تَحِيدَا وتنْفرَا
5 ـ ومَا كانَ معْرُوفا لنَا أن نَرُدَّها صِحَاحًا ولا مستْنْكِرًا أَنْ تُعْقرَا
6 ـ بَلغنَا السَّمَاء مَجْدًا وجُودًا وسُؤدُدا وإنَّا لنبْغِي فوقَ ذلك مَظهَرَا

فقال له الرسـول (صلى الله عليـه وسلم) : فأين المظهـر يا أبا ليلى ؟ فأجابـه النابغة : الجنـة ، فأعجب الرسـول عليه السلام بشعره ومنطـقه وقال له : لا يفضض الله فاك[2] .

ثم يملي الموقف على الشاعر أن ينهي قصيدته هذه بأبيات من الحكمة الرائعة

(1) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1507/4 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 1515/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 396/6 .
(2) فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 82 .
(3) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1506/4 .

التي تجعل موقفه أكثر قبولا أمام الرسول صلى الله عليه وسلم ، فلا خير في الحلم إذا أهين الإنسان واعتدي عليه ولم يستطع أن يحافظ على كرامته ، ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم يعرف كيف يصرف الأمور ، وكما أن في الحلم خيرا ، كذلك في الجهل أحيانا خير ولا سيما عندما يعجز الحلم ولا ينفع ، فيكون في الشر من الخير، وهذا كله موافق للمفاهيم الإسلامية ومباديء الدين الجديد[1] ، فيقول[2] :

7 ـ ولا خيْرَ في حِلـمٍ إذا لمْ يكُنْ لهُ بَوَادِرُ تحْمِـي صفْوَهُ أن يُكدّرَا
8 ـ ولا خيْرَ في جَهْـلٍ إذا لمْ يكُنْ لهُ حَلِيـمٌ إذا مَا أوْرَدَا |الأمْرَ أصْدَرَا
9 ـ ففي الحِلمِ خيـرٌ في أمُورٍ كثيرَةٍ وفي الجَهْـلِ أحيَانًا إذا مَا تعَذّرَا
10 ـ كذلك لعَمْري الدهر يَوْمًا فاعْرِفُوا شرور وخيـرَ لا بَل الشّرّ أكثرَا

وهكذا يمزج النابغـة مزجا رائعا بين المعاني والقيـم والمباديء العربيـة والإسلامية في ثوب شعري يجمع بين العاطفة والعقل والحكمة في بناء محكم وعبر جسور فنيـة غاية فـي الجودة والإتقان ، وقوة السبك وحسن التخلص ، والمعالجة الموضوعية[3] .

وغني عن البيان أن أحدا لا يستطيـع مثل هذا القول ، إذا لم يكن متمثـلا تعاليم الإسلام وقيمه تمثلا حقيقيا[4] ، ولا شك أن الشاعر قد تأثر في أبياته الحكيمة بقوله عز وجل : ﴿ خذِ العَفوَ وامُرْ بالعُرف واعْرِضْ عَن الجَاهِلينَ ﴾[5] .

ونجد الجعدي يستعير صوره من صور القران ، فيبدع شعرا سلسا ينضـح بالتعاليم الإسلامية ، فيقول[6] : [من البسيط]

1 ـ حتّى أتى أحمَد الفرْقانُ يقرَؤُهُ فِينَا وكُنّا بغيْبِ |الأمْرِ جُهّالا
2 ـ فالحَمْدُ للهِ إذ لمْ يَأتِنِي أجَلِي حتى لبِسْتُ مِنَ الإسْلامِ سِرْبَالا

(1) بهجت عبد الغفور الحديثي : نصوص من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي ، ص 364 .
(2) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 1506/4 ؛ ابن قتيبة : الشعر والشعراء : 163/1 ؛ ابن عبد البر : الاستيعاب : 1516/3 .
(3) بهجت عبد الغفور الحديثي : نصوص من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي ، ص 365 .
(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 156 .
(5) الأعراف : 199 .
(6) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : 165/1 .

فكلمة " الفرقان " هي اسم من أسماء القرآن الكريم المأخوذة من آيات كثيرة وردت فيها لفظة " الفرقان " ، كقوله تعالى : ﴿ وإذ آتيـنَا مُوسَى الكتابَ والفرْقانَ لعلّكم تهْتدُون ﴾[1]، وقوله أيضا : ﴿ مِنْ قبْل هُدى للنّاس وانزَل الفرقان ﴾[2]. كما أن المعنى العام للأبيات متأثر بالتأكيد بقيم الإسلام وتعاليمه .

ومن الثابت أن النابغـة الجعدي كان أحد الشعراء الذين استضاءُوا بالإسلام وتعاليمه الروحيـة وقيمـه ؛ إذ نراه ((حينما يريد توكيد صفات الله تعالى لا يجد خيـرًا من صور القـرآن الفنيـة ، فيستعير منها ، ليؤكد القدرة الإلهيـة))[3] ، فيقول[4] : [من البسيط]

1 ـ الحَمدُ للهِ لا شريك له منْ لم يقلْهَا فنَفسُه ظلمَا
2 ـ المُولِجُ الليْلِ في النّهَار و في الليل نَهارًا يفرِّجُ الظّلمَا

وهو قد استعار تلك الصورة من قولـه تعالى : ﴿ تُولِجُ الليْـلَ في النّهار وتُولِجُ النّهار في الليْل ﴾[5] .

ثم يضيف قائلا[6] :

3 ـ الخافِض الرّافِعُ السّمَاء على الــ أرض ولمْ يبْن تحْتهَا دِعَمَا
4 ـ الخالِق البَاريءُ المُصوِّرُ في الــ أرحام مَاءً حتّى يَصِيرَ دَمَا
5 ـ مـنْ نُطفَـةٍ قدّهَـا مُقدِّرُها يخلق منْها الأبشارَ و النّسمَا
6 ـ ثُمّ عِظامًـا أقامَهَـا عصبٌ ثُمّتَ لحْـمًا كسَاهُ فالتَأمَا

ففي هذه الأبيات نجد أن ألفـاظ القـرآن الكريم ومعانيـه تزدحم فيـها ازدحاما كثيرا متراصا ، مما يجعل مـن المستحيـل على شاعـر مجاراتـه

(1) البقرة : 53 .
(2) آل عمران : 04 .
(3) سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، ص 252 .
(4) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1515/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 393/6 ؛ ابن قتيبة : 166/1 .
(5) آل عمران : 27 .
(6) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1515/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 393/6 .

في أسلوبه ونظمه* ورصفه** وتمثله وصهْره لتلك الألفـاظ والمعاني والقيم . ففي كل لفظة من ألفاظ النابغة وفي كل معنى من معانيه ، وفي كل صورة من صوره ، نحس إحساسا يقينيا صدق الشاعر وعمق إيمانه ، واستيعابه العميق الواعي لمجمل القرآن الكريم[1] .

إذ لا ريب أن الشاعر قد تأثر بآي الذكر الحكيم كقولـه تعالى : ﴿ اللهُ الذِي رَفعَ السَّمَوَات بغيْر عمَـدٍ ترَونَهـا ﴾[2] ، وقولـه تعالى : ﴿ هو اللهُ الخالِـق البارىءُ المُصوِّرُ له الأسماءُ الحسْنَى ﴾[3] ، كما أنه متمثل فـي أبياتـه الأخيرة بقوله عز وجل : ﴿ ولقد خلقنَا الإنْسانَ منْ سُلالةٍ منْ طين ثمّ جعَلنَاهُ نُطفـةً في قرارٍ مكين ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنَا العلقة مُضغةً فخلقنا المضغة عِظامًا فكسَونَا العِظام لحْمًا ثمّ أنْشأناهُ خلقًا آخرَ فتبارَك اللهُ أحسَنُ الخَالقِين ﴾[4] .

وفي مقطوعة أخرى نجد الجعدي يستلهم آي الذكر الحكيم في رده على ابنة عمه التي تلومه على خروجه إلى الجهاد في سبيل الله ، فيقول[5] : [من البسيط]

1 ـ يا ابْنَة عمّي كِتابُ اللهِ أخرَجَنِي طَوْعًا وهلْ أمْنَعـنّ اللهَ مَا فعَلا
2 ـ فإن رَجعْتُ فرَبّ النّاس يُرجِعُنِي وإنْ لحِقـتُ بربِّي فأبْتغِي بَدَلا
3 ـ مَا كُنْت أعْرجَ أو أعْمَى فيَعْذرَنِي أو ضارعًا منْ ضنًى لم يسْتطِع حِولا

وهذا تأثر واضح بالديـن الإسلامي و بقيمه ومبادئه ؛ فكتاب الله هو الذي أخرجه للجهاد في سبيل الله ، ومـن خلال ذلك لا يستطيع منع إرادة الله ، كما أن الموت والحياة بيد الله فإن عاد من جهاده سالما فبفضل الله وحـده ، وإن استشهد فالجنة هي المأوى والله عز وجل هو الرفيق الأعلى ، أضف إلى ذلك أنـه لا يملك عذرا في تخلفه عن الجهاد في سبيل الله . وقد استقى ذلك كله من القرآن الكريم ،

• النظمُ : التأليف ، وضمّ شيء إلى شيء آخر ، ونظم : ألف : وجمع .
** الرصْف : الضم والشد ، رصف المُصلي قدميه : ضم إحداهما إلى الأخرى .
(1) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 153 .
(2) الرعد : 02 .
(3) الحشر : 24 .
(4) المؤمنون : 12 ـ 14 .
(5) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : 165/1 .

من مثل قولـه تعالى : ﴿ وجَاهِـدُوا في اللهِ حـقَّ جِهَـادِه ﴾[1] ، وقولـه عز من قائل : ﴿ فمنْ جاهدَ فإنّما جاهد لِنَفسِه إنّ الله لغنِيّ عن العَالمِين ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ والذِيـنَ هاجَرُوا وجَاهَدُوا في سبيلِ اللهِ أولئك يرْجُون رَحْمَة الله ﴾[3] ، كما أنه اقتبـس معنى بيـته الأخيـر وبعـض ألفـاظـه من قولـه تعالـى : ﴿ ليْسَ علَى الأعْمَى حرَجٌ وَلا على الأعْرَج حَرَج ﴾[4] .

ومن المحقق أن النابغة الجعدي ، قد وهب نفسه للإسلام ، فجاء شعره متمثلا لقيمه وتعاليمه تمثلا واعيا عميقا ، فاستعار كثيرا من ألفاظه وصوره البيانية منه ، كما استمد من قصصه كثيرا من مادته الشعرية فجاء شعره صادقا معبرا عن تلك المرحلة الأولى من مراحل الإسلام .

ومن شعراء البادية ، الذين وفدوا على النبـي (صلى الله عليه وسلم) ، في وقت مبكر مقارنة بأصحابه من شعـراء البادية ، **بُجَير بنُ زُهير بنُ أبي سُلْمَى** ، أخو كعب بن زهير .

لقد اقبل بجير إلى المدينة قبيل السنـة السابعـة للهجـرة ، فأسلم بين يدي الرسول عليه السلام ، بعد أن تأكد مـن صدق نبوته ، إلا أن أخاه كعبا كره ذلك ، فكتب إليه يؤنبه على إسلامه ، في قطعة ، مطلعها[5] : [من الطويل]

1 ـ ألا أبْلِغا عنِّي بُجيْرًا رِسَالةً فهل لكَ فيمَا قلتُ بالخَيْفِ هَلْ لكَا

فرد عليه بجير يفند رأيه ، ويدعوه إلى الإسلام ، ويكره له التمسـك بأوثان الجاهلية ، فيقول[6] : [من الطويل]

1 ـ منْ مُبْلِغٌ كعْبًا فهلْ لكَ في التِي تلُومُ عليْهَا بَاطِلا وهِيَّ أحْزمُ

(1) الحج : 78 .
(2) العنكبوت : 06 .
(3) البقرة : 218 .
(4) النور : 61 ؛ الفتح : 17 .
(5) كعب بن زهير : الديوان ، ص 25 .
(6) ابن عبد البر : الاستيعاب : 149/1 .

2 ـ إلى اللهِ لا العُزّى ولا اللاتِ وحْدهُ فتنْجُو إذا كَانَ النّجَاءُ وتسْلَمُ
3 ـ لدَى يَوْمٍ لا ينْجُو وليْسَ بمُفلِتٍ منْ النّار إلا طاهِرُ القلبِ مُسْلِمُ
4 ـ فدِينُ زُهَيْرٍ وهُوَّ لا شيْء غيْرَهُ ودِينُ أبي سلمَى عليَّ مُحرَّمُ

فهو يدعو أخاه كعبا إلى الدخول في دين الله وترك عبادة الأصنام ، حتى ينجو ويسلم من عذاب يوم القيامة ، ثم يقر في الأخير بإيمانه العميق ، وتركه لدين أبيه زهير بن أبي سلمى (ودين أبي سلمى علي محرم) .

ونجده في فتح مكة (8هـ) ، يفتخر بقومه ، وحسن بلائهم ، وكثرة عددهم ، وثباتهم على الإسـلام ، وطاعتهم لرسـول الله (صلى الله عليـه وسلم)[1] ، فيقول[2] : [من الخفيف]

1 ـ ضربْناهُم بمَكّة يوْمَ فتح النّبيّ الخير بالبيض الخِفاف
2 ـ صبّحنَاهُم بسبْعٍ منْ سُليْمٍ وألْفٍ منْ بنِي عُثمَان وَافِ

إلى أن يقول[3] :

3 ـ وأعْطيْنَا رَسُولَ اللهِ مِنّا مواثقًا على حُسْنِ النّصافِي
4 ـ وقدْ سَمِعُوا مَقالتَنَا فهَمّوا غَدَاةَ الرّوْع مِنّا بانْصِرَافِ

كما أثارت معركة حنين (8هـ)، بجيرا، فجاء شعره يترجم عن الإيمان بالله الذي نصر المؤمنين في حنين ، بأسلوب متأثر بالقرآن الكريم في ألفاظه ومعانيه ، وينم عن صدق إيمان الشاعر وصدق عاطفته[4] ، يقول[5] : [من البسيط]

1 ـ لوْلا الإلهُ وعبْدهُ ولّيْتم حينَ استْخفّ الرّعْبُ كُلّ جَبَانِ
2 ـ بالجَزْع يومَ حبَا لنَا أقرانُنَا وسَوابِـحُ يَكبُـونَ للأذقـان

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 239 .
(2) ابن حجر العسقلاني : الإصابة : 269/1 ؛ ابن كثير : السيرة النبوية : 589/3 .
(3) نفسه : 269/1 .
(4) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 432 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 80/4 ، الجزع : ما انعطف من الوادي ، حبا : اعترض ، سوابح : خيل سريعة ، يكبون : يسقطون ، المقطر : الملقى على جنبه ، لبان الفرس : صدره .

3 ـ منْ بيْنِ سَاعٍ ثوبُهُ في كفّهِ ومُقطّـرٍ بسَنَابِـكِ ولَبَـانِ
4 ـ واللهُ أكرمَنَا وأظهَرَ دِينَنَا وأعزّنَا بعِبَـادَةِ الرّحْمَـنِ
5 ـ واللهُ أهلكَهُم وفرّق جَمْعَهُم وأذلّهُـم بعِبَادَةِ الشّيْطَـانِ

والظاهر أن بجيرا قد استقى أبياتـه من قولـه تعالى : ﴿ إن تنْصرُوا اللهَ ينْصرُكُم ويُثبِّت أقدامكُم ﴾[1]، وقوله : ﴿ هُوَّ الذي أرْسَل رسُولهُ بالهُدَى ودِين الحقِّ ليُظهرَهُ على الدّين كُلّه ولوكره الكافِرون ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ إنّ الشّيطان لكُم عدوٌ فاتخذُوهُ عدُوّا إنّمَا يدْعُو حِزبَه ليَكونُوا منْ أصْحابِ السّعِير ﴾[3] .

وأكبر الظن أنه قد اتضح اتضاحا لا لبس فيه أن أهل البوادي كان مثلهم مثل أهل الحواضر حين دخلوا الإسلام ، فقد تمثلوه وتألقت أضواؤه في صدورهم وفي أشعارهم[4] ، وإن اختلفت كثرة وقلة حسب انغماسهم في الحياة الجديدة ، والأحداث الدائرة فـي فترة دخولهـم الإسـلام ، وهؤلاء الشعراء ، وإن لم يكونوا طرفا في الخصومة بين مكة والمدينة ، فإن من أدركها منهم ــ كالعباس بن مرداس ، وبجير ابن زهير ــ قد ساهم فيها، وقال شعرا يمكن أن يوضع في كفة شعر المدينة ، ولو قيض لهؤلاء الشعراء أن يسلموا فـي وقت مبكـر ، أو يتصلوا بالمسلميـن فـي حاضرتهم ، لكان الشعر الإسلامي أعز وأشد خصوبة مما هو عليه ، ولا سيما أن هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين في الجاهلية[5].

وبالرغم من أن البعض يرى أن شعراء الدعوة لم يوفقوا في تمثيل الإسلام على الوجـه الأكمل ، وأن شعرهم لم يرتفع إلى مستوى الحدث ، فهو وإن كان قريب الصلة بالدين ، فإنه لم يوفق التوفيق الكامل المُرتجَى في إبراز وجه الدعوة الإسلامية ، وتعاليم الدين الحنيف ، إلا بقدر[6] ، فإننا نقول إنه وإن كان كذلك حقا

(1) محمد : 07 .
(2) التوبة : 33 ؛ الصف : 09 .
(3) فاطر : 06 .
(4) شوقي ضيف : العصر الإسلامي ، ص 105 .
(5) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 242 .
(6) نفسه ، ص 117 ؛ إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 92 .

أول العهـد بالرسالة ، فإن توجيهات الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، قد أثمرت ـ بعد ذلك ـ في صقل مواهب شعراء الدعوة ، حتى أعطت أكلها عند الفتح أو قبله بقليل . إذ أن الشعر الإسلامي بدأ يتضح ويعمق ؛ فقد هجر الشعراء الأغراض التي تتنافى والدين وتعاليم الإسلام ، وغلبت على معانيهم الدقة والعمق والوضوح ، كما هجروا الحوشـي والغريب والمبتذل ، وأمعنوا في جمال السبك وعذوبتـه ، وجزالة الأسلوب وقوته ، وكثرة روائعه وصوره الأدبية والبيانية[1] ، مبتعدين بذلك عن خشونة الكلمة الجاهلية ، وصعوبة تركيب عبارتها ، أضف إلى ذلك ان جوهر ما ارتبط بظاهرتي الحياة في الصحراء والحياة القبلية المناسبة لها بدأ يفقد في وعي الشاعر أو لا وعيه حسّ الديمومة والاستمرار ، لأن الزمن بدأ يحمل معنى آخر ، وليس المكان فحسب[2] .

وخلاصـة القول عن شعر الدعوة في صدر الإسلام ، أن ما جد عليـه من تطور أو ما دام فيه من تقليد كان استجابة لظروف الشعراء المخضرمين ومواهبهم وبيئاتهم . فمنهم من اتصل اتصالا مباشرا بالدعوة الإسلاميـة ولم يواجه ضرورة للتعبير عن تجارب جديدة لا عهد له بهـا ، فظل شعره في جملتـه امتدادا للشعر القديم ، إلا ما كان مـن تطور يسير تقتضيه بالضرورة طبيعة المجتمع الجديد . ومنهم مـن كان له دور مشهود في نصرة الديـن والمشاركـة في وقائع الدعـوة الإسلامية ، وعاش في بيئة جديدة في فكرها وأخلاقها وعلاقاتها الاجتماعية ، فكان عليه أن يجد لنفسه أسلوبا يصور كل ذلك ، وإن لم يستطع التخلص من اثار القديم، وهكذا كان شعر هؤلاء الشعراء خليطا من القديم والجديد ، قد أخلصت أجزاء منه للقديـم في أغراض لا تتصل اتصالا وثيقا بأمور الدعـوة والديـن ، وقد تخلص أجزاء أخرى لقيم إسلاميـة خالصة فتتأثر في أسلوبها ومعجمها وصورها بمعاني القرآن أو آياتـه أو بالحديث النبوي ، أو ببعض مظاهر الحيـاة الجديـدة في ظل الإسلام ، وقد تمتزج هذه وتلك في القصيدة الطويلة ذات الأغراض المتعددة فتُكوِّنَا معرضا للأساليب الجاهلية والإسلامية معا[3] .

(1) محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، ص 161 ، 162 .
(2) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 84 .
(3) عبد القادر القط : في الشعر الإسلامي والأموي ، ص 67 .

2 ـ الأثر الجاهلي في شعر المعارضة :

لم يذعن العرب جميعا للإسلام أول العهد بالرسالة ، إذ آمنت به قلـة قليلة ، وحاربه كثيرون باللسان والسنان ، ولا عجب في ذلك فالمتضررون من الإسـلام كُثر ، إذ منهم من تضرر بفقد مكانته القبليـة ، أو الاجتماعيـة ، أو التجاريـة ، أو العقدية الموروثة عن الآباء ، ويمثل هذا الجانب شعراء مكة والطائف . ومنهم من تضرر تضررا استراتيجيا إن صح التعبير ، ويمثل هذا الجانب شعراء اليهود .

وسنحاول من خلال هذا الجزء البحث عن أثر الدعوة في شعر هؤلاء ، قبل إذعانهم للإسلام وبعده ، حتى نتبيّن مدى التحول الذي أصاب شعر المعارضـة في هذه الفتـرة ، ومـن هنا جاز لنا التساؤل ، هل تأثر شعراء المعارضـة بالدعوة الإسلامية ؟ وهل نلمس في شعرهم روحا إسلامية ، بعد أن من الله عليهم بالدخول في الدين الحنيف ؟ وهل تأثروا بدينهم الوثني فجاء ذلك في أشعارهم أثناء وقوفهم في وجه الدين الجديد ؟ .

أ ــ الأثر الجاهلي في شعر مكة :

إذا نظرنا إلى شعر المعارضـة في صدر الإسـلام فإننا نجده جاهليا شكلا ومضمونا ، ذلك أن كل ما صدر عن شعراء المشركين من شعر هو في حقيقتـه امتداد للشعر الجاهلي في صوره ومعانيـه وروحه وكل خصائصـه ، لأن هؤلاء الشعراء كانوا لا يزالون وثنيين جاهليين في تفكيرهم ونزعاتهـم وتقاليدهـم ، ولا يمكننا القول بأي حال من الأحوال أنهم قد تأثروا في شعرهـم بالإسلام ، لأنهم لم يؤمنوا بهذا الدين حتى يتأثروا بروحه وتعاليمه .

لقد لجأ شعراء المعارضـة وفي مقدمتهم شعراء مكـة ، إلى الهجاء ومنحاه القبلي ، وإن كانوا ((في مدينة تجاريـة كانت تحاول بمقدار الابتعاد عن متطلبات الحياة القبلية))[1] ، فإنهم كانوا يهجُون الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، متبعين

(1) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 86 .

إزاءه الطرق التي كان يتبعها الوثنيون إزاء رئيس القبيلة المعاديـة[1] . فظل بذلك شعرهم قائما على المعاني القبليـة ، بمناقبها وتضامنها ، وبالتالـي زهّد الراغبين في الدخول إلى الديـن الجديد ، وحثهم على البقاء على ولائهم لقبائلهم ، وتصوير الروابط القبلية الجاهلية المثلى ، مع التنويـه بأن الدين الجديد مزق القبيلة الواحدة وأضر بوحدتها ، وحمل أبناءَها على الاقتتال[2] .

وقد نهض الشعر القرشي على وجه الخصوص للتحريض على المسلمين ، والتشفي بقتلاهم ، والفخر بالفروسية القرشية ، وهجاء الرسـول (ص) وصحبه ، كما نهض لرثاء صرعى قريش ، والجزع على مصابهم ، وتعديد مآثرهم ، وجميل سجاياهم وبطولاتهم .

فهذا **عبد الله بن الزبعرى** ، ألمع شعراء قريش ، وأشدهم عداوة للمسلمين، يبكي قتلى بدر (2هـ) ، ويذكر مكابرهم ، ويبيّـن مصاب قريـش فيهم ، مُستدرا الدموع لإثارة القبيلة ، فيقول[3] : [من الكامل]

1 ـ مَاذا على بَدْرٍ وماذا حولَهُ ... منْ فتيَةٍ بيضِ الوُجُوهِ كِرَام
2 ـ تركُوا نُبيْهًا خلفَهُم ومُنبِّهًا ... وابْنَيْ رَبيعَة خيْر خصْمٍ فِئام
3 ـ والحَارث الفياض يبرق وجهُهُ ... كالبَدْرِ جَلّ ليْلَة الإظـلام
4 ـ والعَاصِيَ بنَ مُنبِّهٍ ذا مِرّةٍ ... رُمْحًا تميمًا غيْرَ ذي أوْصَام
5 ـ تنْمِي بهِ أعْرَاقهُ وجُدُودهُ ... ومَآثِرُ الأخـوَال والأعْمَام

وتمثل هذه الأبيات الروح القبلية في رثاء القتلى واستدرار الدموع عليهم[4] .

ونجده يوم أحُد يعرّض بحسان في قصيدته التي مطلعها[5] : [من الرمل]

1 ـ يَا غُرَاب البينِ أسَمِعتَ فقُلْ ... إنَّمَا تنْطِقُ شيْئًا قدْ فُعِلْ

(1) شارل بلا : تاريخ اللغة والآداب العربية ، تعريب : رفيق بن وناس ، وصالح حيزم ، والطيب العشّاش، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، ط 1 : 1997 م ، ص 97 .
(2) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 88 .
(3) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 46 ، 47 ، الفئام : الجماعات، الفياض : الكريم، المرة : القوة والشدة ، التميم : الطويل .
(4) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 283 .
(5) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 41 .

2 ــ إنّ للخيْر وللشرّ مدًى وكلا ذلك وَجْهٌ وقبَلْ

ويفخر عليه بالنصر وما تركو في المعركة من القتلى ، السادة والأبطال الذين نالت منهم الرماح والسيوف ، فتركتهُم صرعى مُمزّقة ثيابهم ، منثورة أشلاؤهم ، فيقول[1] :

3 ـ كَمْ ترَى بالجَرِّ منْ جُمْجُمَةٍ وأكُفٍّ قدْ أترّت ورجِلْ
4 ـ وسَرَابيلَ حِسَانٍ سُرِيّتْ عنْ كُمَاةٍ أهْمِلُوا في المُنتزَلْ
5 ـ كمْ قتَلْنَا منْ كَرِيمٍ سَيِّدٍ مَاجِدِ الجَدّيْنِ مِقدَامٍ بَطَلْ

وفيها تبدو روح التشفي والانتقام واضحة حينما يقول[2] :

6 ـ ليْتَ أشْيَاخِي ببَدْرٍ شهِدُوا جَزَعَ الخزْرَجِ منْ وَقعِ الأسَلْ
7 ـ حِينَ حَكّتْ بِقبَاء بَرْكهَا واستَحرّ القتْلُ في عبْدِ الأشَلْ

فالصورة هنا جاهليـة ، يفتخر الشاعر فيها بما يفتخر به الشاعر الجاهلي عند الانتصار في الوقائع التي كانت تنشب بين القبائل[3] ، كما تبدو الروح القبلية جلية عند ابن الزبعرى عندما ينوه بكرام القتلى من القرشيين وعلى رأسهم حمزة بن عبد المطلب ، كما يصور جزع الخزرج من وقع الأسل ، وكأن الحرب بين الخزرجيين والقرشيين ، وليست بين المسلمين والمشركين .

كما نجد ابن الزبعرى يوم أحد (3هـ) ، يستهل نقيضته لحسان بالبكاء على الشباب والبعد عن الأحباب متوصلا بذلك إلى موضوعـه جريا على عادة القدامى من الشعراء[4] ، فيقول[5] : [من الطويل]

1 ـ ألا ذرَفتَ منْ مُقلتَيْكَ دُمُوع وقدْ بَانَ مِنْ حَبْلِ الشّبَابِ قُطُوعُ

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 41 ، 42، الجر : موضع بأحد ، أترت : قطعت ، سرابيل : دروع ، سريت : جرّدت .
(2) نفسه ، ص 42 ، حكت بركها : حمى وطيس الحرب ، والبرك : الصدر ، عبد الأشل : عبد الأشهل ، وهم قوم من الأوس .
(3) عبد العزيز عتيق : في الأدب الإسلامي والأموي ، ص 27، 28 .
(4) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 314 .
(5) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 37 ، 38 .

2 ـ وشطّ بمَنْ تهْوَى المَزَارُ وفرّقتْ نَوَى الحيّ دارٌ بالحَبيبِ فجُوعُ

إلى أن يقول[1] :

3 ـ فغَادَرْنَ قتْلَى الأوْسِ عَاصِبَةً بهم ضِبَاعٌ وطَيْرٌ يعْتفينَ وُقوعُ

4 ـ وجَمْعُ بَنِي النَّجّارِ في كُلِّ تلْعَةٍ بأبْدَانِهم منْ وَقعِهِنّ نَجِيعُ

وتمثل هذه الأبيات شجاعة جيش المشركين الذي فرَق جيش المسلمين ، وكثرة القتلى من الأوس والخزرج ، وهي تدل على نزعة قبلية حادة[2] .

أما يوم الخندق (5هـ) فنجد عبد الله بن الزبعرى ، يحاول في قصيدة له أن يذكر بالأنصاب ، ولكنه لم يضِف إلى إشارته تلك شيئا ، وإنما سار على تقليـد الشعراء الجاهليين في بعض السمات الفنية كالطللية[3] ، فيقول[4] : [من الكامل]

1 ـ حيِّ الديارَ مَحَا مَعارف رسْمِهَا طُولُ البلَى وتراَوُحُ الاحْقابِ

2 ـ فكأنّمَا كتب اليَهُودُ رُسُومَهَا إلا الكَنِيفَ ومَعْقِدَ الأطْنَابِ

3 ـ قفْرًا كأنّك لمْ تكُنْ تلْهُو بهَا في نِعْمَـةٍ بأوانِسٍ أتراَبِ

4 ـ فاتْرُك تذكّرَ مَا مَضى منْ عِيشَةٍ ومَحِلّةٍ خلِفَ المَقـامِ يَبَابِ

5 ـ واذكُرْ بَلاءَ مَعَاشِرٍ واشْكُرْهُم سَارُوا بأجْمَعِهم منَ الأنْصَابِ

ثم يقص خروج قريش وأحلافها من مكة ، في جيش كثيف على رأسه قائدان عظيمان : عيينة بن حصن الفزاري على رأس الأحلاف ، وأبو سفيان بن حرب القائد الأعلى للحرب،وكيف حاصرت الأحزاب المدينة أربعين يوما،وأنزلت الرعب في قلوب أهلها ؛ وأنه لولا الخندق لألحقوا الهزيمة الكاملة بالمسلمين ، فيقول[5] :

1 ـ جَيْشُ عُيَيْنَةَ قاصِدًا بلِوائِهِ فِيه وصَخرٌ قائِدُ الأحزَابِ

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 38 .
(2) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 315 .
(3) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 90 .
(4) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 29 .
(5) نفسه ، ص 30 ، عيينة : عيينة بن حصن الفزاري ، صخر : أبو سفيان ابن حرب ، قرمان : سيدان ، معقل : ملجأ .

2 ـ قرْمَان كالبَدرَيْن اَصبَحَ فِيهِمَا غيْثُ الفَقِيرُ ومَعْقِلُ الهُرَّابِ

إلى اَن يقول[1] :

3 ـ لولا الخَنَادِقُ غادَرُوا مِنْ جَمْعِهم قتْلى لِطيْرِ شُعَّبٍ وذِئَّابِ

وحين اَسلم عبد الله بن الزبعرى ، بعد الفتح ، وتاب واَناب إلى الله ، قال شعرا يعتذر فيه للرسول(صلى الله عليه وسلم) ، ولا شك اَن الإسلام كان له اَثره في ذلك الشعر ، وإن النظرة الناقدة ، لا يخطِئها اَن تلمح ذلك الاَثر في شعره ، كما لا يخطئها اَن تلمح نزعة جاهلية في شعر حسان وكعب ، وغيره من شعراء الدعوة الاَوائل[2] ، فانظر إلى قول ابن الزبعرى والندم يعتصر قلبه[3] : [من الكامل]

1 ـ يَا خيْرَ منْ حَمَلت على اَوْصَالِهَا عيْرَانَةٌ سُرُحُ اليَدَيْن غَشُومُ
2 ـ إنِّي لَمُعْتذِرٌ إليْك مـنَ الذي اَسْدَيْتُ إذ اَنَا في الضّلالِ اَهِيمُ

إلى اَن يقول[4] :

3 ـ فاليَوْمَ امـنَ بالنّبيّ مُحمّدٍ قلْبي ومُخطِـيءُ هذِه مَحْرُومُ
4 ـ مَضت العَدَاوَةُ وانْقضت اَسْبَابُهَا ودَعَت اَواصِرُ بيْنـَنَا وحُلُومُ
5 ـ فاغفِرْ فِدًا لكَ وَالِدَايَ كِلاهُمَا زَلَلِي فإنّـك رَاحِمٌ مرْحُومُ
6 ـ وعَلَيْك منْ عِلمِ المَلِيكِ عَلامَةٌ نُورٌ اَغـرّ وخاتمٌ مخثُومُ
7 ـ اَعْطاك بَعْد مَحبَّـةٍ بُرْهَانَـهُ شَرَفًا وبُرْهَـانَ الإلهِ عَظِيمُ

ويبدو اَن الشاعر قد استوحى هـذه الابيات من اي الذكر الحكيم ، كقولـه تعالى : ﴿ رَبّنَا امَنّا بمَا اَنْزلتَ واتبَعْـنَا الرّسُـولَ فاكتبْنَا معَ الشّاهدينَ ﴾[5] ،

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 30 .
(2) عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، مصر ، ط 2 : 1970م ، ص 89 .
(3) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 45 ، 46 ، عيرانة : ناقة ، سُرح اليدين : خفيفة ، غشوم : لا ترد على وجهها .
(4) نفسه ، ص 46 .
(5) آل عمران : 53 .

وقوله : ﴿ أفَمَن شرَح اللهُ صَدْرَهُ للإسلامِ فهُوَّ على نُورٍ مـنْ رَبِّهِ ﴾[1] ، وقوله ايضا : ﴿ مَا كانَ مُحمّدٌ ابَا احَدٍ منْ رِجَالِكُم ولكِن رَسُول اللهِ وخاتَم النّبيينَ ﴾[2] ، وقولـه عز من قائل : ﴿ وإنْ لمْ تغفِر لنَا وترْحَمْنَا لنَكُونَنّ منَ الخاسِرِين ﴾[3] . وغيرها من الآيات[4] .

وإذا نظرنا إلى أسلوب ابن الزبعرى فإننا نراه قد لان ، واقتربت ألفاظه من ألفاظ الإسلام ، ولا أدل على ذلك من قوله منشدا الرسول (صلى الله عليه وسلم)، في انفعال صادق ، مخلص للدين الجديد ، ومتأثر بـــه ، فـــي قصيدة رائعة كفّر بها عمّا بدرَ منه ، مقرّا بأنّ الشيطان قد أضلّه وأغواه فسار في طريق الشـر و الضلال ، يقول[5] : [من الخفيف]

1 ـ يَا رَسُولَ المَلِيـك إنّ لِسَانِـي رَاتِقٌ مَا فَتقـتُ إذْ انَا بُورُ
2 ـ إذْ أبَارِي الشّيْطانَ في سُنَن الغَـ ـــيِّ ومنْ مَالَ مَيْـلَهُ مثبُورُ
3 ـ أمَـنَ اللحْـمُ والعِظامُ لِرَبِّي ثُمَّ قلْبي الشّهِيـدُ أنْت النّذيرُ

ومن الواضح أن ابن الزبعرى استقى مادته من القـرآن الكريم ، من قولـــه تعالى : ﴿ إنّا امّنّا بربّنَا لِيغفِرَ لنَا خطايَانَا ﴾[6] ، وقوله أيضا : ﴿ يَا ايّهَا النّبيّ إنّا أرْسَلنَاك شاهِدًا ومُبَشّرًا ونَذِيرا ﴾[7] ، وقوله تعالى : ﴿ ويُرِيدُ الشّيْطانُ أنْ يُضِلّهُم ضَلالا بَعِيدا ﴾[8] .

وانظر إلى قوله : " أمن اللحم والعظام لربي " وما فيه من إقرار وتسليم ، وإلى هذا الإيمان الذي يغمر الإنسان كله قلبًا وقالبًا ، وروحًا ولحمًا وعظاما[9] .

---

(1) الزمر : 22 .
(2) الأحزاب : 40 .
(3) الأعراف : 23 .
(4) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 188 .
(5) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 36 .
(6) طه : 73 .
(7) الأحزاب : 45 .
(8) النساء : 60 .
(9) فوزي محمد أمين : في شعر صدر الإسلام والعصر الأموي ، ص 81 .

وما قيل عن شعر عبد الله بن الزبعرى الجاهلي والإسلامي ، يصح أن يُقال عن شعر **ضرار بن الخطاب الفهري** . فقد كان متعصبا لقومه ، مفتخرا بهم ، وكثيرا ما كان يحرض قومه على قتال المسلمين إذا هم تخاذلوا أو تقاعسوا ، وقد برز ذلك واضحا إبان الحروب الدائرة بين مكة والمدينة . وفي هذه المعارك تنظم قصائد كثيرة و ينبري كثير مـن شعراء المشركين شامتين أو مهددين أو مبررين لانْكسَار ، أو متغنين بانتصار ، ذاكريـن المثالب القائمة والقديمـــة ، لا يدعون مثلبـة حتى تذكر وتضخم ولا عاهة في نسب أو أصل دون أن يثيروها ويتناولوا أصحابها[1] .

فهذا ضرار بن الخطاب قد حمله غيّه الوثني على رمي الهدي النبوي بالغي ، فبدلا مـن أن يرعوي عن ضلال الوثنية طالب المسلمين بالارعواء عـن هَدْي الإسلام . فلما تبين له إصرارهم على ما آمنوا به ذكّرهم الأرحام ، لعلهم يؤثرون القرابة على العقيدة ، فأبوا . حينئذٍ عَاذ بالأحقاد يُسعّرها ، وبالحزازات يفجرها ، ثم انضم إلى جيش الشرك الزاحف خلف أبي سفيان بدروعـه السوابغ ، وقلانسه اللوامع[2] ، وهو يقول[3] : [من البسيط]

1 ـ مَا يَنْتَهُونَ عَن الغيِّ الذي رَكبُوا ومَا لهُم منْ لُؤَيٍّ ــ ويْحهُم ــ عَضُدُ
2 ـ وقدْ نَشدْنَاهُم باللهِ قاطبَـــةً فمَا تَرُدَّهُم الأرْحَـامُ و النَّشَـدُ
3 ـ حتّى إذا ما أبَوا إلا مُحَارَبَةً واسْتحْصَدتْ بيْنَنَا الأضغَانُ والحِقدُ
4 ـ سِرْنَا إليْهم بجَيْشٍ في جَوانِبِهِ قوَانِسُ البَيْضِ والمَحْبُوكةُ السَّردُ

ونجده يوم الخندق (5هـ) يفخر بجيش قومـه ، ويذكر حسـن عدّته وشِدّته على الأعداء ، فيقول[4] : [من الوافر]

1 ـ وَ مُشفِقةٍ تَظُنّ بنَا الظّنُونَا وقدْ قُدْنَا عَرَنْدسَةً طَحُونَا
2 ـ كأنّ زُهَاءَهَا أحُدٌ إذا مَا بَدتْ أرْكانُهُ للناظرينا

(1) إليا الحاوي : فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 86 .
(2) غازي طليمات ، عرفان الأشقر : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 189 .
(3) ضرار بن الخطاب الفهري : الديوان ، ص 50 ، 51 .
(4) نفسه ، ص 90 .

إلى أن يقول في روح قبلية واضحة، مظهرا شماتته في إصابة سعد بن معاذ[1] :

3 ـ فإنْ نَرْحَلْ فإنّا قدْ تركْنَا لدَى أبْيَاتِكُم سَعْدًا رَهِينَا
4 ـ إذا جَنّ الظلامُ سَمِعْتَ نَوْحَى على سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الحَنِينَا

لكن ابن الخطاب اسلم بعد الفتح ، واعتذر إلى الرسـول (ص) ، وقدّم بين يديه شعرا يفيض ملامح إسلامية ، يقول[2] : [من الخفيف]

1 ـ يَا نَبيَّ الهُدَى إليْك لجَا حَيْـ ـيُ قرَيْشٍ ولاتَ حِينَ لجَاءِ
2 ـ حِينَ ضاقت عليْهم سَعَةُ الارْ ضِ وعَادَاهُم إلهُ السّمَاءِ

ولعل ابن الخطاب يستقي بيتيه من قوله تعالى : ﴿ هُوَّ الذِي أرْسَلَ رَسُولهُ بالهُدَى ودين الحَقّ ﴾[3] ، وقوله عز من قائل : ﴿ وادْعُ إلى رَبِّك إنّك لعَلى هُدًى مُسْتقِيم ﴾[4] ، وقوله ايضا : ﴿ حتّى إذا ضَاقت عليْهم الارْضُ بمَا رَحُبَت ﴾[5] .

والظاهر من خلال هذه الأمثلـة وغيرها أن ضرار بن الخطاب قد تأثر تأثرا مباشرا بالقرآن الكريم وتعاليمه وقيمـه ، حتى سلس أسلوبه ، ورقت ألفاظـه ، واقتربت من لغة التنزيل الحكيم[6] .

وهذا **هبيرة بن أبي وهب** لا يختلف كثيرا في شعره عن صاحبيه عبد الله وضرار ، إذ نجده يوم أحد ، يهتز نشوة لانتصار المشركين ، فينشد قصيدة تفيض بالروح القبلية ، بداها بالغزل ((جريا على سنن القدامى **خالصا** إلى الحديـث عن معركة أحد وما أحرزه الكفار فيها من نصر))[7] ، فيقول[8] : [من البسيط]

1 ـ مَا بَالُ هَمٍّ عميدٍ بَات يَطرُقنِي بالوُدِّ منْ هِنْدٍ إذ تعْدُو عَوَادِيهَا

(1) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 91 ، 92 .
(2) نفسه ، ص 43 .
(3) التوبة : 33 .
(4) الحج : 27 .
(5) التوبة : 118 .
(6) فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 190 .
(7) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 320 .
(8) ابن هشام : السيرة النبوية : 78/3 .

إلى أن يقول مفتخرا بسلاحه وفرسه وعدته ، ومتشفيا بهزيمة المسلمين[1] :

2 ـ سُقْنَا كِنَانَةَ منْ أطرافِ ذِي يَمَنٍ عُرْضُ البِلادِ على مَا كان يُزجِيهَا
3 ـ قالتْ كِنَانَةَ انّى تذهَبُونَ بنَا قُلنَا : النّخِيلَ فامّوهَا ومـنْ فِيهَا
4 ـ نَحْنُ الفَوَارِسُ يَومَ الجَرِّ منْ أحُدٍ هَابَت مَعَدٌّ فقُلنَا نَحْـنُ نَأتِيهَا

ونجده يوم الخندق (5هـ) يبكي عَمْرو بن عَبد وُد بكاء حارا صادقا ، بكى فيـه فروسيته وإقدامه ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ فلا تبْعُدْنَ يَا عَمْرُو حَيًّا وهَالِكًا وحُقّ لِحُسْنِ المَدْحِ مِثْلُك منْ مِثْلِي
2 ـ ولا تبْعَدَنْ يَا عَمرو حيًّا وهَالِكًا فقدْ بِنْتَ مَحْمُودَ الثنَا مَاجدَ الأصْلِ
3 ـ فمَنْ لِطِرَادِ الخيْلِ تُقدَعُ بالقَنَا وللفَخرِ يَوْمًا عِنْدَ قرْقَرَةِ البَزْلِ
4 ـ هُنَالِك لوْ كانَ ابْنُ عَبْدٍ لَزَارَهَا وفرّجَهَا حَقّا فتًى غيْرُ مَا وَغْلِ

والظاهر من خـلال هذه الأبيات أن الشاعر قد عمد إلى تكرار شطره " لا تبعدن يا عمرو حيا وهالكا " ، وإن دل ذلك على شـيء فإنمـا يدل على هول المصيبة في نفس الشاعر ، وعلى الهلع الذي أصابه وأصاب المشركين لمقتل أعظم فرسانهم وأشدهم ، وأعظم فرسان العرب كذلك ، عمرو بن عبد ود .

أما **أبو سفيان بن الحارث** ، فلا يختلف هو الآخر ــ في شعره ــ عن الثلاثـة المقدميـن ، إذ نجـده يسلك سبل القدامى في هجائه لحسان بن ثابت ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ أبُوكَ أبُو سُوءٍ وخالُكَ مِثْلُهُ ولسْتَ بخيْرٍ منْ أبيكَ وخالِكَا
2 ـ وإنّ أحَقّ النّاسِ أنْ لا تلُومَهُ على اللّؤْمِ منْ ألفَى أبَاهُ كذلِكَا

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 78/3 .
(2) نفسه : 194/3 ، 195 ، الثنا : الذكر الجميل ، تقدع : تكف ، قرقرة البزل : أصوات الإبل القوية ، الوغل : الفاسد .
(3) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 250/1 .

فهنا نعت لحسان وأبيـه وخاله بالسَّوء ، ثم نعت له ولأبيه باللؤم . فهل هناك فارق بين هذه الصورة وأي صورة من صور الهجاء في الشعر الجاهلي ؟[1] .

كما نجده يوم أحد (3هـ) يرد على حسان بن ثابت نافيا عنه الهجرة كما نفى عنه إدعاء التقوى ، يقول[2] : [من الطويل]

1 ـ شَقِيتُم بهَا وغيْرُكُم كَانَ أهْلَهَا فَوَارِسُ منْ أبْنَاءِ فِهْربن مالِكِ
2 ـ فإنَّكَ لا فش هَجْرَةٍ إنْ ذكَرْتَهَا ولا حُرُمَاتِ الدِّين انْت بِنَاسِكِ

وقد أسلـم أبو سفيـان بن الحارث عام الفتح (8هـ) ، وكان حريصا على أن يكفر عن ذنوبه ، ويلقى العذر بين يدي الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فقال شعرا ذكر فيه ضلاله وكفره[3] ، مقارنا بين زمن الغواية وزمن الهداية ، إذ روّعه أن يتصور ماضيه الوثنـي ، وهو يحارب رايـة الله والنبـي عليه السلام تحت راية الـلات و العزّى ، فطرد من ذاكرتـه طيوف الضلال ، وبث فيها ظلال الطمأنينة[4] ، يقول[5] : [من الطويل]

1 ـ لَعَمْرُكَ إنِّي يَومَ أحْمِلُ رَايَةً لِتغْلِبَ خيْلَ اللاتِ خيْلَ مُحَمَّدِ
2 ـ لَكَالمُدْلِجِ الحَيْرَان أظْلَمَ لَيْلُهُ فهّذا أوَانِي حِينَ أهْدَى وأهْتدِي

والظاهر أن الشاعر قد تأثر في قولـه : " أهْدى وأهْتدِي " ، بقولـه تعالى : ﴿ ومنْ يَهْدِ اللهُ فهُوَّ المُهْتَد ﴾[6] ، وإن كان البعض يرى أن الشاعـر فـي هذه الأبيات ينم عن روح لا تزال معلقة بأهداب الجاهلية خاصة في استحضاره لماضيه الشركي ، وذكره خيل اللات مع خيل الله[7] .

(1) عبد العزيز عتيق : في الأدب الإسلامي والأموي ، ص 28 .
(2) ابن سلام الجمحي : طبقات فحول الشعراء : 249/1 .
(3) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 156 .
(4) غازي طليمات ، عرفان الأشقر : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 200 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 31/4 ؛ ابن حجر : الإصابة : 179/7 .
(6) الإسراء : 97 .
(7) عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعر في معركة الدعوة الإسلامية ، ص 426 ، 427 .

ومن الشعراء الذين ساهموا بالسيف واللسان في المعارضـة والعداء للدين الجديد ، وكان شعرهم امتدادا للشعـر الجاهلي في ألفاظه وأساليبه ومعانيه ، **الحارث بن هشام بن المغيرة** . فها هو يرثي أخاه أبا جهل ، فيغمـره الحزن والألم لفقده ؛ لأنه أمسى وحيدا في حفرة مهجورة قديمـة ، كما يبكي فيه حُسـن رأيه ، وسداد عقلـه ، وأنه بموته قد فقد المعين الذي كان يستمد من عزه عزا ، ومن عزمه عزما ، ومن رجاحة عقله معينا على الحياة ، فهو في هم مقيم لفقده[1] ، فيقول[2] : [من الوافر]

1 ـ ألا يَا لَهْفَ نَفسِي بَعْد عَمْرو وهَلْ يُغنِي التَّلهّفُ منْ قتِيلِ
2 ـ يُخبِّرُنِي المُخبرُ انّ عَمْرًا أمَامَ القوم في جِفْـرٍ مُحِيلِ
3 ـ فقِدْمًا كُنْتُ أحْسَبُ ذاك حَقّا وأنْت لما تقـدّم غيرُ فِيلِ
4 ـ وكُنْت في نِعْمَةٍ مَا دُمْت حَيًّا فقدْ خُلّفتُ في دَرَجِ المَسِيلِ
5 ـ كأنّي حِينَ أمْسِي لا ارَاهُ ضعِيفُ العَقدِ ذُو هَمٍّ طَوِيلِ
6 ـ على عَمْرُو إذا أمْسَيْتُ يَوْمًا وطرْفٌ منْ تذكّرِهِ كَلِيلِ

كما نراه ، وقد سيطرت عليه الروح القبليـة ، يدعو إلى الدّفاع عن الالهـة ، عامدا إلى إثارة النخوة العربية لمواجهة المسلمين ، فيقول[3] : [من الطويل]

1 ـ فيَا لُؤَيّ ذبِّبُوا عنْ حَرِيمِكُم وآلِهَةٍ لا تتْرُكُوهَا لِذِي الفَخرِ
2 ـ تَوَارثْهَا ابَاؤُكُم وورِثتُم أوَاسِيهَا والبَيْتَ ذا السّقفِ والسّترِ

وهذا **أبو سفيان بن حرب** يسير على نهج سابقيـه من شعراء مكـة ، إذ نراه يخرج للانتقام والثأر من المسلميـن بعد وقعـة بدر ، فيحرض المشركيـن لغزو المسلمين ، بأسلوب جاهلي صرف ، مقسِما أنه لن يمسّ رأسه ماء من جنابة

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 242 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 316/2 ، الجفر المحيل : البئر القديمة ، غير فيل : غير فاسد ، درج المسيـل : موطـن الذل والغلبة ، العقد : العزم .
(3) نفسه : 301/2 ، ذبّبوا : ادفعوا ، الأواسي : ما تؤسس عليه الأبنية .

حتى يبيد المسلمين عن بكرة أبيهم ، فيقول[1] : [من البسيط]

1 ـ كُرّوا على يَثرِبَ وجَمْعهم فإنّ مَا جَمّعُوا لكُـم نَفلُ
2 ـ إنْ يَكُن يَومَ القلِيبِ كانَ لهُم فإنّ مَا بَعْدَهُ لكُـم دُوَلُ
3 ـ أليْتُ لا أقرَبُ النِّسَاءَ ولا يَمَسّ رأسِي وجِلْدِيّ الغُسْلُ
4 ـ حتّى تُبيدُوا قبائِل الاوْسِ والخزْرَج إنّ الفُؤادُ مُشتَعِلُ

والملاحظ أن ابن حرب قد استهل أبياته بأمُر المشركين بالهجوم على يثرب ، محفزا قومه بالحصول على غنائم اليثربيين ، ثم يؤكد ان الايام دول ، فإن كان يوم بدر ــ ولم يسمه بدرا ، وإنما سماه يوم القليب نسبة إلى قتلى قريش الذين ألقوا في هذا الموضع ــ كان للمسلميـن فإن ما بعده سيكون للمشركيـن ، ليؤكد بعد ذلك عزمـه على الانتقـام والثأر ، حتى انه لمرارة مصيبـة بدر ، وللذل الذي لحـق بالقرشيين فيه يقسـم ألا يمس جسمـه الغسل من الجنابة ، حتى يبيد قبائل الأوس والخزرج ، ذاكرا الأوس والخزرج ولم يذكر المسلميـن من بني قومـه ، وكأن الحرب قبلية بين مكة ويثرب ، وليست بين المسلمين والمشركين من الجانبين .

ولم يكتف ابن حرب بذلك ، بل نراه بعد هزيمة المسلمين في أحد ، يفخر في معان جاهلية صرفة ، بأنه انتقم من بني هاشم ، ومن بني النجار أخوال الرسول (صلى الله عليه وسلم) من الخزرج ، ويعير المسلمين بهزيمتهم ، وغلبة معسكر مكة إياهم ، فيقول متشفيا بالشماتة من الغيظ ، ومداويا جراح المشركين في بدر بجراح المسلمين في أحد ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ وسَلّي الذِي قدْ كانَ في النّفس أنّنِي قتَلتُ مِـنَ النّجّار كُلّ نَجِيبِ
2 ـ ومنْ هَاشِمٍ قرْمًا كرِيمًا ومُصْعَبًا وكَانَ لدَى الهَيْجَاءِ غيْرَ هَيُوبِ
3 ـ ولوْ أنّنِي لمْ أشْفِ نَفسِي منْهُم لكَانَت شبَحًا في القلْبِ ذاتَ نُدُوبِ

وهذا **مُسافع بن عبد مَناف الجُمحي** ، أحد صناديد قريش وعتاتها ، يخرج

(1) أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني : 2247/5 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 31/3 .

يوم أحد (3هـ) ، يحرض بني مالك بن كنانـة ، ويستثيرهم لحرب المسلمين ، فيقول[1] : [من الرجز]

1 ـ يَا مَالِ مَالِ الحَسبِ المقدّم أنشدُ ذا القُربى وذا التذمّمْ

كما يرثي عمرو بن عبد ود يوم الخندق (5هـ) رثاء حارا صادقا ، ذاكرا صفاتـه وفضائله على عادة الجاهليين ، فيقول[2] : [من الطويل]

1 ـ عَمْرو بنُ عبْدٍ كانَ أوّلَ فارسٍ جَزَعَ المَذادِ وكانَ فارسَ يَلْيَلِ
2 ـ سَمْحُ الخلائِقِ مَاجِدٌ ذو مِرّةٍ يبْغِي القِتالَ بشكّةٍ لمْ يُنْكَلِ

ويؤنّب فرسان قريش الذين تركوه يواجه مصيره بنفسـه ، فيقول من قصيدة أخرى[3] : [من الكامل]

1 ـ أجْلتْ فَوَارسُهُ وغادَرَ رَهْطُهُ رُكنًا عَظيمًا كانَ فِيهَا أوّلُ

ولم يقتصر شعر مكة على الرجال فقـط ، بل دخلت المعركة نساء شواعر ، كان لهن أثر كبير في دفع المقاتليـن إلى الحرب ، وفي تحريض المشركيـن ، وإثارة الأحقاد ، وبكاء القتلى ، وشعر هؤلاء الشواعر في مكة ((لا يقل خطرا عن شعر الرجال ، ففيه الكثير من اتجاهات الشعر القرشي ، زيادة على ما في شعر النساء من التفجّع ، واللوعة في بكاء القتلى))[4] .

وأجود شعر النساء في مكة ، وأشده إيلاما وإيجاعا للمسلمين ، وأصدقه حزنا لقتلى المشركين ، وأكثره تمثلا لأسلوب الشعر الجاهلي ، شعر **هند بنت عتبة** .

نراها تهجو أخاها أبا حذيفة ، يوم بدر (2هـ) ، لخروجه عن طاعـة والده وقومه ، ودخوله في دين محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وكذا طلبه أباه للمبارزة

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 17/3 .
(2) نفسه : 193/3 .
(3) نفسه : 194/3 .
(4) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 170 .

في هذه المعركة ، مذكرة إياه بما قاساه والده في سبيل تربيته ، لتخلص إلى هجائه ناعتـة إياه بشر الناس في الدين ، تقول[1] : [من البسيط]

1 ـ فمَا شَكَرْتَ أبًا ربّاك منْ صِغَرٍ حتّى شَبَبْت شَبَابًا غيْرَ مَحْجُون
2 ـ الاحْوَلُ الاثْعَلُ المَشْؤُومُ طائِرُهُ أبُو حُذَيْفَة شَرّ النّاس في الدّين

وتبكي أباها عتبـة بكاء حارا صادقا ، ذاكرة خصالـه وفضائلـه على عادة الجاهليين ، فتقول[2] : [من مجزوء الرجز]

1 ـ يَا عَيْنُ بَكّي عُتبَهْ شَيخًا شدِيدَ الرّقبَهْ
2 ـ يُطعِمُ يَوْمَ المَسْغبَهْ يَدْفَعُ يَومَ المَغلَبَهْ
3 ـ إنّي عَلَيْهِ حَرِبَهْ مَلهُوفـةٌ مُسْتَلبَهْ

ثم تتوعد يثرب بغارة سريعة قاضية ، فتقول[3] :

4 ـ لَنَهْبطـنّ يَثرِبَـهْ بِغارَةٍ مُنْثَعِبَـلهْ
5 ـ فِيهَا الخُيُولُ مُقرِبَهْ كُلّ جَوَادٍ سَلْهَبَهْ

كما نجدها يوم أحد (3هـ) تقرن الارتجاز خلف الصفوف بضرب الدفـوف ، وفي قلبها ضرمٌ تريد أن تطفئهُ ، وثأر تحرص على أن تدركه[4] ، فتقول محرضة على القتال[5] : [من الرجز]

1 ـ وَيْهًا بَنِي عبْدِ الدّارْ
2 ـ وَيْهًا حُمَاة الأدبَارْ
3 ـ ضَرْبًا بِكُلّ بَتّارْ

(1) ابن عبد البر : الاستيعاب : 1631/3 .
(2) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 199 ، المسغبة : الجوع ، المغلبة : الحرب ، حربة : حزينة .
(3) نفسه ، ص 199 ، منثعبة : سريعة السيلان ، المقرب من الخيل : الذي يريد أقرب البيوت لكرمه ، السلهبة : الفرس الطويلة .
(4) غازي طليمات ، عرفان الأشقر : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، ص 188 .
(5) ابن هشام : السيرة النبوية : 24/3 .

وبعد انتهاء المعركـة بانهزام المسلميـن واستشهاد حمزة بن عبد المطلب ، نجدها تبدي فرحتها بمقتلـه ، وترى فيه ((شفاء لصدرها مما أصابها يوم بدر ، وأنها ما كانت تصبر على لذعات الألم طويلا حتى يؤخذ لها بالثأر ، وقد ثأر لها وحشي ــ الذي نذرت له مكافأة سخية إن قتل حمزة ــ وأنها لن تنسى هذا الجميل لوحشي ما عاشت ، وستفي له بما نذرت))[1] ، فتقول[2] : [من الرجز]

1 ـ نَحْـنُ جَزَيْنَاكُـم بيَوْمِ بَدْرِ والحَرْبُ بَعدَ الحَرْبِ ذاتُ سُعُرْ
2 ـ مَا كَانَ عَنْ عُتبَةَ لِي منْ صَبْر ولا أَخِي وعَمِّـهِ وبِكْـرِي
3 ـ شَفَيْتُ نَفْسِي وقضَيْتُ نَذري شَفَيْتَ وَحْشِـيّ غلِيلَ صَدْرِي
4 ـ فَشُكْرُ وَحْشِيّ عَلَيّ عُمْرِي حتَّى ترُومَ أَعْظُمِي في قبْرِي

وهذه **صفيّـة بنت مسافر** تبكي اهل القليب الذين أصيبوا يوم بدر (2هـ) من قريـش ، وتذكـر مُصابهُم في هـذه المعركة ، معددة مآثرهم وخصالهم ، فتقول[3] : [من البسيط]

1 ـ قُومِي صَفِيّ ولا تَنْسَيْ قرَابَتَهُم وإنْ بَكَيْتِ فمَا تَبْكِينَ منْ بَعْدِ
2 ـ كَانُوا سُقُوبَ سَمَاءِ البَيْتِ فانقَصَفتْ فأَصْبَحَ السَّمْكُ فِيهَا غيْرَ ذِي عَمَدِ

فهي تنادي نفسها تدعوها إلى البكاء على أصحاب القليب ، وكيف لا تبكيهـم وهم قومها وذوو قرابتها ، وقد كانوا لها سقفا يحميها من الحر والقر ، ولما سقطوا صرعى في هذه المعركة ، تهدم السقف الذي كان يحميها ويحمي قومها .

2 ـ الأثر الجاهلي في شعر الطائف :

انظم بعض شعراء الطائف إلى معسكر جيرانهم في مكـة ، حيث معارضـة الدعوة الإسلاميـة ، والوقوف في وجهها بشتى السبل ؛ فجاء شعرهم نسخـة عن شعر جيرانهم المكيين ، في أسلوبه وألفاظه ومعانيه .

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 277 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 45/3 ؛ ابن حجر : الإصابة : 149/8 .
(3) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 117 ؛ إبراهيم النعانعة : شعر بني كنانة ، ص 359 ، صفـيّ : منادى مرخم ، تنادي نفسها ، السقوب : عمد الخباء ، السمك : السقف .

فهذا **أمية بن أبي الصلّت** أول شعراء الطائـف وأبرزهم ، وأشدهم على الإسلام والمسلمين . كان في الجاهلية من الأحناف على دين إبراهيم ، وكان أمية يخبر أن نبيّا قد قرب زمانه وكان يطمح أن يكون ذلك النبي ، فلما ظهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، كفر به حسدا له[1] ، ثم انظم إلى شعراء المشركين يرثي قتلاهم ، ويحرض على قتال المسلمين .

كانت هزيمة المشركين في بدر وقتل العديد من سادة قريش مجالا كبيرا أمام أمية ليبكيهم ما دام قلبه لم يعمر بالإسلام ؛ إذ تعد قصيدته الحائية في بدر من أشهر قصائد الرثاء في الشعر العربي حتى أن الرسول نهى عن روايتها .

وقد استهلها بقوله[2] : [من مجزوء الكامل]

1 ـ ألا بَكيْتَ عَلى الكِرَا م بَنِي الكِرَام أولِي المَمَادِحْ
2 ـ كَبُكَا الحَمَام على فُرُو ع الأيْكِ في الغُصُن الجَوَانِحْ

والظاهر أن رثاؤه في هذه القصيدة لا يعاني شيئا من اللوعة والحزن أو الألم أو ما أشبه ذلك ممّا تبعثـُه في النفس أي تجربة صادقة لفقد إنسان عزيز ؛ ويتضح ذلك أكثر في كثرة الألفاظ الغريبة والجرس الخشن المفحُوح ، أين يختفي وراء ذلك جمود في عاطفـة الرثاء ، وذلك لأن أمية لا يندفع بإحساس عميق بالفاجعة ، ولا يصدر عن تجربة صادقة في رثاء قتلى بدر من المشركين ، إذ ما كان يهمـه قتلى بدر بقدر ما يهمـه التحريض على قتال المسلمين ، ولهذا عمد إلى ألفاظ التهويـل والإثارة ، لا إلى ألفاظ الحزن والأسى[3]، ويظهر ذلك جليا من خلال قوله[4] :

3 ـ مَـاذَا ببَدْرٍ فالعَقَنْـ ـقلُ منْ مَرازبَةٍ جَحَاجِحْ
4 ـ فمَدَافِعِ البَرْقيْـن فالـ ـجنّان منْ طَرَفِ الأوَاشِحْ
5 ـ شُمْـطٌ وشُبَّـانٌ بَهَا لِيـلٌ مَغاوِيـرٌ وَحَاوِحْ

(1) ابن قتيبة : الشعر والشعراء : 176/1 .
(2) أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 345 ، الأيك : الشجر الكثيف الملتف ، الجوانح : الموائل .
(3) نفسه ، ص 258 .
(4) نفسه ، ص 346 ، 347 ؛ ابن هشام : السيرة : 317/2 ، العقنقل : المنعقد من كثبان الرمل، المرازبة : الرؤساء ، الجحاجح : السادة ، مدافع : حيث يندفع السيل ، البرقين : مكان ، الجنّان : كثيب الرمل ، الأواشح : مكان ، الوحاوح : المنكمشين .

6 ـ ألا تَرَوْنَ كَمَـا أرَى ولقدْ أبَـانَ لكُـلِّ إلامِحْ
7 ـ انْ قدْ تغَيّرَ بَطنُ مَكّـــ ـــة فهْيَ مُوحِشَةُ الابَاطِحْ

ثم يحرض على قتال المسلمين معبرا عن عاطفـة الاستثارة والحقد والحض على الانتقام من المسلمين في أسلوب جاهلي واضح ، فيقول[1] :

8 ـ للهِ دَرُّ بَنِي عَلَيٍّ آيٍّـمٍ مِنْهُـم وِنَاكِحْ
9 ـ إنْ لمْ يُغِيرُوا غَارَةً شَعْوَاءَ تُجْحِرُ كُلَّ نابِحْ

وبالرغم من أن أمية في رثائه لقتلى قريش كان جامد العاطفة ، إلا أن قصيدته السالفـة الذكر قد أثارت حفائـظ الرجال للانتقام من المسلمين ، والثأر لكرامتهم وسيادتهم المنتهكة ، خاصة وأن أميـة قد استعمل أسلوبا خبيثا يفيض حقدا ويذخر غلا من هذا الدين الجديد وأتباعه .

وإذا سكت لسان مثل هذه العاطفة ، لم نجد غير معان جافـة ليس فيها عناء ، وذلك في رثائه زَمْعَة بن الأسْوَد وقتلى بني أسد يوم بدر ، وكان زَمْعَة من سادات قريش ، وأحد المحرضين على قتال المسلمين ، يقول أمية[2] : [من الخفيف]

1 ـ عَيْنُ بَكّـي بالمُسْبِلاتِ ابَا الحَا رثِ لا تذخـرِي على زمْعَهْ
2 ـ وعَقِيلَ بنَ أسْـوَدَ أسَـدَ البَأ سِ ليَـوْمِ الهيـاجِ والدّفعَهْ
3 ـ فعلى مِثلِ هُلكِهِـم خوتَ الجَوْ زاءُ لا خانَـةٌ ولا خدَعَـهْ
4 ـ وهُمُ الأسْرَةُ الوَسِيطةُ منْ كَعْـ ـبٍ وفِيهِـم كذِرْوَةِ القمَعَـهْ

والملاحظ على كلتا القصيدتين أنهما خلتا من ذكر الآخـرة وأمر الدين تماما ، بالرغم من أن أمية كان عالما بالأديان ، كما كان على دين الحنفيـة قبل البعثـة النبوية .

---

(1) أمية بن أبي الصلت : الديوان ، ص 350 ، 351 ؛ ابن هشام : السيـرة النبويـة : 319/2 ، وقال ابن هشام : تركنا بيتين نال فيهما من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، الدّر : العمل من خير وشر ، بنو علي : هم قريش ، لأن أمهم تزوجت علي بن مسعود بن ذئب فضم أولادها بكْرا وعامرًا ومُرّة بني عبد مناف فنُسبُوا إليه ، الشعواء : المنتشرة المتفرقة ، تجحر : تعيد إلى الجحر .

(2) نفسه ، ص 417 ، 418 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 320/3 ، المسبلات : الدموع السائلة ، تذخري : تدخري .

ويظل الطابع الذي يغلب على شعر الطائف كما هو حال شعـر مكة ، هو الطابع الجاهلي المحض ؛ فهذا ثاني شعراء الطائف الذين كان لهم ذكر في الصراع بين مكـة والمدينـة في العهد النبوي ، **كنانة بن عبد ياليل** ، ابن عَم أبي محْجَن الثقفي الشاعر الإسلامي المشهور، يسير على درب سابقيه من شعراء المعارضة ، فيجيب كعب بن مالك يوم الطائف ، مفتخرا على عادة القدامى ، بقوة قبيلته ثقيف ، وبسالة فرسانـها في الحرب ، مؤكدا أن موطن قومـــه معروف فمن أراد قتالهم ، فليَسِر إليهم لينال الهزيمـة كما نالها سابقوهم بني عمرو بن عامر بن صعصعة ، فيقول[1] : [من الكامل]

1 ـ مَنْ كانَ يَبْغـِيـنَا يُرِيدُ قِتَالَنَا فإنَّا بدَارِ مَعْلَـمٍ لا نَرِيمُهَا
2 ـ وَجَدْنَا بهَا الآبَاءَ منْ قبْلِ مًا تَرَى وكانَتْ لنَا أطْوَاؤُهَا وكُرُومُهَا
3 ـ وقدْ جَرَّبَتنَا قبْلُ عَمْرُو بنُ عَامِرٍ فأخبَرَهَـا ذُو رَأيهَا وحَلِيمُهَا

ثم يصف أسلحتهم ، وقوة حامليهـــا مـــن فرسان ثقيف الشجعان الأشداء ، فيقول[2] :

4 ـ عَلَيْنَا دِلاصٌ منْ تُرَاثِ مُحَرِّقٍ كَلَوْنِ السَّمَاءِ زَيَّنتْهَا نُجُومُهَا
5 ـ نُرَقِّهُهَا عَنَّا ببيضٍ صَوَارِمٍ إذا جُرِّدَت في غمْرَةٍ لا نَشِيمُهَا

والملاحظ على شعر الطائف ، أننا لا نلمس فيه أي أثر للدين ، شأنه في ذلك شأن شعر المعارضة في مكة ، كما أن شعراء الطائف كثر في هذا العصر إلا أنه لم يكن لهم ذكر في الصراع بين الدعـوة والمعارضـة إذا ما استثنينا أمية بن أبي الصلت وكنانة بن عبد ياليل ، ونحن في هذا البحـث نسعى إلى إيراد من له ذكر في هذا الصراع فحسب ، تماشيا مع طبيعة الموضوع وخطة البحث .

3 ـ الأثر الجاهلي في شعر اليهود :

تناسى اليهـود أنّهم أصحاب دِيـن وأهل كتاب ، فراحوا يساندون قريشا

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 97/4 ، نريمها : نبرحها .
(2) نفسه : 97/4 ، دلاص : الدروع اللينة ، محرق : أول من حرق من العرب ، لا نشيمها : لا نغمدها .

في حَربها ضد محمد (صلى الله عليه وسلم) وأتباعـه ، وأخذوا يصبّـون جَام غضبهم وحقدهم على الدين الإسلامي وحامل لواء رسالة التوحيد .

فهذا **كعب بن الأشرف** أبرز شعـراء اليهـود ، وأشدهم على الإسـلام والمسلمين ، قد ساءه أن ينتصر المسلمون في بدر وهم قلة ، وتنتشر الدعوة ويكثر المؤمنون ، كما ساءه مقتل سادة قريش في هذا اليـوم ، فراح يبكيهم ، ويحرض ويؤلب على النبي عليه السلام وصحبه ، فيقول[1] : [من الكامل]

1 ـ طَحَنَت رَحَى بَدْرٍ لِمَهْلَكِ اَهْلِهِ ولِمِثْلِ بدْرٍ تستَهـلّ وتدْمَعُ
2 ـ قُتِلتْ سَرَاةُ النَّاس حولَ حِيّاضِهِم لا تبْعَدُوا إنّ المُلُـوك تُصَرَّعُ
3 ـ كمْ قدْ أُصِيبَ بِهِ منْ اَبْيَض مَاجِدٍ ذِي بَهْجَـةٍ يأوي إلَيْهِ الضّيّعُ
4 ـ طلْق اليَدَيْن إذا الكَوَاكِبُ اَخلفتْ حَمّالُ اَثقَـالٍ يسُودُ ويَرْبَعُ

فهو يقول أن رَحَى القتال في بدْر طحنت القتلى ، فأهلك النبيّ (ص) ، أهلهُ وبني قومه ، مما أثار الدمع الغزير الذي لا يكفّ ولا ينضب ؛ فقد فتك بأئمة النّاس ورؤسائهم ممّن يفزع إليهم الخائفون الضائعون ، وممن كانوا يأوون الجياع عندما يعُمّ الجفاف ويحملون ضيْم الاخرين . والشاعر يتهمُ النبي هنا بأنه يقاتل أهله ويفتك بهم ، بالرغم من أنهم هامـة الناس والمتقدمون عليهم[2] . وهذه معان رثائيـة ، مدحية ، هجائية، قريضية ، في ان واحد، وقد أفاد الشاعر من فئات هذه الفنون ولم يبتدع معنًى مدحيا أو رثائيا أو هجائيا وإنما جمعها وألفَ بينها لتؤدي غايتها[3] .

ثم يستثير عاطفة الحزن والانتقام على جحافل قريش ، فيقول[4] :

5 ـ نُبِّئتُ أنّ بنِي المُغيرَة كُلّهُم خشَعُوا لقتلِ أبي الحَكيمِ وجُدِّعُوا
6 ـ وابْنَا رَبيعَـة عنْدهُ ومُنَبِّهٌ ما نَال مِثـلَ المُهْلكِيـنَ وتُبّعُ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 9/3 ، المجد : الكرم ، الضّيّع : الفقراء ، طليق اليد : كثير المعروف ، يربع : يأخذ ربع الغنيمة وهو نصيب الرؤساء في الجاهلية .
(2) إليا الحاوي : فن الهجاء وتطوره عند العرب ، ص 89 .
(3) إحسان سركيس : الظاهرة الأدبية في صدر الإسلام والدولة الأموية ، ص 90 .
(4) ابن هشام : السيرة النبوية : 9/3 .

وقد أثارت هذه الأبيات مشاعر المسلمين ، فبرز بعض شعرائهم للرد عليها ، على شاكلة ميمونة بنت عبد الله البلويّة التي ردت على كعب قائلة[1] :

[من الطويل]

1 ـ تحَنَّـنَ هذا العَبْـدُ كُلّ تحَنُّنِ يُبَكّي على القتلى وليْسَ بِنَاصِبِ
2 ـ بكَت عَيْنُ منْ يبْكِي لِبَدرٍ وأَهْلِهِ وعُلّت بِمِثْلِيْهَـا لُؤيّ بنُ غالِبِ

فقال كعب مُسفهًا رأيها[2] : [من الطويل]

1 ـ ألا فازْجُرُوا منْكُم سَفِيهًا لِتسْلمُوا عن القولِ يَأتِي مِنْهُ غيْر مُقارِبِ
2 ـ أتَشْتُمُنِي أنْ كُنْتُ أبْكِي بعبْرَةٍ بقَـوْمٍ أتانِي وُدّهُم غيْرَ كاذِبِ
3 ـ فإنّي لبَاكٍ مَا بَقِـيـتُ وذاكِرٌ مَآثِرَ قَـوْمٍ مَجْدُهُم بالجَبَاجِبِ

ولم يكتف كعب بالتآمر على الرسول (صلى الله عليه وسلم ومعاداته) ، بل تجاوزها إلى التشبيـب بنساء المسلميـن ، حتـى أن أمّ الفضل بنت الحارث زوج العباس بن عبد المطلب ــ عمّ رسول الله ــ لم تسلم من ذلك ، إذ يقـول عدو الله مشببا بها[3] : [من البسيط]

1 ـ أراحِـلٌ أنـتَ لمْ تحْلُل بمَنْقبَـةٍ وتارِكٌ أنت أمّ الفَضلِ بالحَرَمِ ؟!
2 ـ صَفراءُ رَادِعة لو تُعصَرُ انْعَصَرتْ منْ ذِي القوَارِيرَ والحِنّاءِ والكَتَمِ
3 ـ يَرْتَجّ مَا بيْنَ كَعْبَيْهَـا ومِرْفَقِهَـا إذا تأَدّتْ قِيَامًـا ثمّ لم تقمِ

إلى أن يقول عليه من الله ما يستحق[4] :

4 ـ لمْ أرَ شمْسًا بلَيْلٍ قبْلَهَا طلعَتْ حتّى تجَلّت لنَا في ليْلَةِ الظلمِ

فعدو الله لم يكتف بالتشبيب بزوجات المسلمين بل تجاوز ذلـك إلى زوجـة

(1) محمد التونجي : شاعرات في عصر النبوة ، ص 180 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 10/3 ، ناصب : متعب .
(2) نفسه : 11/3 ، الجباجب : جبال مكة .
(3) ابن جرير الطبري : تاريخ الطبري : 1000/1 .
(4) نفسه : 1000/1 .

عمّ رسـول الله (صلى الله عليه وسلم) " العباس " ، واصفا إياها وصفا حسّيـا ماجنا ، لعنه الله وأعد له عذابا مقيما .

والواضح أنّ كثيرا من شعر كعب المقذع والمُفحِـش قد تجاهلتـه الروايـة الإسلامية كما تجاهلت غيره من شعراء المعارضة ، ولم أسْعَ قط إلى إيراد جزء منه هنا إعجابا به أو رغبـة في التشهير به ، وإنما لغايـة واحدة ، هي دراسته وتحليله ، تحليلا موضوعيا غفل عنه الكثير من الدارسين .

أما ثاني شعراء اليهـود الذين وقفوا في وجـه الإسـلام والمسلمين ، فهو : **سماك اليهودي** ، الذي نجده يرد على قصيـدة علي بن أبي طالب فـي إجـلاء بني النضير ، والتي مطلعها[1] : [من المتقارب]

1 ـ عَرَفتُ ومنْ يَعْتَدِل يَعْرِفِ وايْقنْتُ حَقّا فلمْ أصْدِفِ

فيقول[2] : [من المتقارب]

1 ـ إنْ تفْخرُوا فهُوّ فخرٌ لكُم بمَقتلِ كَعْبٍ أبي الأشرَفِ
2 ـ غَدَاةَ غَدَوتم على حتفِهِ ولمْ يَأتِ غَدِرًا ولمْ يُخلِفِ

إلى أن يقول مُهدّدا المسلمين بغارة شعْواء ، يقودها أبو سفيان بن حرب[3] :

3 ـ فإنْ لا أمُتْ نَأتِكُـم بالقنَا وكُلّ حُسَامٍ مَعًا مُرْهَفِ
4 ـ بكفّ كمَـيّ بهِ يَحْتَمِي مَتى يَلْق قِرْنًا لهُ يُتلِفِ
5 ـ مَعَ القوْمِ صَخرٌ وأشيَاعُهُ إذا غَاوَرَ القوْمَ لمْ يَضْعُفِ

كما نراه يرد على كعب بن مالك ، فيبكي كعب بن الأشرف وأصحابه ، بكاء

(1) علي بن أبي طالب : الديوان ، ص 109 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 134/3 ، أصدف : أعرض .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 135/3 .
(3) نفسه : 135/3 .

جاهليا حارّا ، وذاكرا إجلاء بني النضير، فيقول[1] : [من الوافر]

1 ـ أرِقتُ وضَافنِي هَمٌّ كَبيرٌ بِلَيْـلٍ غيْرُهُ لَيْلٌ قصِيرُ
2 ـ أرَى الأحبَارَ تُنْكِرُهُ جَمِيعًا وكُلُّهُـم لهُ عِلْـمٌ خبيرُ
3 ـ وكانُوا الدّارِسِينَ لكُلِّ عِلمٍ بِهِ التّوْرَاةُ تنْطِقُ والزّبُورُ
4 ـ قتَلْتُم سَيِّدَ الأحْبَارِ كَعْبًا وقِدْمًا كانَ يَأمَنُ منْ يُجِيرُ

ثم يهدد المسلمين بالثأر والانتقام لمقتل كعب ورفاقه ، فيقول[2] :

5 ـ فإنْ نَسْلَمْ نَترُك رجَالا بكعْبٍ حَوْلَهُم طيْرٌ تدُورُ

ليُذكّر المسلمين في الأخير بما أصابهم من هزيمـة يوم أحد (3هـ) على يدي أبي سفيان بن حرب ، فيقول[2] :

6 ـ كمَا لاقَيْتُم منْ بَأسِ صَخرٍ بأحْدٍ حيْثُ ليْسَ لكُم نَصِيرُ

والملاحظ على هذه الأبيات أنها جاءت بأسلوب جاهلي في ألفاظها ومعانيها ، إذ يرثي الشاعر قتلى اليهود ، معدّدا صفاتهم ومآثرهم ، ثم يهدد المسلمين بالانتقام لمقتل كعب وصحبه ، بأن يصيب منهـم رجالا كثرا ، تدور الطير حول جثثهـم المنتشرة ، كما انتشرت يوم أحد .

وعن الأثر الديني ، فقد استخدم الشاعر الألفاظ الدينية ، نحو : " التوراة " ، " الإنجيل " ، " الأحبار " ، ولا غرابة في ذلك فالشاعر صاحب دين ، هالهُ إجلاء علماء دينهم من الأحبار ، عن موطنهم ، فذكرهم وذكر علمهم وثقافتهم الدينية ، كما ذكر كتب اليهود السماوية : التوراة والإنجيل .

والملاحظ عن شعر اليهود عامـة ، وعلى قلتـه ، أنه يمثل جانبا هاما من جوانب شعر المعارضة الذي اتسم بطابعه الجاهلي فـي أسلوبه وألفاظه ومعانيه ،

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 137/3 .
(2) نفسه : 137/3 .
(3) نفسه : 137/3 .

وذلك بالرغم من أنّ اليهود كانوا أصحاب كتاب ، وكان المنتظر منهم أن يتعرّضوا للدين الإسلامي ، ويحاجّوا بما لهم من ثقافة دينيـة في هذا الجانب . ومع هذا فقد أضافوا هجاءا للمسلمين ، ليس عن عقيـدة ، وإنما للدفاع عن مصالحهم ، وزرع الفتنة ، وإذكاء العداوة بين العرب .

وفي الأخير فإن الشعر المعارض للدعـوة الإسلاميـة ، تعرض للإهمال والنسيان والضّياع ، وشعر مكة والطائف واليهود في ذلك سواء ، وهذا أمر طبيعي لأنّ العرب قد دخلوا الإسلام بعد الفتح وارتضُوه دينا ، وصار ((الشعر الذي قالوه في هجاء الإسلام والمسلمين ، يتنافى مع الإيمان الجديد ، بل عاد ذلك الشعر سُبّة عليهم وعارا ، فلا بدّ أن يشيحوا عنه ويغضوا منه ، ويتبرؤوا مـن الكلام الباطل والضلال القديم))[1] .

أمّا ما حُفظ من شعر المعارضـة ، فهو على قلته ، شعر يدور حول الأمور العامـة فـي تهاجي الشعراء ، ووصف المعارك ، والتحدث عن نتائجهـا ورثاء الموتى ، والهجاء القبلي ، على نحو ما كان نظيره في الجاهلية .

وليس غريبا أن نعدم أي أثر للدعوة في هذا الشعر ، ذلك لأنّ هؤلاء الشعراء لم يؤمنوا بهذا الدين الجديد حتى يتأثروا به ، وبتعاليمه وقيمه ، كما أنّه ليس غريبا أن يكون هذا الشعر خاليا من ((التعرض للدين الجديد ، ونقده ، والانتقاص منه ، وتفنيد نظمه وشعائره ، وكذلك خاليا من ذكر النبي الجديد ــ عدوّ المشركين ـ وصحابته البارزين))[2] .

وقد يكون للرواة المسلمين في عصر التدوين دور في إسقاط أكثر ما قيل في هذا الضرب ، ولا أدل على ذلك مـن تنبيهات ابن هشام الكثيـرة على حذف تلك الأبيات ؛ كقـوله لمّا أورد قصيـدة أميـة بن أبي الصلت في رثاء قتلى بدر من المشركين : ((تركنا منها بيتين نال فيهما من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وسلم))[3] .

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 206 .
(2) نفسه ، ص 206 .
(3) ابن هشام : السيرة النبوية : 319/2 .

وشيء آخر يلفت النظر في شعر المعارضة ، هو أننا لا نجد فيه ما يرقى إلى شعر الفحول الجاهليين ، وإذا كان أمية بن أبي الصلت شاعر الطائف من الشعراء البارزين المجيدين ، فإنّ شعره في هذا الصراع أقل جودة ، وأكثر ليونة ، وأدنى طبقة من شعره الآخر الذي اشتهر به ، في الدين وذكر الآخرة ، والحكمة ، قبل بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم)[1] .

وكان من المُؤمّل أن نجد في شعر المعارضة ــ وخاصة شعر مكة ــ شعرا فيه البرهان والحجة على صلاح دينهم ، والدفاع عنه ، وتمجيد آلهتهم ، ثم تفنيد الدين الإسلامي ، ومجادلة المسلمين ، إلا أنّ شيئا من ذلك لم يكن ، بل الذي كان ، أنّ شعر مكة سار على النهج الجاهلي ، ولولا ما في شعر مكة من ذكر للمعارك ، أو رثاء للقتلى ، وتسميتهم بأسمائهم ، لصح أن تنسب أشعارهم إلى يوم مـن أيام العرب في الجاهلية[2] .

ولا شك أنّ المكيّين لم يُقروا بالدين الجديد ، كما أنّهم لم يكونوا على قدر كبير من التمسك بدينهم الوثني ، لذلك كان أبرز ما يتضح في شعرهم ، محافظته على خطه الجاهلي شكلا ومضمونا ، إذ برز فيه التعصب القبلي ، والعداء الشديد لأهل المدينة ، من الأوس والخزرج ولبطون منها سمّوها بأسمائها ، وقد بلغت العصبية أن يبرّ القرشيّون بقومهـــم مـــن المسلمين ، ويذكروا رحمهم حتى فـــي ساحات الحرب ، وقد وضح ذلك في تجاوز ضرار بن الخطاب عن قتل عمر بن الخطاب وقد تمكن منه في أحد ، فالطابع العصبي الجاهلي هو أبرز ما يميز شعر مكة[3] .

وما قيل عن شعر الرجال في مكة ، ينطبق على شعر النساء الشواعر فيها ، خاصّة ما تعلق بطابعه الجاهلي شكـلا ومضمونا ، أضف إلى ذلك اقتصارهن في أشعارهن غالبا على تحريض المشركين على القتال والثأر لقتلاهن في بدر ، وكذا بكاؤهن للقتلى ، مع ذكرهن ما كان مـــن بطولتهم وكرمهـــم ورجولتهم ، والتشفي بقتلى المسلمين ، لذلك لم يكن مبعث شعرهنّ الشاعرية ، وإنما صدر عن عواطف

(1) صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، ص 244 .
(2) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 207 .
(3) نفسه ، ص 207 .

هزتها المصيبة أو حركتها نشوة النصر .

وإذا نظرنا في شعـر الطائف ، فإنّنا نجـده قليـل الظهـور في الأحداث الإسلامية ، ولم يكن ليشارك مشاركة بارزة واضحة في الخصومة بين المشركين والمسلمين ، وبالرغم من جهود أميـة بن أبي الصلت في رثاء قتلى قريـش من أصحاب القليب ، والتحريض على قتال المسلمين ، فإنّ صوت الطائـف عامّـة فـي الأحداث ، كان خافتا معزولا ، يعوزه الحماس ، كما أنّه لا يبلغ مبلـغ الشعر المكي في عدائه ومناهضته للدين الإسلامي[1] .

أمّا شعـر اليهود ، الذين تابعوا قريشا في عدائها للدين الإسلامي ، فقد كان صورة من شعر مكة ، على الرغم مـن أنّ اليهود أصحاب كتاب ، وثقافة دينية ، واتصال مباشر بالمسلمين فـي المدينة ، فلم يظهر فـي شعرهم ذكر للدين ، سواء تعلق الأمر بالديـن الإسلامي ، أم بالديـن اليهودي ، وقد كان منتظرا منهـم أن يتعرّضوا للدين الإسلامي ، ويُحاجّوا المسلمين ، كما حاجّ بعض أحبارهـم رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، بمسائل دينية ، أو بما جاء في دينهم في التوراة ، إلا أنّ ذلك لم يكن ، وكل ما في الأمر أن اليهود قد اتخذوا من الشعر وسيلة للتحريض ضد المسلمين ، وبكاء قتلى المشركين ، وذكر البلاء الذي أصاب اليهود يوم قريظة والنضير[2] .

وعلى أي حال فإنّ شعر المعارضة عامّة كان منقطعا محدودا ، لم يستمر بعد هزيمـة المشركين فـي مكة والطائف ، وبالتالي لا يصح أن يقال أنّه كان امتدادا طبيعيا للشعـر الجاهلي ، بل هو شعـر مرحلة خاصّة ، لابد منهـا فـي تصوير الصراع العسكري والشعري ، إذ أنّه شعـر ((أظهرته الخصومة التي بدأت منـذ البعثة ، وفي معركة بدر خاصّة ، وانتهت مهمته بفتح مكة ، والاعتذار لرسول الله صلى الله عليه وسلم))[3] .

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 208 ؛ فايز ترحيني : الإسلام والشعر ، ص 196 .
(2) نفسه ، ص 209 .
(3) نفسه ، ص 209 .

وجملة القول عن شعر الدعوة والمعارضة في صدر الإسلام عامّة ، أنه كان شعر حاضرة غالبا ، فلغته تختلف عن لغة شعر المعلقات التي تمثل الشعر في أوج نضجه وجماله ، وشعراؤهما ليسوا من الشعراء الفحول الذين يقاس شعرهم بشعـر من سبقهم ، إنما هم شعراء حفّزتهم الأوضاع المستجدة ، ودفعهـم ظهور الإسلام إلى قول الشعر مناصريـن أو مناوئيـن ، و ((الدين الذي حرك في الأمة روح الجهاد والقتال في سبيل الله لابد أن ينشط حركة الشعر لتواكب هذا التغيير))[1] .

وكلاهما فالشعر ثقافة وسلوك عند الجاهلية ، أما في الإسلام ، فالعقيدة أولا والشعـر ثانيا ، وهذا ما نلاحظه من فروق بين المؤيدين للدعوة والمعارضين لها على الرغم من تعدد أصنافهم من الجاهليين .

(1) إبتسام مرهون الصفار : الأمالي في الأدب الإسلامي ، ص 72 .

ثانيا : مميزات شعر الدعوة والمعارضة وسماته الفنية :

1 ــ مميزات شعر الدعوة وسماته الفنية :

امتاز شعر الدعوة بمجموعة من السّمات أهمها[1] :

ـ الوضوح والبساطة في المعاني والأفكار والأخيلة : وهو واضح لأنّه يجلو للنّاس أفكارا ترتبط بالحياة ، وتقرر المصير ، وترْمشي إلى ملئ الأسماع بالإقناع .

ـ الصّدق : وهو صادق ، لأنه شعر ملتزمٌ بالدعوة الإسلامية ومبادئها . فأصحابه لا يتكلّفُونَه تكلّف المادِح إطـراء الممدوح ، وإنّما يصنعُونَه من أفكارٍ جديـدة يعتقِدُونَها ، ويحاربون بها أفكارًا قديمة يبغِضُونَها .

ـ ظهور المعاني الإسلامية والعاطفة الدينية في الشعر وغَلبتُها علي تأثرًا بالقرآن الكريم و السنّـة النبوية الشريفـة ، أين ساد الاقتباس والتّضمِين في الكثيـر من المُقطّعات والقصائد .

ـ الإيجاز : أي صَبَّ هذا الشعر في مُقطّعات ، يخِفّ على الذاكـرة مَحْمَلَـها ، ويسْهُل على الحفظة والنّقلـة تداولها . ورُبّما كانت بعض هذه المقطّعات جُزءً من قصائد أغفَلَها النّسْيان .

ـ الطابع التعليمي الهادف إلى الوعـظ ، خاصة في بعض المقطعات التي استلهم ناظِمُوها معانيها من الحديث الشريف ، وأفرغوا هذه المعاني في كـلام موزون مقفى ، أرادوا به تربية النّاشئة على خلق النبوة .

ـ الواقعيـة التي سيطرت على التعبير ؛ فكان هذا الشعـر يعيش الوقائع وينقلها ويتفاعل معها .

---

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه ، ص 116 ـ 119 ؛ غازي طليمات ، عرفان الأشقر : الشعر في عصر النبوة والخلافة الراشدة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط 1 : 1428 هـ / 2007 م ، ص 173 ، 174 ؛ سالم المعوش : القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام ، ص 392 ـ 394 ؛ محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون : الأدب الإسلامي (المفهوم والقضية) ، ص 163 .

ـ ظهور بعض الخطابية في الشعر خاصة شعر عبد الله بن رواحة ، الذي يكاد أن يكون شعره كلام المتخاطبين .

ـ كثرة ما في شعر الدعوة من رثاء للشهداء ، والذي لم يكن إلا صورة من صور الدعاية للدين الجديد ومبادئه .

2 ــ مميزات شعر المعارضة وسماته الفنية :

اتسم شعر المعارضة بمجموعة من الخصائص ، أهمها[1] :

ـ أنّه كان مقتصرا على الأمور العامة في تهاجي الشعراء ، ومناقضات الحروب ، ورثاء الموتى ، والهجاء القبلي على الصورة الجاهلية الشائعة .

ــ أن شعر مكة سار على النهج الجاهلي ، ولولا ما في هذا الشعر من ذكر للمعارك ، أو رثاء للقتلى ، وتسميتهم بأسمائهم ، لصلح أن تنسب أشعارهم إلى غزوة من غزوات العرب في الجاهلية .

ــ أن أبرز ما يتضح من شعر المعارضة ، هو التعصب القبلي ، والعداء الشديـد لأهل المدينـة ، من الأوس و الخزرج ولبطون منها سموها بأسمائها ، وقد بلغت العصبيـة أن يبر القرشيون بقومهم من المسلميـن ، ويذكرون رحمهم حتى في ساحات الحرب ، وقد وضح ذلك في تجاوز ضرار بن الخطاب عن قتل عمر بن الخطاب وقد تمكن منه في أحد .

ــ انحصار موضوعات شعـر المعارضـة في الحرب وصفتها ، والتهيـؤ لها ، والفخر بحسن البلاء فيها ، والصبر على شدتها .

ــ أن شعر شواعر المعارضة لم يكن مبعثه الشاعرية ، بل صدر عن عواطـف هزتها المصيبة ، أو حركتها نشوة النصر .

ــ أنّنا لا نجد للمعارضة شعرا يرقى إلى شعر الفحول .

(1) يحي الجبوري : شعر المخضرمين ، ص 208 ، 209 ؛ عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، ص 46 .

ــ أن شعر المعارضة في أغلبه مقطعات وأبيات لا تبلغ القصيد إلا في قليل ، وذلك القليل يكاد يكون مقصورا على عبد الله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب، وأمية بن أبي الصلت .

ــ أن كل ما صدر عن شعراء المعارضة من شعر هو في حقيقته امتداد للشعر الجاهلي في صورته ومعانيه وروحه وكل خصائصه ، كما أنه شعر فترة قصيرة منقطع محدود ، بدأ مع الصراع الشعري بين مكة والمدينة ، و لم يستمر بعد هزيمة المشركين في مكة والطائف ، حيث انتهت مهمته بعد الفتح بالاعتذار لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) .

وقد حاولت في هذا الفصل الإلمام قدر الإمكان بشعر الدعوة والمعارضة ، في أغراضه وسماته وأبرز أعلامه ، دون أن أنسى التعريج في بدايته على واقع الحركة الشعرية في كل من مكة والمدينة قبل البعثة النبوية ، حتى يتسنى لنا مقارنتها مع واقعها بعد بعثة المصطفى (صلى الله عليه وسلم) ، وكذا التنقيب ــ من خلال الفصل الثاني ــ على الأثر الذي تركته الدعوة الإسلامية في شعر المعسكرين المتصارعين ، في لغته وأهدافه وأغراضه .

الفصـــــــل الثالــث :

نماذج لقصائد محللة من شعر الدعوة والمعارضة

أولا : قصيدتان من شعر الدعوة :

1 ــ قصيدة من شعر العباس بن مرداس السلمي :

أ ــ القصيدة : (عفا مِجّدل)

ب ــ شرح الألفاظ :

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

2 ــ موضوعات القصيدة :

3 ــ الأسلوب وسماته :

4 ــ الصور وأبعادها (الواقع والمتخيل منها) :

2 ــ قصيدة من شعر كعب بن مالك :

أ ــ القصيدة : (تلظى عليهم)

ب ــ شرح الألفاظ :

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

2 ــ موضوعات القصيدة :

3 ــ الأسلوب وسماته :

4 ــ الصور وأبعادها :

ثانيا : قصيدتان من شعر المعارضة :

1 ــ قصيدة من شعر عبد الله بن الزبعرى :

أ ــ القصيدة : (آلا ذرفت)

ب ــ شرح الألفاظ :

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

2 ــ موضوعات القصيدة :

3 ــ الأسلوب وسماته :

4 ــ الصور وأبعادها (الواقع والمتخيل منها) :

2 ــ قصيدة من شعر ضرار بن الخطاب الفهري :

أ ــ القصيدة : (ومَشفقة)

ب ــ شرح الألفاظ :

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

2 ــ موضوعات القصيدة :

3 ــ الأسلوب وسماته :

4 ــ الصور وأبعادها :

أولا : قصيدتان من شعر الدعوة :

1 ــ قصيدة من شعر العباس بن مرداس السّلمي :

أ ــ القصيدة : (عفا مِجْدل)

قال العباس بن مرداس يوم حنين[1]: [من الطويل]

1 ـ عفا مِجْـدَلٌ مـنْ اَهْلِـهِ فمُتالِعُ فمِطْلا اَريكٍ قدْ خـلا فالمَصَانِعُ

2 ـ دِيّارٌ لنَا يَا جُمْـلُ إذْ جُلّ عَيْشِنَا رّخِيٌّ وصَرْفُ الدّهْرِ للحَيِّ جَامِعُ

3 ـ حُبَيِّبَـةٌ اَلْوَت بهَا غُرْبَـة النَّوَى لِبَيْنٍ فهَلْ مَاضٍ منَ العَيْش رَاجِعُ

4 ـ فإنْ تبْتغِي الكُفّارَ غيْرَ مَلُومَـةٍ فإنّـي وَزِيـرٌ للنَّبـيِّ وتابـعُ

5 ـ دَعَانَا إليْـهم خيْرُ وَفدٍ عَلِمْتهُم خزَيْمَة والمَدّارُ مِنْهُم ووَاسِـعُ

6 ـ فجِئْنَا بِاَلـفٍ منْ سُلَيْـمٍ عَليْهِمُ لَبُوسٌ لهُمْ منْ نَسْـجِ دَاوُدَ رَائِعُ

7 ـ نُبَايِعُـهُ بالاخشبَـيْنِ و إنّـمَا يَدَ اللهِ بيْـنَ الاخشبـيْنِ نُبَايِـعُ

8 ـ فجّسْنَا معَ المَهْدِيِّ مكّـة عَنْوَةً بِاَسْيَافِنَا والنّقْـعُ كَابٍ وسَاطِـعُ

9 ـ عَلانِيّة والخيْلُ يَغشى مُتونَهَا حَمِيـمٌ وانٍ منْ دَمِ الجَوْفِ نَاقِعُ

10 ـ ويَوْمَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَت هَوازِنُ إلَيْنَا و ضاقتْ بالنّفُوس الاضَالِعُ

11 ـ صَبَرْنَا مَعَ الضّحّاكِ لا يسْتفِزّنَا قِرَاعُ الاعَادِي منْهُم و الوَقَائِـعُ

12 ـ اَمَـامَ رَسُولِ اللهِ يَخفـقُ فوْقَنَا لِوَاءٌ كَخذرُوفِ السّحَابَةِ لامِـعُ

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 107 ـ 109 .

13 ـ عَشِيَّة ضحّاكُ بنُ سُفيَانَ مُعْتصِ بسَيْفِ رَسُول اللهِ والمَوْتُ كَانِعُ

14 ـ نَذُودُ اَخانَا عنْ اَخِينَا ولوْ نَرَى مَصَالا لَكُنَّا الاَقرَبَيْـنَ نُتابِـعُ

15 ـ ولكِنَّ دِيـنَ اللهِ دِيـنُ مُحَمَّدٍ رَضِينَا بهِ فِيهِ الهُدَى والشَّرَائِعُ

16 ـ أقامَ بِهِ بَعْـدَ الضّلالَـةِ اَمْرَنَا وليْسَ لأمـْرٍ حَمَّـهُ الله دَافِعُ

ب ــ شرح الألفاظ[1] :

1 ـ عفَا : دُرِسَ وتغيّر ، مجْدلٌ : موضع قبل متالع ، واصل المجدل : القصْر المشرف ، ويقال : الحصنُ ، مُتالِع : جبل بنجد ، المِطّلاء بكسر الميم : اَرضٌ سهْلة وليّنة ، اَريك : موضِع ، المصانِع : مواضِع تصنْع للماءِ مثل الصّهاريج .

2 ـ جُمْل : اسم امراة ولعلها زوجه ، جُلّ العيش : اكثره ، رخيّ : ناعِمٌ ، صرْف الدهْر : الخطْبُ النّازل .

3 ـ حُبَيِّبَةٌ : تصغير حبيبة ، اَلْوَت بها : غيّبتها ، النّوَى : البعد والفراق .

4 ـ قوله هذا إشارة إلى دخوله في الإسلام وبقاء جمل على كفرها .

5 ـ المَدّار : المدار السّلمي وواسع السّلمي ، خزيمة : خزيمة بن جزي اَخو حبان بن جزي .

6 ـ رائِع : معجب .

7 ـ الاَخشبان : جبـلان بمـكة ، وفـي البيت يظـهر تأثـره بقـوله تعـالى : ﴿ إنّ الذين يبايعُونَك إنّما يُبَايعُون الله يدُ اللهِ فوق اَيديهم ﴾ .

8 ـ جُسْنَا : وَطِئْنَا ، المهدي : النبي (ص) ، عثْوَة : قهْرا ، النقع : الغبار ، كاب: مرتفع ، ساطع : متفرق .

---

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 107 ـ 109 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 83/4 ، 84 ؛ الفيروزبادي (أبو الطيب): القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1993 م ؛ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1986م .

9 ـ متونها : ظهورها ، الحميم هنا : العرَقُ ، آن : حار ، ناقع : كثير .

10 ـ يشير إلى شدة هوازن وتفرق المسلمين أول الأمر .

11 ـ لا يستفزّنا : لا يستخفنا .

12 ـ خذروف السحابة : طرفها ، وأراد هنا سرعة تحرك اللواء واضطرابه .

13 ـ معتصٍ : ضارب ، كانع : دانٍ ، ويقال كنع الموت : إذا اقترب ودنا .

14 ـ نَذُودُ : ندْفعُ ، وآخانا عن آخينا : يريد أنه من بني سليم ، وسليم من قيس ، كما ان هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس ، فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا هوازن ونذود عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى في حكم الدين مصالا لكنا مع الأقربين هوازن .

16 ـ حمّه الله : قدّره الله .

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

ورد في إحدى نسـخ ديوان العباس بن مرداس السلمي أنّه قال هذه القصيدة يوم حنين[1] ، وهو ما جاء في السيرة أيضا[2] .

والقصيدة عينية من بحـر الطويل ، وقد وردت في بحري الطويل والوافر أكثر حماسيات العصر الجاهلي والإسلامي .

2 ــ موضوعات القصيدة :

إذا تابعنا المعاني التي قامت عليها القصيدة أمكننا تقسيمها إلى ثلاثة أقسام :

1 ـ المقدمة الطللية .

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، تحقيق : يحي الجبوري ، ص 107 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 83/4 .

2 ـ مبايعة بني سليم للنبي (صلى الله عليه وسلم) ، ومشاركتهم في فتح مكة .
3 ـ يوم حنين وبلاء بني سليم فيها .

أما المقدمة الطللية الغزلية ، فقد جاءت في أربعة أبيات ، استهلها الشاعـر بمطلع مقفى ، تتفق فيه قافيـة الشطر الأول مع قافيـة القصيدة ككل ، في النوع واللقب والروي ، يقول :

عَفا مِجْدلٌ منْ اَهْلِهِ فمُتالِعُ فمِطّلا اَريك قد خلا فالمَصَانِعُ

وقد وقف الشاعر من خلال مطلعه على الديار المقفرة بنجد ، وتذكر مجدلا ومتالعا والمصانع وبكى شوقه إليها ، كما بكى ديار أهلـه وأحبائـه التي أصبحت خالية على عروشها ، والتي كانت أنيسـة من قبل بأهلـها ، ثم يتذكر من خلال هذه الديار محبوبتـه " جُمل " ، فيخاطبها ، باكيا بعدها وفراقها ، ثم يسترسل في ذكر حالـه الغابرة معها في هذه الديار ، مذكرا إياها بماضيـها السعيـد فيـها ، ومتحسّرا على ما كان فيه من رغد العيش وسعة الرزق ، ليؤكد بعد ذلك شوقـه وحنينـه حتى لصروف الدهر التي كانت تنزل بهـما وبالأهـل على حد سواء ، فيقول :

دِيّارٌ لنَا يَا جُمْلُ إذ جُلّ عَيْشِنَا رَخِيٌّ وصَرْفُ الدّهْر للحَيِّ جامِعُ

ثم يشكو نأي " جُمل " وفراقها ، ليتساءل بعد ذلك عن إمكانيـة عودة ذلك الماضي الجميل ، والعيش الهنيء السعيد ، في تساؤل يوحي بمرارة معاناته وشدة تعلقه بمحبوبته ، فيقول :

حُبَيِّبَة اَلْوَت بهَا غربَة النّوَى لِبَيْنٍ فهَلْ مَاضٍ من العَيْش رَاجِعُ

وقد تساءل الشاعر عن إمكانيـة عـودة الماضي ، وهو يعلم أن ذلك ضربٌ من المستحيل ، وقد أراد من خلال هذا التساؤل أن يلتمس بعض الأمـل ، لا في عودة الماضي التليد ، وإنـما في إمكانيـة عودة محبوبته إليه ، وإن سلكا دربين مختلفين ، إذ كانت قد اثرت البقاء على دينـها ، في حين فضل الشاعر أن يكون

وزيرا للنبي وتابعا ، ويتجلى ذلك من خلال البيت الرابع ، الذي فضل الشاعر عن طريقه التخلص من المطلع الطللي بسرعة ، ليفتـح المجال للدخول في موضوع آخر ، يقول :

فإنْ تبْتغِي الكُفارَ غيْرَ مَلُومَةٍ فإنِّي وَزِيرٌ للنّبيّ وتابعُ

ولعل هذا البيت بالذات إشـارة إلى أن محبوبته " جُمل" ما هي في الحقيقة إلا زوجه ، التي ما إن سمعت بإسلامه حتى حملت متاعها ورحلت إلى أهلها ، وقد أرسلت إليه بقصيدة تعاتبه فيها وتؤنبه على إسلامه وتركه لدين آبائه وأجداده .

ولعل في قصيدته الأخرى في حنيـن ، التي يعاتب فيها زوجه لبقائها على كفرها وضلالها ، ومتابعتها للمشركين ، ما يؤكد على ما ذهبنا إليه ، يقول[1] :

تقطّعَ بَاقِي وَصْلِ أمَّ مُؤمّـلِ بِعَاقبَةٍ واسْتَبْدَلت نِيَّـة خُلْفَا
وقدْ حلفتْ باللهِ لا تقطعُ القُوَى فمَا صَدقت فيهِ ولا بَرّت الحَلْفا

وقد اختار الشاعر هذا المطلع الطللي الغزلي ، ليقف على أطلال حيـاة له مضت ، وعفت ، اشتد حنينه إليها ، وحزنه العميـق عليها ، كيف لا وقد درست حياتـه كما دُرست هذه الدّيار ، بعد أن تفـرق عن الشاعـر والطلل ، الأهـل والاصحاب ، وذهبت دولتهما وبهاؤهما .

أما حديثه عن " جُمْل " التي تيمته ، والتي تعني في معناها الجمال والبهاء والحسن والنّضارة ، فإنه صورة للحياة البدوية الجاهلية السعيدة التي كان يحياها في هذه الديار ، كما أنه صورة أخرى لشوقه وحنينه إليها بالرغم من أنه قد تحول إلى حياة أخرى لا تقل سعادة وطمأنينة وراحة عن حياته الجاهلية ، كيف لا وهو برفقة خير الخلق وحبيب الحق ، محمّدٍ (ص) .

وبعد أن مهد في عجز البيت الرابع من قصيدته للدخول فـي موضوعه ،

(1) العباس بن مرداس : الديوان ، ص 114 ، خلفا : إخلاف الوعد ، النية : القصد أو البعد ، القوى : قوى الحبل أي العهد الذي قطعته ، الحلف : اليمين أو القسم .

من خلال تأكيده لصحة دخوله في دين محمد (ص) ، ومتابعته له ، نراه يسـرد علينا تفاصيل هذا التحول الجديد في حياته ، انطلاقا من دعوة المَدّارُ السّلمِـي ، ووَاسِعٌ السّلمِي ، وخُزَيْمَة بنُ جزْي ، لقومه للدخول في الإسلام ، يقول :

دَعَانا إليهم خيْرُ وَفدٍ عَلِمْتهُم خُزيْمَة والمدّارُ منْهُم ووَاسِعُ

ثم يصف قدومـــه على النبي (ص) في ألف مـن بني سُليم لمبايعتـــه بيـن الأخشبين ، في لبُوسٍ قوي ومتين يضاهي في قوته وصلابته لبوس نبي الله داوود عليه السلام ، فيقول :

فجِئْنَا بِألفٍ منْ سُلَيْمٍ عَليْهِم لَبُوسٌ منْ نَسْجِ داوُدَ رَائِعُ
نُبَايعُهُ بالأَخشبَيْنِ وإنّمـَا يَدُ اللهِ بيْنَ الأَخشبيْنِ نُبَايعُ

ويصور بعد ذلك معركة فتح مكـة ، تصويرا رائعا ، مبرزا بلاء سليـم ودورها الكبير في المعركة ، بفرسانها الأفذاذ الشجعان الذين لم يدخروا جهدا في نصرة الإسلام والدفاع عن المسلمين ، يقول :

فجُسْنا معَ المَهْديّ مَكّة عَـنْوَة بأَسْيافِنَا والنّقـلُ كابٍ وسَاطِعُ
عَلانِيّة والخيْلُ يَغشَى مُتونَهَـا حَمِيمٌ وآنٍ منْ دَمِ الجَوْفِ نَاقِعُ

ثم ينتقل الشاعر انتقالا مفاجئا للحديث عـن معركـــة أخرى ، وهي معركـــة حنين ، وكأن ابن عباس لا هم له في هذه القصيـدة إلا الفخر بقبيلتـه وبلائها في مختلف المعارك التي خاضتها ، وخاصة هذه المعركة التي شحذت قريحة الشاعر فأنتج فيها أكثر من تسع قصائد .

وقد استهل الشاعر حديثه عن معركة حنين بوصْفٍ دقيق لطرّفيْها ، حين بيّن أن المعركة دارت بين جيش المسلمين وجيش هوازن ، كما أكد أن هوازن هـــي التي سارت إلى المسلمين لقتالهم ، يقول :

ويَومَ حُنَيْنٍ حِينَ سَارَت هَوازِنُ إليْنَا وضاقتْ بالنّفوس الاضَالِعُ

والملاحـظ ان الشاعر قد حرص بصدق على تأكيد قوة هوازن وشدتـها لما

قال " ضاقت بالنفوس الأضالع " .

ونجده بعد هذا البيت يفخر بصبر بني سليم مع قائدهم الضحاك بن سفيان في هذه المعركة الحامية الوطيس ، ويصور بعد ذلك بلاءهم العظيم فيها تصويرا رائعا ، فيقول :

صَبَرْنا معَ الضّحّاك لا يسْتفِزّنا قِراعُ الأعَادِي منْهُم والوَقائِـعُ
اَمَامَ رَسُول اللهِ يخفــقُ فوقنَا لِوَاءٌ كخذرُوفِ السّحابَةِ لامِـعُ
عَشِيّة ضحّاك بنُ سُفيَان مَعْتصِ بسَيْفِ رَسُولِ اللهِ والموتُ كانِعُ

ثم يبين سعيه وسعـي بني سليـم للدفاع عن إخوانـهم والذود عنهم ، دون أن يستعمـل إلى أي لفـظ من ألفـاظ القتال والحـرب ، بل العكس من ذلك فقد استعمل ألـفاظا تدل على الأخـوة والانتماء إلى لقبيلة الواحـدة ، مؤكدا أن قتاله لإخوته من هوازن وذوده عن إخوته من سلـيم ، لم يكن إلا طاعة لله ورسوله ، ولو كان في الديـن مخرجا من هـذه المعركة لكان في قتاله إلى جانب إخوتـه الأقربين هوازن ، إلا أن طاعته لله ورسوله ورضاه بما جاء به الإسلام من هدى وشرائع ، وإخراجه له من ظلام الجاهلـية وضلالها إلى نور الإسـلام وهدايته ، هو الذي فرض عليه مواجهة بني قومه وعشيرته " هوازن " ، ولا راد لقضاء الله وقدره ، وإن ألمه ذلك وحزّ في نفسه ، فيقول :

نَذودُ أخانّا عنْ أخِينَا ولوْ نَرَى مَصَالا لكُـنّ الأقربين نُتابعُ
ولكِنّ دِينَ اللهِ دِيـنُ مُحَمّدٍ رَضَيْنَا بِهِ فِيه الهُدَى والشّرائِعُ
أقَامَ بِهِ بعْد الضّلالــةِ أمْرَنَا وليْسَ لأمْـرِ حمّـهُ اللهُ دافِعُ

3 ــ الأسلوب وسماته :

الملاحظ من خلال هذا النّـص شيوع اثار البيئة البدوية ، وذلك من خـلال الكثير من أفكار الشاعر ومعانيه واخيلته ، كما نلاحظها من خلال اسلوبه ومنهجه الفني في عرض أفكاره ومعانيه ، وفي ألفاظه الجلية التي تنم عن ألفاظ جاهليـة بدوية في معظمها ، خاصّة في مطلع القصيدة الطللي ، اين كثرت الألفاظ البدوية الصعبة ، كمجدل ، ومتالع ، ومطلا ، واريك ، ...، وغيرها .

كما استعمل أدوات الحرب وأكثر منها ، كالدروع ، ولبوس ، والسيوف ، والخيل ، واللواء ، وغيرها من الألفاظ الدالة على الحرب . إلا أن بعض الـفاظ الحرب لديه لم ترد على شاكلة ألفاظ الحرب قبل الإسـلام ، لأنها اقترنت بأجواء هيمن عليها الإيمان والاستبسال في القتال رغبة في الشهادة والثواب .

كما أن مقدمته الطللية الغزلية تذكرنا بقول امرىء القيس في مطلع معلقته[1] :
[من الطويل]

قِفا نَبْكِ منْ ذِكْرَى حَبيبٍ ومنْزِلِ بسِقطِ اللّوَى بيْن الدَّخُولِ فحَوْمَلِ
فتُوضِحُ فالمِقرَاة لمْ يَعْفُ رَسْمُهَا لِمَا نَسَجَتهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ

كما يبدو أنه يستوحي قول الحارث بن حِلزة اليشكري في مطلع معلقته[2] :
[من المتدارك]

اذنَتنَا ببَيْنِهَا أسْمَـاءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلّ منْهُ الثَّـواءُ
آذنتْنَا بِعَهْدِها ثمّ وَلتْ ليْت شِعْرِي متى يَكُونُ اللقاءُ

وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن الشاعر ما زال خاضعا لمؤثرات الجاهلية ، وقوالبها الفنية ، التي لا يمكن أن يتخلى عنها الشاعر بهذه السرعة وفي هذه المدة الوجيزة التي تفصله عن إسلامه ، لذلك نجده يمزج في نصه بين أسلوب الجاهلية وصيغها الفنية ، وأسلوب الإسلام بمبادئه وقيمه الجليلة .

والملاحظ أن لغة الشاعر في هذه القصيدة ، قد جمع فيه بين الغرابة والتعقيد من جهة (كانع ، تالع ، كاب ، حميـم ، آن ، مجدل ، مطـلا ، أريك ، ...) ، والسهولة والوضوح من جهة أخرى (واسع ، رائع ، الشرائع ، دين ، هدى ، رسول ، سيف ، السحابة ، علانية ، الضلالة ،...) ، في صورة يمكن أن نقول عنها أنها جزء من حياة الشاعـر التي عرفت الترحال بين البوادي والحواضر ، كما عرفت باديته بقربها من الحواضر العربيـة من مختلف الجهات ، أضف إلى

(1) الزوزني : شرح المعلقات العشر ، ص 5 ، الدخول و حومل : موضعان ، السقط : الرمل المنقطع ، اللوى : الرمل الذي يلتوي ويعوج ، توضح والمقراة : اسما مكانين .
(2) نفسه ، ص 71 ، آذنتنا ببينها : أخبرتنا بفراقها ، ثاو : مقيم .

ذلك كون ابن مرداس سيد قومه و رأس الوفود فيه ، الأمر الذي أتاح له فرصـة الخروج من نطاق الباديـة ، والتعامل مع أهل الحواضر المختلفـة . فالشاعر إذا بدوي حضري تمتزج لديه الطبائع البدوية بالطبائع الحضرية ، مما شكل فسيفساء شعرية متميزة جمعت في أسلوبها وألفاظها ومعانيها بين الجاهلي والإسلامي معا .

والأكيد أن معظـم قصائد العباس في حنـين ، يكاد ينحصر موضوعها في الفخـر ببلاء قبيلتـه بني سليم في نصـرة الإسلام والمسلمين في هذه المعـركة الفاصلة .

وشعره على ذلك شعر حرب فيه بطولة واعتزاز بقومه الألف الذين نصروا النبي (ص) ، وهم فرسان أشداء مشهورين ، وقد قدمهم الرسول في هذه المعركة وكان لهم حسن البلاء فيها . أما الأثر الدينـي في شعره فيبرز جليا من خـلال تطرقه للرسول (ص) بالمدح والثناء أثناء فخره بقومه .

كما يتجلى أثر الإسلام في شعره ــ من خلال قصيدته ــ في تحويله لفخره من فخر شخصي وقبلي إلى فخر بالجماعة الإسلامية ، الفخر باشتراكه مع قومه في معركة من أخطر معارك المسلمـين الفاصلة ، دون غرض شخصي أو دافع قومي قبلي ، وإنما ابتغاء مرضاة الله .

ونجده يصور صـبره وصبر قومـه بني سلـيم بقيادة الضحاك بن سفيان الكلابي ، في قراع الأعادي نصرة لدينـ الله وديـن رسوله الكريم ، في وصف مقتضب لا استقصاء فيه ، سطحي لا عمق فيه ، بسيط لا تركيب فيه ، يقوم على المرئيات المحيطة بالشاعر وهيئتها المادية ، فيقول :

ويوم حُنينٍ حينَ سَارَت هَوَازِنُ ... إليْنَا وضاقت بالنّفوس الأضالِعُ
صَبَرْنا معَ الضّحاك لا يستفِزّنا ... قراعُ الأعادِي منْهُم والوَقائِع
أمام رَسُـولِ اللهِ يخفِـق فوقنا ... لِواءٌ كخذرُوف السّحـــابَةِ لامِعُ
عَشِيّة ضحّاك بن سفيان معتصِ ... بسيفِ رسُول اللهِ والموت كانِعُ

وإذا عدنا مرة أخرى إلى تبيّن أثر الإسـلام في ابن مرداس ، فإننا نجد أن النـصّ الذي بين أيديـنا ، قد ميـزه ظهور الأثـر الإسلامي ، ليس بالسهولة

والوضوح واليـسر فحسب ، بل بالمصطلحات والألفاظ الإسلاميـة ، إذ احتوى هذا النص على طائفة ليست بالقليلـة من تلكم الألفاظ والمصطلحات ، مثـل : (الكفار ، وزير ، النبي) ، في قوله :

فإن تبتغِي الكُفارَ غير مَلُومَة فإنِّي وزِيرٌ للنّبيّ وتابعُ

ومثل : (رسول الله) ، في قوله :

أَمَام رَسُولِ اللهِ يخفق فوقنَا لِواءٌ كخذرُوف السّحابة لامِعُ

ومثل : (دين الله ، دين محمد ، الهدى ، الشرائع) ، في قوله :

ولكنّ دِينَ اللهِ دِينُ مُحمّدٍ رضيْنَا بهِ فِيه الهُدَى والشّرائِعُ

ومثل : (الضلالة ، حمّه الله) ، في قوله :

أَقامَ بهِ بعْد الضلالة أمرَنَا وليْسَ لأَمْرٍ حَمَّهُ اللهُ دَافِ

إلى غير ذلك من الألفـاظ القرآنية والمصطلحات الإسلاميـة التي صبغ بها الشاعر نصّه ، فأصبح مميزا أتم التمـييز عن شعره في الجاهلية ، وإن اتسم في الجاهلية والإسلام معا بسمة السهولة والوضوح .

وإذا أكدنا على هذا التطور في لغة القصيدة عند العباس بن مرداس من خلال ألفاظه الجديدة المستوحاة من حياته الجديدة في ظل الإسلام ، فثمّة تطور آخر في لغة القصيدة يتمثل في التغير الجذري والجوهري الذي ميز أغراض الشاعر ؛ إذ أصبح يستخدم لغة الجماعة في فخره ، وإذا كان هذا الاستخدام موجودا من قبل ، فإن ابن مرداس لا يعني هنا جماعة قبيلته فحسب ، وإنما جماعة قبيلته المسلمة ، التي وقفت سدا منيعا في وجه المشركين ، إلى جانب المسلمين ، للذود عن الدين الجديد وعن صاحب الرسالة (ص) ، في شجاعة وإقدام وبطولة لا نظـير لها ، لذلك استخدم ألفاظ الجماعة : (جسنا ، إلينا ، صبرنا ، نذود ، رضينا ، ...) .

ولم يستخدم الشاعر لغـة المفرد إلا في أبياته الأولى ذات الطابع الجاهلي من حيث المقدمة الطللية الغزليـة ، قبل التخلص إلى الموضوع المنشـود ، الذي أكد

من خلاله انتماءه للدين الجديد .

أما إيراده للأفكار الإسلامية فيظهر في عدة أبيات ، مثل : (فإني وزير للنبي وتابع) ، في عجز البيت الرابع من القصيدة .

ومثل : (نبايعه بين الأخشبين ، يد الله نبايع) ، في قوله :

نبَايعهُ بالأخشبين وإنما يد اللهِ بين الأخشبيْن نُبَايعُ

وقد تمثل من خـلال هذا البيت قول الله تعالى : ﴿ إنّ الذِيـنَ يُبَايعُونَكَ إنّما يُبَايعُونَ الله يَدُ اللهِ فوْق أيْدِيهم ﴾[1] .

ومثل قوله : (أمام رسول الله) ، في البيت الثاني عشر ، أين صور صبر بني سليم في قتال المشركين ، حاملين لواء الإسلام خافقا حول الرؤوس .

ومثل : (سيف رسول الله) ، في قوله :

عشية ضحاك بن سُفيان مَعْتصِ بسَيفِ رسُول الله والموت كانِعُ

حيث صور الضحاك وهو يقـود بنـي سليم ، حاملا لسيـف رسول الله (ص) ، والموت قاب قوسين أو أدنى منه ومن المسلمين جميعا ، لشدة المعركـة وضراوة قتال هوازن فيها .

ومثل : (دين الله ، دين محمد ، فيه الهدى والشرائع) ، في قوله :

ولكن دِين اللهِ دينُ مُحمّد رضيْنا بهِ فيهِ الهُدَى والشرائعُ

ومثل : (أقام به بعد الضلالة ، ليس لأمر حمّه الله دافع) ، في قوله :

أقامَ بهِ بَعد الضلالة أمرنَا وليسَ لامْرٍ حمّه اللهُ دَافِعُ

(1) الفتح : 10 .

حيث أكد أن ما قدره الله على عباده لا مناص ولا مفر منه ، لأنه واقـع لا محالة ، وكأنه يستوحي قولـه تعالى : ﴿ قل لنْ يُصِيـبَنَا إلا مَا كتبَ اللهُ لنَا هوّ مَولانَا وعلى الله فليَتوكّلِ المُؤمِنُون ﴾[1] ، أو قولـه عز وجل : ﴿ إنّمَا امْرُهُ إذا أرَاد شيْئا أنْ يقولَ لهُ كُن فيكُون ﴾[2] .

ولقد جاءت ألفـاظ الشاعر ومعانيه سهلة وواضحة وإسلامية في معظمها ، وهذا ما زاد أسـلوبه سـهولة ووضوحا ، وبعدا عن التعقيد والغموض ، وذلك بالرغم من الأثر الجاهلي الضئيل الذي كسا بعض ألفاظـه ، وخاصّة في مقدمته الطللية الغزلية التي نسجها على منوال القدامى .

ومن خصائص أسلوب النص قوة الأداء اللغوي ، فعباراته قويه النسج ، محكمة التعبير ، رصينة البناء ، وألفاظه منتقاة تدل على تمكن الشاعر وسيطرته التامة على أداة تعبيره اللغوي ، وتطويعها لفكره ، إذ استعمل ألفاظا وعبارات تنسجم وتتلاءم مع طبيعة الموضوع أيما انسجام وتلاؤم ، مثل : " عفا ، أهله ، خلا ، صرف الدهر ، ألْوت ، النوى ، ... " ، التي توحي بحالة الشاعر لنفسية الصعبـة ، وقد أصابه الحزن والألم والأسى على فقدان محبوبتـه من جهـة ، و راوده الشوق والحنين إلى ماضيه السعيد من جهة أخرى .

وقد أجاد الشاعر في استعمال الألفاظ والعبارات الملائمـة للفخر ووصف المعارك ، مثل : " جئنا بألف ، لبوس ، جسنا ، أسيافنا ، والنقع كاب ، الخيل ، قراع الأعادي ، الوقائع ، الموت كانع ، ... " ، وغيرها .

والملاحـظ أن النص قد غلبت عليه الاساليب الخبريـة ، لانها الملائمـة للوصف والفخر وتقرير الحقيقة وتوضيحها عن طريق السـرد والحكايـة ، ومن ذلك : " فجئنا بألف من سليم .. " ، وغرضه البلاغي الفخر ، ومثل قوله : " ولكن دين الله دين محمد ... " ، وغرضه البلاغي تقرير حقيقة دين الله ، وتأكيد إيمان بني سليم به .

---

(1) التوبة : 51 .
(2) يس : 82 .

ولم يستخدم الشاعر الأسلوب الإنشائـي إلا مـن خلال موضعين فقط فـي قصيدته ، وهما : النداء في البيت الثانـي " يا جُمل .. " ، وغرضـه البلاغي الشكوى والألم ، والاستفهام في البيت الثالث " فهل ماض من العيش راجع ؟ " ، وغرضه البلاغي التحسر والألم .

والجدير بالذكر أن هذه القصيدة قد سجلت جانبا هاما من التاريخ الإسلامي ، في وصف دقيق وتصوير رائع ، خاصة لغزوة حنين ، أين صور الشاعر بطولة قومه في هذه المعركـة ، من جهـة ، وطاعتهم لأوامر الله ورسوله من جهـة أخرى ، حتى أنهم قاتلوا هوازن ، بالرغم من أنهم إخوة ينتسبون إلى قبيلة واحدة كبرى تجمعهم " قيس " .

4 ــ الصور وأبعادها (الواقع والمتخيل منها) :

إذا وجّـهنا النظر إلى خيالات العباس بن مرداس وصوره ، فإننا نجـد أن الخيال قد جاء في قصيدته وفق مقتضى الحـال ، فلم يكثر الشاعر من الصـور و التشابيـه ذلك أنه يصف الحال ويقرره ، ولا وقت عنده للتخييل ، فالعواطـف والأفكار أغلب على الصـور ، وربما بدا لنا أنّها ظـلت صورا حسية في معظم الأحيان ، تميل إلى الواقعية والدقة في وصف الجزئيات ، باستثناء بعض الصور البيانية القليلة ، مثل : الكناية في البيت الثامن " والنقع كاب وساطع " ، حيث كنى عن عظمة جيش المسلمين يوم فتح مكة بإشارته إلى كثرة الغبار المرتفع والمنتشر في السماء .

ونجد الاستعارة في البيت التاسع ، في قوله :

عَلانيَّة والخيلُ يغشَى مُتونَهَا حَميمٌ وآنٍ مِنْ دَم الجَوْفِ ناقعُ

أين شبه العرق الذي يغشى متون الخيل في المعركة بالحميم الحار ، فذكر المشبه به " الحميم " ، وحذف المشبه " العرق " ، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية .

والكناية في البيت العاشر " ضاقت بالنفوس الأضالع " ، وهي كناية عن شدة هوازن وقوتها الأمر الذي أدى إلى تفرق المسلمين أول المعركة .

والتشبيه في البيت الثاني عشر ، حيث يقول :

2 ــ أمامَ رسُولِ الله يخفق فوقنَا لِواء كخذروفِ السّحابَة لامِعُ

إذ شبه اللواء الخافق الذي تهفو إليه الافئدة ، وتتطلع إليه النفوس ، بطرف السحابة المنتشر في الفضاء ، في شدّه للأنظار ، وتمكنه منها ، وذلك على سبيل التشبيـه العادي .

والكناية في البيت الثالث عشر " والموت كانع " ، وهي كناية عن شجاعة الضحاك بن سفيان ، واستهانته بالموت في سبيل الله نصرة للإسلام والمسلمين .

ويبدو أن العباس بن مرداس قد عمد في صوره إلى تصوير مشاهد حسيـة وحوادث واقعية ، ليستبطن من خلالها أو عبرها الدلالـة على أفكار معينة جسّدها من خلال هذه القصيدة .

أما ألوان البديع فقليلة في النص ، وما جاء منها إنما جاء عفوا اقتضاه سياق الكلام ، مثل : السجع في البيت الأول ، بين : " متالع " و" مصانع " ، وفي البيت الثاني ، بين :" رخي " و " حي " .

والترادف في البيت الثالث بين " النوى " و " بين " ، وهو ترادف في المعنى إذ أن كلا المفردتين تعني : البعد والفراق ، يقول :

حُبَيّبَة ألْوتْ بها غربَة النّوى لبيْنٍ فهل ماضٍ مِنَ العَيْش رَاجعُ

وغيرها من المحسنات البديعيـة والصور البيانيـة التي زادت النص جمالا وبهاء .

والأكيد أن هذه القصيدة قد قدمت لنا صورة واضحة عن طبيعـة الصراع الحربي بين المسلمين والمشركين ، وبالتالي كشف النقاب عن بعض ملامـح هذه الفترة المتميزة من فترات التاريخ الإسلامي في مرحلة الطفولة . كما كان لها دور في ظهور السمات الخاصة لشعر هذه المرحلة .

2 ــ قصيدة من شعر كعب بن مالك الأنصاري :

أ ــ القصيدة : (تلظى عليهم)

قال كعب بن مالك الانصاري يوم بدر[1] : [من الطويل]

1 ــ عَجِبْـت لأمْـر اللهِ و اللهُ قادِرٌ على مَا أرادَ ليْـسَ للهِ قاهِـرُ

2 ــ قضَى يَوْمَ بَدْرٍ أن تُلاقِي معْشرًا بَغوْا وسبيل البَغي بالنّاس جَائِرُ

3 ــ وقدْ حَشدُوا واسْتنْفرُوا منْ يَليهمُ منْ النّاس حتّى جمْعُهُم مُتكاثِرُ

4 ــ وسَارَت إليْنَا لا تُحاولُ غيْرَنَا بأجْمَعِهَا كعْبٌ جَمِيـعًا وعَامِرُ

5 ــ وفِينَا رَسُـولُ اللهِ والأوْسُ حوْلهُ لهُ مَعْـقلٌ منْهُم عَزيزٌ ونَاصِرُ

6 ــ وجمْعُ بَنِي النّجّار تحت لِوَائِهِ يُمشّونَ في المَاذِيّ والنّقعُ ثائِرُ

7 ــ فلمّا لقيْـنَاهُم وكـلٌّ مُجَــاهِد لأصْحابِهِ مُسْتبْسِلُ النّفس صَابِرُ

8 ــ شهِـدْنَا بأنّ اللهَ لا رَبَّ غيْرُهُ وأنّ رَسُـولَ اللهِ بالحَقّ ظاهِرُ

9 ــ وقدْ عُرِّيَتْ بيـضٌ خِفافٌ كأنّهَا مَقابيسُ يُزْهِيـهَا لِعَيْنَيْك شاهِرُ

10 ــ بهِـنّ أبَـدْن جَمْعَــهُم فتبَدّدُوا وكانّ يُلاقِي الحَيْـنَ منْ هُوَ فاجِرُ

11 ــ فكُبّ أبُو جَهْـلٍ صَرِيعًا لِوَجْهه وعُتبَـة قدْ غادَرْنَـهُ وهْوَ عَائِرُ

12 ــ وشيْبَة والنّيْمَيّ غادَرْنَ في الوَغى وما منْـهُم إلا بذِي العَرْش كافِرُ

---

(1) كعب بن مالك : الديوان ، ص 30 ـ 32 .

13 ــ فأمْسُوا وَقودَ النَّارِ في مَسْتقـرِّها وكـلّ كفـُورٍ في جَهَنَّـمَ صَائِرُ

14 ــ تلظّى عليْهم وهْيَ قدْ شُبَّ حَمْيُهَا بزُبْرِ الحَدِيـدِ والحِجَـارةِ سَاجِرُ

15 ــ وكانَ رَسُـولُ اللهِ قد قال أقبلوا فوَلوا وقالُوا : إنّـما أنت سَاحِرُ

16 ــ لأمْـرٍ أرَاد اللهُ أنْ يُهْلكوا بـــهِ وليْسَ لأمْـرٍ حمّـهُ اللهُ زاجِـرُ

ب ــ شرح الألفاظ[1] :

2 ــ سبيل البغي : سبيل الظلم .

5 ــ المعقل : الحصن .

6 ــ بنو النجار : قوم من الأنصار ، هم أخوال النبي (ص) ، الماذي : الدروع اللينة ، النقع : الغبار .

9 ــ البيض : السيوف ، المقابيس : الأنوار ، يزهّيها : يحركها .

10 ــ أبدنا : أهلكنا ، الحين : الهلاك أو الموت .

11 ــ كبّ : قتل ، عتبة : عتبة بن ربيعة ، عائر : ساقط ، ويروى : العافر : وهو الذي لصق به التراب .

12 ـ شيبة : شيبة بن ربيعة ، الوغى : المعركة أو الحرب .

14 ــ تلظى : تزيد اشتعالا ، شبّ : أوقد ، زبر الحديد : قطع الحديد ، ساجر : شديد الاشتعال ، والساجر : موقد النار .

16 ــ حمّه الله : أراده الله وقدره ، وقيل : قضاه وقصده ، زاجر : دافع .

---

(1) كعب بن مالك : الديوان ، ص 30 ـ 32 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 304/2 ، 305 ؛ الفيروزبادي : القاموس المحيط .

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

ورد في الديوان أن كعب بن مالك الأنصاري ، قال هذه القصيدة يوم بدر مجيبا ضرار بن الخطاب الفهري[1] ، وهو ما جاء في السيرة أيضا[2] .

والقصيدة رائية من بحر الطويل ، ومتكونة من ستة عشر بيتا .

2 ــ موضوعات القصيدة :

إذا أمعنا النظر في الموضوع الذي قامت عليه القصيدة ، أمكننا القول أنه يمثل معركة بدر بكل تفاصيلها ، من سير المشركين للقاء المسلمين إلى خروج المسلمين إليهم ، مرورا بالحديث عن التحام الجيشان وسقوط عتاة قريش وطغاتها، وصولا إلى الحديث عن عناد المشركين ، واتهامهم للرسول بالكذب والسحر .

وبالتالي أمكننا تقسيم القصيدة إلى خمسة أقسام حسب المعاني التي قامت عليها ، وهي :

1 ـ قدرة الله ومشيئته .

2 ـ سير المشركين لقتال المسلمين يوم بدر .

3 ـ خروج المسلمين إليهم .

4 ـ التحام الجيشان ، وسقوط عتاة قريش وطغاتها .

5 ـ عناد الكفار ، واتهامهم للنبي (ص) بالكذب والسحر .

لقد اسقط الشاعر المقدمة الطللية من قصيدته ، ودخل مباشرة في موضوعه ، مخالفا بذلك سنن الشعراء الجاهليين ، وكثير مـن الإسلاميين ، فـي استهـلال قصائدهم بالوقوف على الأطلال وذكر الحبيبة النائية ، في تغير مفاجيء ، إن دل

(1) كعب بن مالك : الديوان ، ص 30 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 304/2 .

على شيء فإنما يدل على التغير الكبير والعميق الذي عرفه الشاعر منذ آن من الله عليه بالدخول في هذا الدين الحنيف .

استهل الشاعر قصيدته ، بذكر الله الواحد القادر على كل شيء ، والذي لا غالب له على أمره ، فقال :

عَجِبْتُ لأمْرِ اللهِ واللهُ قادرٌ على مَا أرَادَ ليْسَ للهِ قاهرُ

وقد حاول الشاعر من خـلال هذا البيت ، الذي له اتصال وثيق بالموضوع الأساسي ، حاول أن يعوّض استغناءه عن المقدمة الطللية ، للدلالة على تأثـره بالإسلام ، وصدق موقفه منه .

وواضح تأثر الشاعر بالقـرآن الكريم من خلال هذا البيت ، إذ أنه استوحى قوله تعالى : ﴿ إنّما أمْرُه إذا أراد شيْئا أنْ يقول لهُ كنْ فيكون ﴾[1] .

ثم يؤكد امتـثال المسلمين لقضاء الله وقدره في ملاقاة قريش يوم بدر ، ذودا عن الإسلام ، فيقول :

قضَى يَوْم بَدْرٍ أنْ نُلاقِي معْشرًا بَغوْا وسَبيلُ البَغي بالنّاس جائرُ

وبعد ذلك يصف سيـر قريش إليهم ، وقد حشدت جمعا كبيرا من حلفائـها وأتباعها منهم كعب وعامر ، يقول :

وقد حشدُوا واسْتنْفرُوا من يليهم منَ النّاس حتّى جمْعهُم متكاثِرُ
وسَارَت إلَيْنا لا تحَاولُ غيرَنَا بأجْمَعِها كعبٌ جَمِيعًـا وعامِرُ

ويتدرج كعب بأسلوب تتداعى فيه الافكار ، يكمل بعضا الاخر ، فيذكر جيش المسلمين ، والتفاف الأنصار حول رسول الله (ص) ، يحمونه ويذودون عنه ، وقد خص بالذكر منهم الأوس ، وأخواله بنو النجار تأكيـدا على صدق إيمانهم بالله ، ونصرتهم لرسولـه الكريم عليه السـلام ، ليصف بعد ذلك شدتـهم وبلاءهم ،

(1) يس : 82 .

فيقول :

وفِينَا رسُولُ اللهِ والأوسُ حولهُ لهُ معقلٌ منْهُم عزيزٌ ونَاصِرُ
وجَمْعُ بَني النّجّار تحت لوَائه يُمشّون في المَاذِي والنّقعُ ثائِرُ

والملاحظ أن كعب ، في نقله لصور المعارك التي خاضها المسلمـون ، لا يكتفي برسم الجوانب العامة فيها ، وإنما يتجاوزها إلى رسم أغلب جوانبها ، إذ يعمد في أغلب الأحيان إلى إشعارنا بقوة و إمكانيات الطرفـين المتصارعين ، ثم يطلعنا على مراحل سير المعركة ، وصولا إلى نتائجها مستكملا الصورة بكل دقة وصدق ؛ فبعد أن وصف كلا الطرفيـن ، يصل بنا إلى التحام الجيشين ، مصورا بسالة جنود المسلمـين ، وصبرهم على الشدائد في هذه المعركة ، ابتغاء لمرضاة الله ، واعلاء لرسالة التوحيد ، وإظهارا للحق على الباطل ، يقول :

فلمّا لقينَاهُم وكلّ مُجـــاهِدٍ لأصْحابهِ مُسْتَبْسِلُ النّفس صَابرُ
شهدنَا بأنّ الله لا ربّ غيرهُ وأنّ رَسُول اللهِ بالحــقّ ظاهِرُ

وبعد ذلك يصف المعركة وأسلحتها ، وكيف أبادت سيوف المسلمين المتلألئة جمع المشركين ، ولم يكن للموت سبيل إلى المسلمين ، يقول :

وقد عُرّيَت بيضٌ خِفاف كأنّها مَقابيسُ يُزْهيـهَا لعيْنيكَ شاهرُ
بهـنّ أبدْن جمْعـهُم فتبَدّدُوا وكان يلاقي الحَيْن منْ هُو فاجِرُ

ثم يعدد صرعى قريـش وقتلاها في هذه المعركة ، من سادتِـــها ، وزُعَماء الضلال والكفر فيه ، أبو جهل وعتبة وشيبة والتيمي ، يقول :

فكبّ أبُو جهْلٍ صَرِيعًا لوجهه وعُتبَة قد غادَرْنهُ وهو عائِرُ
وشيْبَة والتيْمي غادرْنَ الوَغى وما منْهُم إلا بذِي العرْش كافِرُ

وبعد أن سرد لنا تفاصـيل المعركـة ، من حيث الإعـداد لها ، ثم خروج الجيـشان ، وُصُـولا إلى التحامِهمَا في ساحـة القتال ، وانتهاء المعركة بنصر المسلمين ، وانهزام قريش وقتل بعض ساداتها ، نجده يصور مصير سادة قريش الذين قضوا في هذه المعركة ، مؤكدا أنهم أمسوا وقودا لنار جهنم ، وهي تلـظى

عليهم ، وقد شب حميمُها بزبر الحديد والحجارة ، فيقول :

فأمْسُوا وقودَ النّار في مُستقرّها وكل كفورٍ في جّهنّم صائِرُ
تلظى عليهم وهْي قد شبّ حَمْيُها بزُبرِ الحدِيدِ والحجَارَةِ سَاجِرُ

ولكن الشاعر مع استيفائه لوقائع المعركة ، لا يغادر القصيدة إلا بعد أن يورد لنا لونا مـن عِناد المشركـين وتكبرهم حينما كان الرسول (ص) قد دعاهم إلى الإسلام ، فاتهموه بالسحر والكذب ، فاستحقوا الهلاك في الدنيا والعذاب المقيم في الآخرة ، مؤكدا في الأخير أنه لا راد لقضاء الله وقدره ، يقول :

وكانَ رسُول اللهِ قد قال أقبلوا فولّوا وقالوا : إنّما أنت ساحِرُ
لأمْرٍ أراد اللهُ أن يُهْلكوا به وليْس لأمـرٍ حمّـهُ اللهُ زاجِرُ

3 ــ الأسلوب وسماته :

الملاحظ عن قصيدة كعب أنها جاءت متكاملة ، ومتماسكة الأجزاء كل جزء فيها يرتبط مع الجزء الذي يسبقـهُ ويقودُ إلى الجُزء الذي يليه ، كما أننا نلاحـظ انسجام مقاطعها ، ونمو بعض أجزائها من بعض ، واتصالها وتلاحمها واتساقـها وخدمتها للغرض الرئـيس فيها ، وكذا تحقيقها للهدف المنشـود ، الذي من أجله نظمت القصيدة برمتها ، ولا سيما من الناحية النفسية والتجربة الشعورية .

ومن السمات الواضحة في هذه القصيدة ، وفي سائر شعر كعب الإسلامي ، بساطة التراكيب وسهولة الألفـاظ وإحكام الصور ، بالإضافة إلى إشراق المعاني وجلائها وقوتها ، ولا سيما في الأبيات :

عجبْت لأمْر اللهِ واللهُ قادِرُ على مـا أراد ليْس للهِ قاهِرُ
فلما لقيناهُم وكل مجاهِد لأصْحابهِ مُستبْسِل النّفس صابرُ
شَهدْنا بأنّ اللهَ لا رَبّ غيرَهُ وأنّ رسُول اللهِ بالحـقّ ظاهِرُ

ونلاحظ أن ألفاظ الشاعر خالية من الغرابـة والتعقيد ، وتنافر الحـروف ، وهذا طبيعي لأن كعبا نشأ في الحاضرة (يثرب) ، ولم يتوغّـلْ في الصحراء ، كما أن الإسلام زاد عباراته وتراكيبه سهولة ورقة وعذوبة ، وجعله يوشح ألفاظه

بألفاظ القرآن الكريم ، وكلمات الحديث النبوي الشريف .

ومن تلك الألفاظ والمفردات التي وردت في قصيدته ، لفظة " قاهر " ، في قوله :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهرُ

ولفظة " مجاهد " ، في قوله :

فلما لقيناهم وكل مجاهد لأصحابه مستبسل النفس صابرُ

و" العرش " ، في قوله :

وشيبة والتيمي غادرن الوغى وما منهم إلا بذي العرش كافر

ولفظتي : " جهنم " و" كفور " ، في قوله :

فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائر

أما تراكيبه فهي طبيعـية لا تعقيد فيها ، ولا التواء ، لأنه شاعر مطبوع ، لم يعرف عنه تقـويمَ قصائده وتنقيحـها ، وإنما تركها تجري على سجيتها ، كما أن طبيـعة الموقف يتطلب مثل هذه القصائد التي تلاءم إيقاع حركـة الجهاد الدينـي وميادين الحروب .

في حين أن معاني النص فطرية ، تمتاز بالصراحة والصدق ، كيف لا وكعب لم يدخر جهدا في مشاركة المسلمـين معاركهم بسنانه ولسانه معا ، فجاء نصّـهُ أصدق عاطفة وأكثر حرارة ، بل جاء قطعة مجسدة من أحاسيسه كشاعر ، وفلذة من فلذات كبده كمجاهد في سبيل الله .

كما أن الشاعر قد التزم جانب الصّـدق و تحلى بالموضوعـية في سـرْد الأحـداث ، إذ أنه لم يتوانى في ذكر جمـع المشركين وكثـرة عددهم ، عند خروجهم لقتال المسلمين ، فيقول :

وقد حشدوا واستنفروا من يليهم من الناس حتى جمعهم متكاثر

وسارت إلينا لا تحاول غيرنا بأجْمعهَا كعبٌ جميعًا وعامِرُ

كما يصف شدة المشركين وقوتهم ــ وإن لم يصرح بذلك ــ من خلال وصف استبسال المسلمين وصبرهم في المعركة ، فيقول :

فلما لقيناهُم وكل مجاهد لأصْحابه مُستبْسلٌ النفس صابرُ

ويبدو أثر الدين الإسلامـي واضحا في النص ــ لفظا ومعنى ــ حيث نرى الشاعر يعترفُ بقدرة الله ، ويؤكدها ، مستوح قول الله تعالى : ﴿ إنّـمَا أمْرُهُ إذا أرادّ شيْئًا أنْ يقولَ لهُ كنْ فيَكون ﴾[1] ، وقوله أيضا : ﴿ ومَا تَشاؤُونَ إلا أنْ يشاءَ اللهُ ربّ العالمِين ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ ومَا تشَاؤُونَ إلا انْ يَشاءَ الله إنّ الله كانَ عليمًا حَكيمًا ﴾[3] ، وقولـه تعالـى : ﴿ وإذا أرادَ اللهُ بقومٍ سُوءا فلا مَردّ لهُ ومَا لهُم مِنْ دُونهِ منْ وَال ﴾[4] ، فيقول :

عجبت لأمر الله والله قادر على ما أراد ليس لله قاهرُ

كما أن قوله :

وفينا رسُول اللهِ والأوسُ حوله له معقل منهم عزيز وناصرُ

متأثر بقوله تعالى : ﴿ مُحمدُ رسُولُ اللهِ والذينَ مَعهُ أشدّاءُ على الكفار ﴾[5] .

كما أنه في قوله :

فلما لقيناهُم وكل مُجاهد لأصحابه مُستبسل النفس صابرُ

(1) يس : 82 .
(2) التكوير : 29 .
(3) الإنسان : 30 .
(4) الرعد : 11 .
(5) الفتح : 29 .

متأثر بقوله تعالى : ﴿ وجَاهِدُوا في اللهِ حَقّ جِهَاده ﴾[1] ، وقوله :﴿ أَمْ حَسِبْتم انْ تدْخلُوا الجَنّة ولمّا يعْلم الله الذيـنَ جَاهدُوا مِنكمْ ويعْلمَ الصّابرين ﴾[2] ، وقوله أيضا : ﴿ لكنّ الرّسُول والذينَ آمنُـوا مَعهُ جاهّدُوا بأمْوالهم وأنْفسِهم ﴾[3] ، وقوله عز من قائل : ﴿ ثمّ إنّ ربّك للذينَ هاجَرُوا مِـنْ بَعْد ما فتِنُوا ثمّ جاهَدُوا وصبَرُوا إنّ ربّك منْ بَعْدِها لغفورٌ رَحيم ﴾[4] .

ونراه يستوحي قول الله تعالى : ﴿ مَا مِنْ إلهٍ إلا اللهُ الوَاحِـدُ القهّـارُ ﴾[5] ، وقوله أيضا : ﴿ سبحانَـهُ هُوّ اللهُ الواحِـدُ القهّار ﴾[6] ، وقوله عز من قائل : ﴿ لقد جَاءكمْ رَسُولٌ مِنْ أنْـفسِكمْ ﴾[7] ، فيقول :

شَهدْنا بأن اللهَ لا ربّ غيرهُ وأنّ رسُولَ اللهِ بالحقّ ظاهرُ

وقوله :

فأمسوا وقود النار في مستقرها وكل كفور في جهنم صائرُ

متأثر بقوله تعالى : ﴿ فاتقـوا النّارَ التي وقودُهَا النّاسُ والحجَارَة أعِدّتْ للكافِرين ﴾[8] ، أو قوله أيضا : ﴿ وللذيـنَ كفرُوا بربّهم عَذابُ جَهـنّم وبئسَ المَصير ﴾[9] .

---

(1) الحج : 78 .
(2) آل عمران : 142 .
(3) التوبة : 88 .
(4) النحل : 110 .
(5) ص : 65 .
(6) الزمر : 4 .
(7) التوبة : 128 .
(8) البقرة : 24 .
(9) الملك : 6 .

كما أن قوله :

تلظى عليهمْ وهي قد شبّ حمْيُها بزُبْر الحديدِ والحجَارَة سَاجِرُ

مُستوحى مـنْ قولـه تعالى : ﴿ فأنذرتكمْ نارًا تلظى ﴾[1] ، وقولـه أيضـا : ﴿ يا أيّها الذيـنَ آمنُـوا قوا أنْفسَكمْ وأهلِيكمْ نَارًا وَقـودُهَا النّـاسُ والحِجَارَة ﴾[2] ، وقوله عز من قائل : ﴿ اتونِي زبر الحَدِيد ﴾[3] ، وقولـه : ﴿ يطوفون بينها وبيْن حميمٍ آن ﴾[4] ، وقوله في محكم تنزيله : ﴿ لهُم شرابٌ مِنْ حَمِيم وعَذابٌ أليمٌ بمَا كانُوا يكذبُون ﴾[5] .

ولا شك أن قوله :

وكان رسول الله قد قال أقبلوا فولوا وقالوا : إنما أنت سَاحِرُ

مُستوحى من قوله تعالى : ﴿ كذلك مَا أتى الذِينَ منْ قبْلهم مِنْ رَسُولٍ إلا قالوا سَاحِرٌ أوْ مَجْنون ﴾[6] ، وقولـه عز من قائل : ﴿ وعَجبُوا أنْ جَاءَهُم مُنذِرٌ مِنْهُم وقالَ الكافِرُونَ هَذا سَاحِرٌ كذّاب ﴾[7] .

كما أن قوله :

لأمر أراد الله أن يُهلكوا بهِ وليس لأمر حمه الله زاجرُ

متأثر بقوله تعالى : ﴿ إنّمَا أمْـرُهُ إذا أرَادَ شيْئًا أنْ يَقولَ لهُ كنْ فيَكون ﴾[8] ،

(1) الليل : 14 .
(2) التحريم : 6 .
(3) الكهف : 96 .
(4) الرحمن : 44 .
(5) الأنعام : 70 .
(6) الذاريات : 58 .
(7) ص : 4 .
(8) يس : 82 .

وقوله أيضا : ﴿ ولا يُردّ بأسُـهُ عَن القوْمِ المُجْرمِين ﴾[1] ، وقوله عز من قائل : ﴿ وامْرُهُ إلى الله ﴾[2] .

وتأثره بالدعوة الإسلامية ، والديـن الحنيف لا يقتصر على ألفاظه وتراكيبه ومعانيه ، وإنّما تجَاوزها إلى أغراضـه ؛ فقد جاء فخـرُه ممتزجًا بالحماسـة ، وصدق العاطـفة لا لشيء سوى كان فارسا قبل أن يكون شاعرا ، فجمع سيفـه ولسانه للدفاع عن الإسلام ومناصرة الرسـول الكريم ، لذلك فخر ببسالة قومه من الأنصار وصبرهم وثباتهم ، لا لكونـهم يدافعون عن قبيلتهم أو ما شابَـه ذلك من أضرب الفـخر الجاهلـي ، وإنما لكونهم يستبسلون في الدفاع والـذود عن حِمَى الإسلام والمسلمين ، يقول :

فلما لقيناهم وكل مجـــاهد لأصحابه مستبسل النفس صابر
شهدنا بأن الله لا رب غيره وأن رسُول الله بالحق ظاهرُ

ولم نرى ابن مالك يفخر فخرا ذاتيا أو قبليا ، فيفخر بنفسه أو بآبائه وأجداده ، ومآثر قبيلته ، وإنما انصهر في بوتـقة الجماعة أو المجموعة الجديدة التي انتسب إليها بعد إسلامه .

كما ينحى بفخره منحى آخر ، حينما نراه ، وقد تأثر بالدين الحنيف ، يستعمل لغة الجماعة لا لغة الـفرد الفارس الشاعر ، الأمر الذي أدى إلى غياب الألـفاظ المفردة تماما في شعره .

ومن ألـفاظ الجماعـة التي استعملها الشاعر في قصيدته : " نلاقي ، فينا ،منهم ، جمع ، يُمشّون ، لقيناهُم ، أصحابه ، أبدنا ، ... " ، وغيرها .

ولم يستخدم الشاعر لغة المفرد إلا في بيته الأول ، الذي كان شبيها بالبـديل للمقدمة الطللية ، وإن نحى فيه منحى إسلاميا خالصا ، يقول :

عجبْت لأمْر الله والله قادرٌ على ما أرادَ ليْس لله قاهِرُ

(1) الأنعام : 147 .
(2) البقرة : 275 .

ومـــن جانب آخر نجد ابن مالكٍ يُلحّ ــ كما هو شأن غيره مـــن شعـــراء الأنصار ــ على أن قومه وفوا للرسول (ص) ، وناصروه ، ودافعوا عـــن ديـــن الله ، حتى تحقق النصر بسيوفهم ، وذلك كي يؤكد صدق إيمانهم وتعلقهم بالرسول والدين الجديد ، الذي خذلهُ أهل مكـــة من قـوم رسول الله (ص) وبني جلدتـــه ، وهم أوْلى بإتباعهِ ونصرْته ، فيقول :

وفينا رسُول الله والأوس حوله لهُ معقلٌ منهم عزيز وناصِرُ
وجمع بنِي النّجار تحت لوائه يمشّون في المَاذيّ والنقع ثائرُ

كما نجده في رده على ضرار ــ من خلال القصيدة ــ يحيد بألفاظه ومعانيه عن الفحْش والفجور ، ويغرق في العفة والطهر ، مع أنه في مقام الرد على شاعر من أبرز شعراء المشركين وأشدهم على الإسـلام والمسلمين بلسانه وسنانه ، ولا يضِيرُه أن يُردّ عليه بهذا الأسـلوب العفـيف الطاهر ، فبدل أن يعير المشركين بالمثالب والأحقاد والمناقب ، نجده يعيّرهم بالبغي ، فيقول :

قضى يوم بدرٍ أن نلاقي مَعْشرًا بغوا وسبيل البغي بالناس جائرُ

وبالفجور ، فيقول :

بهن أبدن جمعهم فتبددوا وكان يلاقي الحين من هو فاجر

ثم يعيرهم بالشرك والكفر ، ويتوعدهم بسوء المصير ، فيقول :

وشيْبة والتيمي غادرن الوغى وما منهم إلا بذي العرش كافر
فأمسُوا وقودَ النار في مستقرها وكل كفور فـي جهنم صَائر
تلظى عليهم وهي قد شب حَمْيُها بزبْر الحديد و الحجَارة سَاجرُ

وهذا يدل على قوة إيمـان كعب وصدق عقيدته ، مما نأى به عن السَّباب والإقذاع .

كما نجده يلح على أن قومه خاضوا غمار الحرب في بدر ، في ثبات وصبر واستبسال ، دون أن يجدوا غضاضـــة في ذلك ، فهم إنما خرجوا لنصْرة الرّحمن

ودينه ، أملا في النصر أو الاستشهاد في سبيل الله ، والفوز برضوانه ، فيقول :

فلما لقيناهُم وكل مجاهد لاصحابه مستبسل النفس صابر .

أما إيراده للأفكار الإسلامـية ، ناهيك عن تأثـرَهُ المباشر بالقـرآن الكريم ونظمه لبعض ألفاظه ، فيظهر جليا في أغلب أبياته ، مثل : " أمر الله ، الله قادر ، ليس لله قاهر " ، في قوله في مطلع القصيدة :

عَجبْت لأمْر اللهِ واللهُ قادرٌ على مَا أرَادَ ليْسَ للهِ قاهرُ

ومثل : " الله لا رب غيره ، رسول الله بالحق ظاهر " ، في قوله :

شَهدْنا بأنّ اللهَ لا ربّ غيرهُ وأنّ رسُول اللهِ بالحقّ ظاهرُ

ومثل : " أراد الله ، ليس لأمر حمّهُ الله " ، في قوله :

لأمْر أرادَ اللهُ أنْ يُهْلكوا بهِ وليْسَ لأمْر حمّهُ الله زاجرُ

وعندما نتأمل أسلوب النّـص نجد أن الشاعر قد التزم فيه الأساليب الخبرية الملائـمة للفخر والوصـف ، وسرد الحقائق والوقائع وتقريرها ، ومنه قولـه : " يمشون في الماذيّ والنقع ثائر " ، وهو أسلوب خبري ، غرضه البلاغي الفخر ، ومنه كذلك قولـه في البيـت الثالث عشر : " وكل كفور في جهـنّم صائر " ، وغرضه البلاغي تقرير حقيقة مصير الكفار .

وجاء الأسلوب الإنشائي في موضع واحد فقـط ، وذلك في البيت الخامس عشر أين يقول : " وكان رسول قد قال اقبلوا .." ، وهو أسلوب إنشائي من نوع الأمر ، غرضه البلاغي الاستعطاف .

4 ــ الصور وأبعادها :

إذا وجهنا النـظر إلى خيالات كعب بن مالك وصوره ، فإننا نجـدُ البيـئة الحضرية حاضرة في قصيدته ، فإذا أراد تصوير شدة الأوس وقدرتهم على نصرة الرسول (ص) ، ومنع المشركين منه ، لم يجد ما بشبههم غير الحصْـن المنـيع ــ الذي هو ميزة حضارية ــ الذي يقـف حاجزا صلبا في وجـه الأعداء ، يمنع

اقتحامهم لمأوى الرسول (ص) ومدينته ، فيقول :

وفينا رسول الله والاوس حوله له معقل منهم عزيز وناصرُ

كما أن السيوف المصقولة إذا تلألأت في المعركـة ، وأراد تصويرها ، لجأ إلى مرائيه في هذه الحاضرة ، فانتقى منها ما يقرب الصورة ويوضحها ، فلم يجد إلا الانوار التي لا تكاد تغيب عن ناضري حضري مثلـه ، وقد حذف فيه وجـه الشبه ، وذلك على سبيل التشبيه المجمل ، يقول :

وقد عُرّيت بيضٌ خفافٌ كأنّها مَقابيسُ يزهيها لعَيْنيك شاهرُ

ونجده في صورة أخرى يشـير إلى افتراء المشركين على الرسول (ص) ، وتشبيههم له لمّا جـاء بقران أعجزهم ، بالساحر الذي يعجز الناس ويبهرهـم بسحره ، فحذف الأداة ووجه الشبه معا وذلك على سبيل التشبيه البليغ ، يقول :

وكانَ رسُولُ الله قدْ قال أقبلوا فولوا وقالوا : إنّمَا أنتَ سَاحرُ

ويتناول أدوات الحرب فيصورها أروع تصوير ، كتصويره لخروج الأنصار إلى المعركة ، وعليهم دروع بيض لينة ، والنقـع ثائر في السماء ، في كناية عن كثرة المسلمين وحسن استعدادهم للحرب ، يقول :

وجَمْعُ بني النّجّار تحتَ لوَائه يُمشّونُ في الماذي والنقعُ ثائرُ

كما نراه يشبه الحين بالإنسان ، فيحذف المشبه به ، ويذكر المشبه على سبيل الاستعارة المكنية ، وذلك قوله :

بهنّ أبدْنَ جَمعَهُم فتبدّدُوا وكانَ يُلاقي الحينَ مَنْ هُو فاجرُ

أما البديع فقد جاء وفق مقتضى الحال ليزيد النص جاذبية وحـلاوة ، مثل : الجناس الناقص في البيت الأول بين : " قادر " و قاهر " ، وكذلك السجع في البيت نفسه بين : " قادر " و " قاهر " ، يقول :

عَجبْتُ لأمْر اللهِ واللهُ قادرُ على مَا أرادَ ليْس لله قاهرُ

وفي البيت نفسه طباق الإيجاب بين : " قادر " و " قاهر " .

كما نجد الترادف في المعنى في البيت الثاني بين : " البغي " و" جائر " ، لأن كلاهما تعني الظلم ، يقول :

قضَى يَوم بَدْر أنْ نُلاقي معشرًا بَغوا وسَبِيلُ البَغي بالنّاس جَائرُ

وطباق الإيجاب في البيت الرابع بين : " إلينا " و " غيرنا " ، يقول :

وسَارَتْ إلَيْنَا لا تحَاولُ غيْرَنَا بأجْمَعهَا كعْبٌ جَميعٌ وعَامرُ

والترادف في البيت الثامن بين : " الله " و" رب" ، يقول :

شَهدْنا بأنّ اللهَ لا رَبَّ غيرَهُ وأنّ رَسُولَ اللهِ بالحَقّ ظاهرُ

والترادف أيضا في البيت الرابع عشر بين : " تلظى " و " شب " و"ساجر" ، والتي تعني شدة الاشتعال ، يقول :

تلظى عليْهمْ وَهي قدْ شبَّ حَمْيُهَا بزُبْر الحَديدِ والحِجَارَة سَاجرُ

وطباق الإيجاب في البيت الخامس عشر بين : " أقبلوا " و" ولّوا " ، يقول :

وكانَ رسُول اللهِ قدْ قالَ أقبلوا فولّوا وقالوا : إنّمَا أنْتَ سَاحرُ

وغيرها من الصور البيانية والمحسنات البديعية التي جاءت عفو الخاطر لتزيد القصيدة في معناها جمالا وفي شكلها بهاءً ورواءً .

بيد أن الناظر في شعر كعب عموما ، قبل الإسـلام وبعـده لا شـكّ انّه سيلاحظ بوضوح أثر البيئة الحضرية ــ الحسية والفكرية والدينية ــ في جزالـة ألفاظـه وسهولتها ، وفي إحكام عباراته ودقتـها ، كما يتضح في معانيـه التي تكشـف عن بيئته الحضـرية في يثرب من جهـة ، وفي ظل الإسـلام وفكره وعقائده ومبادئـه وقيمه من جهة أخرى .

ولا شـك أنّ كعبا بن مالك كان أكـثر تمثلا للديـن الإسلامي بتعاليمـه ومبادئـه وقيمه ، من العباس بن مرداس ، وحتى من زميليه عبد الله بن رواحة ، وحسان ابن ثابت ، ولا أدل على ذلك من هذا النـص المتكامل فـي تمثله للديـن

الإسلامي ، حتى أنه يخلو من أي لفظ أو تركيـب أو معنى له صلة بالصّـياغة الجاهلية وقوالبها الثابتة المقدسة ، والأكيد أن ذلك يعود إلى إسلامه المبكر نسبيا ، ومشاركتـه في أغلب الحروب والغزوات الإسلاميـة خلافا للعباس وحسان مـن جهـة ، وعدم تعرض شعره للإهمال أو الضياع شأن شعر ابن رواحة من جهة أخرى .

ثانيا : قصيدتان من شعر المعارضة :

1 ــ قصيدة من شعر عبد الله بن الزبعرى :

أ ــ القصيدة : (ألا ذرفتَ)

قال عبد الله بن الزبعرى يوم أحد[1] : [من الطويل]

1 ـ ألا ذرَفـتَ منْ مُقلتـيْكَ دُمُـوعُ وقدْ بَان منْ حبْـلِ الشبَاب قطُـوعُ

2 ـ وشـطّ بمَنْ تهْوَى المَزارُ وفرّقت نَـوَى الحَـيِّ بالحَبيـب فجُـوعُ

3 ــ وليْـسَ لمَا وَلّى على ذِي حَرَارَةٍ وإنْ طالَ تذرَاف الدّمُوع رُجُـوعُ

4 ــ فذرْ ذا ولكِـنْ هَـلْ أتَى أمّ مالِكٍ أحادِيث قوْمِي والحَدِيـث يَشِيـعُ

5 ــ ومُجْذَـبُنَا جُرْدا إلى أهلِ يَثْـرِب عَناجيـجَ منْـهَا مُتـلدٌ ونزِيـعُ

6 ــ عَشِـيّة سِرْنا في لهَامٍ يقـودُنَا ضرُورُ الأعَادِي للصّـدِيق نَفُوعُ

7 ـ نشـدّ عليْـنا كـلّ رَغـفٍ كأنّها غدِيـرٌ بضَـوْج الوَادِيّـيْن نقِيـعُ

8 ــ فلمّـا رَأوْنـا خالطتـهُم مَهابَة وعَايَنهُـم أمْـرٌ هُنَـاك فظِـيعُ

9 ــ ووَدّوا لوْ أنّ الأرْض ينشقّ ظهْرُها بهمْ وصَـبُورُ القـوْمِ ثمّ جَـزوعُ

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 37 ـ 39 .

10 ــ وقدْ عُرّيـتْ بيضٌ كأنّ وَمِضهَا حَرِيقٌ ترقـى في الآبَـاءِ سَرِيعُ

11 ـ بأيْمَانِنا نَعْـلو بهَا كـلّ هامَـةٍ ومنْـها سِمَـامٌ للعَـدُوّ ذرِيـعُ

12 ـ فغادَرْن قتلى الأوْسِ عَاصِبَة بهم ضِبَاعٌ و طيْـرٌ يَعْتَـفِين وُقوعُ

13 ــ وجَمْعُ بني النّجار في كل تلـعَةٍ بأبْدَانِهِـم منْ وَقعِـهنّ نَجيـعُ

14 ــ ولولا عُلوّ الشّعْبِ غادَرْن أحْمَدَا ولكنْ عَلا والسّمْهـرِيّ شَرُوعُ

15 ــ كمَا غادَرَت في الكرِّ حمْزة ثاويّا وفي صَدْرِهِ مَاضِي الشّبَاة وَقِيعُ

16 ــ ونُعْمَان قد غادَرْنَ تحْـت لوَائهِ على لحْمِه طيْرٌ يَجُـفِنَ وُقوعُ

17 ــ بأحْدٍ و أرْمَاحُ الكمَـاة يُرِدْنَهُم كمَا غالَ أشْطانَ الدِّلاءِ نَزُوعُ

ب ــ شرح الألفاظ[1] :

2 ــ شطّ : بعُد .

5 ــ مُجنبنا : من جنبت الفرس ، إذا قدته ولم تركبه ، أي سوّقنا الفرس ، الجرد : جمع أجرد هو العتيق من الخيل ، العناجيج : الخيل الطوال الحسان ، المتلد : التليد الذي ولد عندك ، النزيع : الغريب .

6 ـ اللهام : الجيش الكثير .

7 ــ الرغف : الدروع اللينة ، الضـوج : جانب الوادي ، نقيـع : ماء بارد أو المملوء بالماء .

10 ــ الآباء : جمع أباءة ، وهي الأجمة الملتفة الأغصان ، أو أجمة القصب .

---

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 37 ـ 39 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 89،88/3 ؛ الفيروزبادي : القاموس المحيط .

11 ــ السمام الذريع : السم الذي يقتل سريعا .

12 ــ يعتفين : يطلبن الرزق .

13 ـ نجيع : دم .

14 ــ الشعب : الطريق في الجبل ، السمهري : الرمح ، شروع : مهيأة للطعن .

15 ــ الشباة : الحد ، أو الآلة الحادة ، وقيع : محدد .

16 ــ النعمان : النعمان بن مالك أحد أشراف وسادة الخزرج ، استشهد يوم أحد ، يجفنَ : يدخلنَ في جوفه ، أو يطلبن ما في جوفه .

17 ــ الكماة : الشجعان ، غال : أهلك ، أشطان : حبال الدلاء ، النزوع : جذب الدلو من البئر .

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

ورد في إحدى نسخ ديوان عبد الله بن الزبعرى ، أنه قال هذه القصيدة يوم أحد[1] ، وهو ما جاء في السيرة أيضا[2] .

2 ــ موضوعات القصيدة :

إذا تابعنا المعاني التي قامت عليها القصيدة أمكننا تقسيمها إلى خمسة أقسام :

1 ـ المقدمة .

2 ـ إعداد المشركين للمعركة ، وسيرهم إلى يثرب .

3 ـ وصول المشركين إلى أحد ، وفزع المسلمين من جيوشهم الجرارة .

(1) عبد الله بن الزبعرى : الديوان ، ص 37 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 88/3 .

4 ـ بلاء المشركين في المعركة ومصرع سراة الأوس وبني النجار .

5 ـ فلات الرسول (ص) من أيدي المشركين وتحسرهم على ذلك .

أما المقدمـة فقد جاءت في أربـعة أبيات ، وهي شبيـهة بمقدمة الشيـب والشباب التي كان الجاهلـيون يُوشّحون بها مطالع قصائدهم ، فلولا أننا نعلم يقينا أن القصيدة قيلت يوم أحد لبكاء المشركين من جهـة ، والفخر ببلاء جيوش الكفر في هذه المعركة وانتصارهم على جيـش المسلمين ، لقلنا أن الشاعر يبكي شبابه الضائع ، ويندب الشيب الذي غزى رأسه ، فانظر إلى قوله في مطلع قصيدته :

أَلا ذرَفت منْ مقلتيْك دُمُوعُ وقد بَان منْ حبْل الشّبَاب قطوعُ

فهو يوجه خطابه إلى صاحبه يدعوه ذرف الدمـوع ، وقد استهل مطلعـه بحرف عَرْض يستجدي من خـلاله المخاطب للبـكاء على هـذا الشباب الذي بدأ يتراءى للعيان انقـطاع حبلـه ، وهو لا يستجديه البكاء على شبابهما فحسب ، بل يستجديه البكاء على شباب المشركين الابطال الذيـن سقطوا في ساحة المعركة ، ولا أدل على ذلك من أبياته اللاحـقة التي يستجدي من خلاله البكاء على الأحبّـة الذين انقطع وصالهم ، وفرقت الموت بينه وبينهم ، وهنا كذلك نراه يستوحي بكاء الأطلال والحبيبة النائية من قصائد القدامى ، فيقول :

وشط بمن تهْوى المزارُ وفرّقت نوَى الحيّ دارٌ بالحبيب فجُوعُ

فهو هنا يذكرنا بقول امرىء القيس في مطلع معلقته[1] : [من الطويل]

كأنّي غداة البيْن يوْم تحمّلوا لدَى سَمُراتِ الحّيّ ناقفُ حَنْظلِ

وبعد ذلك نرى ابن الزبعرى يؤكد في بيت حكمي متميز استحالة عـودة الماضي التلـيد ، وعودة الأموات من الاحبة ، وإن طال ذرف الدموع الغزيرة ، والحارة الصادقة عليهم ، وإن دل هذا على شـيء فإنـما يدل على ما يختلـج نفـس ابن الزبعرى من آلام وأحزان على من فقد من أحبته ، يقول :

وليْس لمَاَولى على ذي حَرَارةٍ وإنْ طالَ تذرافُ الدّمُوع رُجُوعُ

(1) الزوزني : شرح المعلقات العشر ، ص 5 ، سمُرات : نوع من الشجر ، البين : الفراق ، ناقف : من نَقف أي شقّ .

ثم يتخلص الشاعر فجأة من هذا المطلع ، وكأنه بذلك يتخلص من آلامـه وأحزانه ، فيدخل في الحديث عن معركة أحُد ، ونصرهم المؤزر فيها ، مستهلا موضوعه الجديد بالقول :

فذرْ ذا ولكن هلْ أتى أمَّ مالكٍ أحاديث قوْمي والحدِيث يشيعُ

إذ لم يلبث الشاعر أن ترك مقدمـته الحزيـنة ـ باقتضاب ـ لينتقل إلى موضوعه الرئـيس ، الذي يبعث في نفسـه الفرح والسرور ، وهو الفخر بنصر قريش العظيـم يوم أحُـد ، وقد استهل هذا الموضـوع بوصْف خروج القرشيين وأحلافهم إلى المعركة ، فيقول :

ومُجْنِبُنا جُرْدا إلى أهْل يثربَ عنَاجيجَ منْـها متلـدٌ ونَزيعُ
عَشيّة سِرْنا فـي لهَمٍ يقودُنا ضرُورُ الاعادِي للصّديق نفوعُ

وقد وصف خروجهم في جيش عظيم قاصدين يثرب ، يقودون خيلا جردا حسانا ، ثم يتناول في حديثه أدوات الحرب ، فيصور دروعهم اللينة كأنها غدير في جانب الوادي ، يقول :

نشدّ عليْنا كل رَغفٍ كأنّها غدِيرٌ بضَوْج الواديّيْن نقِيعُ

ويفخر بكثرتهم ، وحسن استعدادهم للحرب ، حتى أنهم لما تجلوا للمسلمين أذهلوهم ، وقذفوا الرعب والفزع في قلوبهم ، إلى أن تمنوا لو أن الأرض انشقت و ابْتلعتهُم ، لهَول ما رأوا من عدة المشركين وعَددهِم ، يقول :

فلمّـا رَأوْنا خالطتـهُم مهابَـة وعَاينَـهُم أمْـرٌ هُناك فظيـعُ
وودّوا لوْ أنّ الأرْضَ يَنشقّ ظهْرُهَا بهِـمْ وصَبُـورُ القوم ثمّ جزُوعُ

ثم يذكر في حديثه أدوات الحرب مرة أخرى ، فيصورها أدق تصوير ، إذ يجعل من السيوف المتلألئة والمشعة في أيدي المشركين ، حريق شبّ في أجمّة قصَب ، يقول :

وقد عُرّيت بيضٌ كأنّ وميضَهَا حَريقٌ ترقّى في الاباء سَريعُ

كما أنهم يحملون السيـوف بأيمانهم فيعلُون بها هامات المسلمين الشامخة ، فيُصيبُون بها سادتهُم وأشدّاءَهُم ، فيُردُونهُم صَرعى كالحيّة التي تنفث سُمّها القاتل السريع في فريستها فما تلبث أن يهْلكها في لحظات ، يقول :

بأيْمَاننَا نعْلو بهَا كل هَامَةٍ ومنْهَا سِمَامٌ العَدُوّ ذريعُ

والملاحظ أن الشاعر قد استقصى الوصـف لدى تصويره للباس المشركين في الحرب وأسلحتهم التي يستخدمونـها في الفتـك بأعدائهم ، ليدخل الرعب في قلوب المسلمين ويهز معنوياتهم .

وبعد هذه الأبيات نجد الشاعر يصف ما حل بالمسلمـين في هذه المعركة ، ويفخر منتشيا ومظهرا شماتته بهم ، وقد غادروا الأوس والضباع والطير متربصة تنتظر رزقها من جثثهم المنتشرة ، يقول :

فغادرْن قتلى الأوْس عَاصِبَة بهمْ ضِبَاعٌ وطيْرٌ يعْتفينَ وُقوعُ

كما يصـف صرعى بنـي النجار وجثثهم المتناثرة في كل مكان ، والدماء تكسوها ، في تعبير دقيق يشير إلى كثرة قتلاهم من جهة ، ويبين مدى حقده عليهم وجزعه منهم ، وشماتته بما أصابهم ، من جهة أخرى ، يقول :

وجمع بني النجار في كل تلعة بأبدانهم من وقعهن نجيعُ

وبعد أن وصف المعركة وهولها ، وصور مصرع سراة الأوس وبني النجّار ، وجثثهم المتناثرة في كل مكان ، نراه يتحسّر على عدم تمكنهم من محمد (ص) ، لأنه علا في شعب الجبل ، يقول :

ولوْلا عُلوّ الشعْبِ غادرْنَ أحْمَدا ولكنْ عَلا والسّمْهريّ شرُوعُ

ولكنه ما يلبث أن يضيف ، مبرزا تحسّـرهُ على فلات محمد (ص) منهم ، وقد تمكنوا من حمزة بن عبد المطلب ، فأردوه صريعا ، يقول :

كمَا غادَرْن في الكرّ حَمْزةَ ثاويًا وَفي صَدْرِهِ مَاضِي الشّبَاةِ وَقيعُ

كما تمكنوا من النَّعْمَانُ بنُ مَالكٍ الخَزرَجيّ ، فغادرْه والطيرُ تنهشُ لحمهُ ،

وتطلب ما في جوفه ، يقول :

ونُعْمانُ قدْ غادرْنَ تحتَ لوَائهِ عَلى لحْمهِ طيرٌ يَجُفنَ وُقوعُ

ويخلص في الأخير إلى أن أرماح شجعانهم ونبالهم ، قد أهلكت المسلميـن في أحد كما أهلكت كثرة جذب الدلاء حبالها ، يقول :

بأحْدٍ وأرْمَاحُ الكمَاةِ يُردْنهُمْ كمَا غَالَ أشْطانَ الدِّلاء نَزُوعُ

3 ـ الأسلوب وسماته :

الملاحظ عن قصيدة ابن الزبعرى أنها جاهلية شكلا ومضمونا ، إذ نجده قد استهلها بمُقدمة شبيهة بمقدمات الشيب والشباب المعروفة عند الشعراء الجاهليين ، وإن كان الظاهر أنه قد بكى من خلالها صرعى قريش في أحُد .

كما أن أغلب ألفاظه جاهليـة تميل إلى الغرابة والتعقيد ، مثل : " مجنبنا ، جُردًا ، عَناجيج ، مُتلد ، نزيعُ ، " ، في قوله :

ومُجْنبُنَا جُرْدًا إلى أهْل يَثربَ عَنَاجيجَ مِنْهَا مُتلد ونَزيعُ

ومثل : " زعف ، ضوج ، نقيع ، في قوله :

نشدَّ علينَا كل رَعْفٍ كأنّهَا غديرٌ بضَوْج الواديّيْن نقيعُ

و مثل : " سمام ، ذريع " ، في قوله :

بأيْمَاننَا نَعْلو بهَا كلّ هَامَةٍ وَمنْهَا سِمَامٌ للعَدوّ ذريعُ

و " تلعة ، نجيع " في قوله :

وجَمْعُ بني النّجّار في كلّ تَلعَةٍ بأبْدَانهمْ مِنْ وَقعهنّ نَجيعُ

ومثل : " السمهري ، الشباة ، يجفن " ، في الأبيات الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، من القصيدة .

وكذلك : " الكماة ، غال ، أشطان ، نزوع ، في البيت الأخير ، إذ يقول :

بأَحْدٍ وارماحُ الكماة يُردْنهُم كمَا غَالَ أشطان الدّلاء نَزُوعُ

وجميع هذه الألفاظ الغريبة هي ألفاظ متعلقة بالحرب وأدواته ، من خيـل متنـوعة ، وسيوف ورماح ، ... ، وقد استعان بها الشاعر للـدلالة على حُسن استعداد المشركين للـحرب ، وعلى شـدّة بـلائهم وبطشهم فيـها كما هي عادة الجاهليين في معاركهم وحروبهم ، وأشعارهم .

إلا أن الشاعر عاش في الحاضرة (مكة) ، فأنّى له بهذه الألفاظ و التراكيب الغريبة والمعقدة ، مع أن البيئة الحضرية تميل بالشعراء إلى السهولة والوضوح ، ولعل سبب هذا الغموض في الألفاظ والتراكيب هو طبيعة الشاعر الفارس الجاهلية من جهة ، و كثرة رحيله وترْحَالهِ إلى مختلف الأصـقاع من جهة أخرى ، الامر الذي جعله يستوحي لغة البادية وأساليبها ، ويستحضر صورها الحسية والمادية في أغلب شعره .

وتتجلى الاثار الجاهلية في شعر ابن الزبعرى اكثر من خلال فخره بجماعة المشركين وحُسْـن استعدادهم للحرب ، وصـولا إلى فخره بنصرهم المظفر على المسلمين ، وما أوقعوه من صرعى من الاوس وبني النجار ، حتى تناثرت جثثهم وأصبحت طعاما للطيور والضباع .

فبعد أن استهل الشاعر قصيدته بوصف حالته النفسـية المضطربة الحزينة على قتلى المشركين ، مُستجديًا مخاطبه للبكاء وذرف الدمـوع عليهم ، لأن فقد الأحبة من أعظم الخطوب .

لكنه لا يلبث أن يعزّي نفسه بالحديث عن خروج قريش لحرب المسلمين يوم احد ، فيبدأ بوصف استعدادهم للحرب ، ثم يصف سيرهم إلى يثرب ، ويصل في الأخير إلى وصف نصرهم المؤزر وهزيمتهم لجيش المسلمين شر هزيمة .

ويبدو أن الشاعر قد اتخذ من مطلعـه تمهيدا للجو النفسـي الذي سيعبر من خلاله إلى ما يبعث السرور والغبطـة ، وكذا ما يبعث الفـخر و الاعتزاز في نفسه المصدومة بصرعى قريش في هذا اليـوم من جهـة ، وصرعاهم في بدر

من جهة أخرى .

وقد أجاد الشاعر في وصف خروجهم للحرب ، عندما ربط ذلك بالسير بخيلهم رجالا لا ركبانا ، وكأن يثرب على مرمى حجر من مكة ، وذلك للدلالة على شجاعتهم وقوتهم ، وشدة رجالهم ، كما أشار إلى كثرتهم ، وحسن استعدادهم للحرب عندما يذكر خروجهم في لهام وخيل مختلفة منها المتلد ، والنزيع ، والجرد ، فيقول :

ومُجْنِبُنَا جُرْدًا إلى أهْل يثربَ عَناجيجَ مِنْهَا مُتلد ونَزيعُ
عَشيّة سِرْنَا في لهَام يقودنَا ضَرُورُ الأعَادي للصّديق نَفوعُ

كما أجاد في تمثيل فخره القبلي ذو النزعة العصبية الجاهلية ، حينما استخدم لغة الجماعة ، جماعة القبيلة ، إذ حول فخره من فخر ذاتي شخصي إلى فخر قبلي ، ففخر بجيش قريش الهمام ، ثم فخر بلباسهم ، فقال :

نلفّ عَلينَا كلّ رَغفٍ كأنّهَا غديرٌ بضَوْج الوَاديّيْن نقيعُ

وفخر بأسلحتهم ، فذكر سيوفهم المضيئة في المعركة كحريق شب في كومَةِ حَطب ، فقال :

وقدْ عُرّيت بيضٌ كأنّ وَميضَهَا حَريقٌ تَرَقى في الأبَاء سَريعُ

كما افتخر بمطلع جيوشهم الذي قذف الرعب في نفوس المسلمين حتى تمنّوا لو أنّ الأرض انشقت وابتلعتهم ، فقال :

فلمّا رَأوْنَا خَالطتهُمْ مَهَابَة وعَاينَهُم أمْرٌ هُنَاكَ فظيعُ
وَوَدّوا لوْ أنّ الأرْض يَنشقّ ظهْرُهَا بهمْ وَصَبُورُ القوْم ثمّ جَزُوعُ

ونراه يفخر بقوة فرسان قريش وشدتهم ، فهم يعلون بسيوفهم هامات أشداء الأوس وبني النّجّار وسادتهم وأشرافهم ، ولا يغادرونهُمْ إلا وهم صرعى تنهش الضّباعُ والطير جثثهم ، فيقول :

بأيْمَاننَا نَعْلو بهَا كلّ هَامَةٍ ومنْهَا سِمَامٌ للعَدُوّ ذريعُ

فغادَرْنَ قتلى الأوس عَاصِبَة بهمْ ضبَاعٌ وطيْرٌ يعتفين وقــوعُ
وجَمْعُ بني النّجّار في كلّ تلعَةٍ بأبْدانِهمْ مِنْ وقعِهنّ نَجيــعُ

و إذا كان قد ذكر كثرة قتلى المسلمين في المعركة ، فإنه لم يذكر من خلال نصه قتلى المشركين ، من جهـة ، ونراه يخـص صرعى الأوس وبنـي النجار بالذكر ولم يذكر الصرعى من القرشيين المسلمـين وغيرهم ، من جهـة أخرى ، وكأن المعركة بين مكة ويثرب وليست بين المسلمين والمشركين ، وهذا يدل على روح العصبية الجاهلية الذي يسري في قلبه كما في نصه .

كما نلمس من خـلال الـنص اهتزاز الشاعر لنشـوة الانتصار ، وشماتته وتشفيه بما لحق المسلمين من مصاب وأذى .

ونراه في اخر القصيدة يتحسّر على عدم تمكنهم من الرسـول (ص) ، لعلوه الشّعب ، لكنّـه يواسـي نفسـه بتمكنهم من عمـه حَمْـزَة بن عَبْد المُطـلب ، و بالنعمان بن مالك أحد سادة الخزرج ، يقول :

وَلوْلا عُلوّ الشّعْب غادَرنَ أحْمَدَا ولكنْ عَلا والسّمْهريّ شرُوعُ
كمَا غَادَرْنَ في الكرّ حَمْزَةَ ثاويًا وفي صَدْرِهِ مَاضِي الشَّبَاة وَقيعُ
ونعْمَانُ قد غَادَرْنَ تحْتَ لوَائِهِ عَلى لحْمِهِ طيْرٌ يجفن وقوعُ

ويبدو تشفيه بمقتل حمزة في قوله " ثاويا في صدره ماضي الشباة وقيع " ، ولا غرابـة في ذلك فقد كان حَمـزة أبرز فرسان المسلمــين وأشدهم ، وكان الجميع يخافه ويهابه ، وكان السيـف القاطـع الذي هوت على يديه رؤوس سادة قريش وزعمائها في بدر .

وقد استخدم الشاعر لغـة الجماعة للتعبير عن الروح القبلية ، روح الانتماء للقبيلة والإخلاص لها ، والدفاع عنها ضد من يتربصون بها . ومن الفاظ الجماعة التي استخدمـها الشاعـر : " سرنا ، يقودنا ، نشـد ، علينا ، بأيماننا ، نعـلو ، غادرن ، ... " وغيرها .

ولم يستخدم الشاعر لغة المفرد إلا في مطلع القصيدة ، في أبيات أربعة بكى فيها قتلى قريـش ، وخاطب صاحبه يستجديه ذرف الدمــوع عليهم ، ومن تلك

الألفاظ : " ذرفت ، تهوى ، ذر ، ... " وغيرها .

والجدير بالذكر أن ابن الزبعرى لم يذكر في قصيدته عقيدة المسلمين بسوء ، بل لم يشر حتى إليها أو إلى دينـه الوثني ، دين الآباء والأجداد ، وكأن المعركة التي نسج عليها نصه ، معركة قبلية كسائر المعارك التي سادت في الجاهليـة بين القبائل ، حين كانت الحياة حياة صراع وغزو من أجل العيش ، ومن أجل السيادة على سائر القبائل .

والملاحظ عن القصيدة أنها جاءت متكاملة ومتناسقة ، ومتماسكة الأجزاء ، ومتسلسلة تسلسلا منطقيا ، ترتبـط فيها الأجزاء بعضها ببعض خدمة للموضوع الرئيس للنص .

وقد حفل الشاعر في نصه بالمعنى ، ولم يغفل المبنى ، إذ انه لا يكاد يستعمل لفظة إلا وفيها تمثيل لوجه من وجوه المعنى .

ولعل ما يلفت الانتباه في هذا الجانب اختيار الشاعر لمجموعة من الألـفاظ المناسبة للحسرة والألم و التفجـع ، مثل : " دموع ، قطوع ، فجوع ، رجوع " وغيرها .

كما انتخب مجموعـة من الألفاظ المناسبـة للفـخر والحماسـة ، مثل : " عناجيج ، متلد ، نزيع ، لهام ، رغف ، مهابة ، بيض ، سمام ، الكر ، الشباة ، السمهري ، الرماح ، ... " وغيرها .

وقد تميز الشاعر بصـوغ العبارات المتينـة ذات البناء المحكم ، وقد كان للتقديم والتأخير أثر بارز فـي جـودة هذا البـناء ، إذ نجد عباراتـه الآتيـة : " شط بمن تهوى المزار ، دار بالحبيب فجوع ، بأيماننا نعلو بها كل هامـة ، بأحد و أرماح الكماة يردنهم " ، تضفي على القصيدة نغما منسجما يدعّمُه ما في البحر الطويل من رحابة وسعة .

واكسبت كثرة حروف المدّ و الليْن شكل القصيدة وموسيقاها جاذبيـة ووقعا مؤثرا في النفس.

كما كان لكثرة حروف الجر وتنوعها في القصيدة ، دورها البارز في الربط

والتنسيق بين مختلف التراكيب والجمل .

واختار الشاعر ان يعج نصه بالصفات والاحوال ، لأنـها الانسب للفـخر والوصف ، وتصوير هول المعركة وجسامتها .

وعندما نتأمل النص نجد أن الشاعر قد التزم في أغلبه الأسلوب الخبري لأنه الملائم للوصف والفخر ، وسرد الحقائق وتقرير الوقائع ، إذ أن نصّه لم يخرج في مجمله عن تصوير معركة أحد ، وهولها وكثرة القتلى فيها ، مع شماتته بالمسلمين وتشفيه في قتلاهم .

ومن ذلك قوله " بأيماننا نعلو بها كل هامة .. " ، وهو أسلوب خبري ، غرضه البلاغـي الفخر بقوة المشركين وشدتهم ، ومنه كذلك قوله : " ولولا علو الشعب غادرن أحمدا " ، وغرضه البلاغي الحسرة والندم .

و لم يستخدم الشـــاعـــر الأسلوب الإنشائـــي إلا فـــي موضعـــين فقـــط :

أولهما ، في قوله : " ألا ذرفت من مقلتيك دموع .. " ، وهو أسلوب إنشائي غرضه البلاغي الاستجداء والاستعطاف ، إذ استعمل الشاعر أداة العرض " ألا " ليستجدي بواسطتها صاحبـه للبكاء وذرف الدموع على قتلى قريش من جهـة ، والشباب الذي بدأ حبله في الانقطاع .

أما ثانيهما ، ففي قوله :

فذرْ ذا ولكنْ هلْ أتى أمَّ مَالكٍ أحَاديث قوْمِي والحَديث يَشيعُ

وقد ورد الأسلوب الإنشائـي هنا على مرتين ، الأول : " فذر ذا " أسلوب إنشائي من نوع الأمر ، والثاني : " هلْ أتى .. " ، أسلوب إنشائـي من نـوع الاستفهام .

4 ــ الصور وأبعادها (الواقع والمتخيل منها) :

جاء أسلوب الشاعر مشرقا بما اشتمل عليه من أخيلة ، وصور زادت المعنى جمالا ، وقد كان للخيال دور كبير في حسن الأداء ، ودقة العبارة ، واستطاع ابن الزبعرى أن يوفر لصوره البيانية مكوناتها المتلائمة ، ففي البيت السابع نجده يشبه

الدروع اللينة التي تشد أجساد المشركين ، بالغدير الذي يملأ جوانب الوادي ، في صورة حسية رائعة ، استمدها من الطبيعة الماثلة أمامه ، يقول :

نشُدُّ عَلينَا كلَّ رَغفٍ كأنَّهَا غديرٌ بضَوْج الوَاديّيْن نقِيعُ

وما أجمل هذه الصورة وأروعها ، وقد صور الشاعر بدقة متناهية قوة فرسان المشركين وامتلاء أجسامهم وقد شدوا عليها دروعًا لينةً جميلة ، يماثلون في ذلك الوادي الممتلئ بالماء البارد الصافي .

كما يشبه السيوف المضيئـة والمتلألئـة في المعركـة ، وقد راحت تفـتكُ بالمسلمين ، بالحريق الذي يشب في كومة قصب فيلتهمها في سرعـة فائقـة ، فيقول :

وقدْ عُريتْ بيضٌ كأنَّ وَميضَهَا حَريقٌ ترَقى في الآبَاء سَريعُ

وما أدق هذا التصوير المركب وأروعـه ، إذ لم يكتف الشاعـر بتشبيـه السيوف المضيئة في المعركـة ، بالحريق ، على سبيل التشبيه العادي ؛ وإنما تجاوز ذلك إلى تشبيهِ سُرعة سيوف المشركين في إهلاك المسلمـين ، بسرعـة الحريق في التهام أجمة القصب .

ونجد الاستعارة المكنية في قوله :

بأيْمَاننَا نَعْلو بهَا كلَّ هَامَةٍ ومنْهَا سِمَامٌ للعَدُوّ ذريعُ

حيث شبه السيوف بالحية ، فذكر المشبه وهو " السيوف " وحذف المشبه به " الحيّة " ، وترك شيئا من لوازمه ليدل عليه " سمَامٌ " .

كما نجد التشبيه في البيت الأخير :

بأحْدٍ وَأرْمَاحُ الكمَاةِ يُردْنَهُمْ كمَا غَالَ أشْطانَ الدّلاءِ نَزُوعُ

حيث شبه المسلمين وقد أهلكتهم رماحُ القرشيين بحبال الدّلاء التي أهلكت لكثرة جذب الماء من البئر .

أمّا الكناية ، فقد جاءت لطيفـة ومُعبرة ، وذلك عندما صور ابن الزبعرى

الرعب والفزع الذي أصاب بقلوب قلوب المسلمين وهز معنوياتهم لمّا طلع عليهم جيش المشركين العرمرم ، حتى تمنوا لو أن الأرض ينشق ظهرها فتبتلعهم ، أو يتوارون فيها ، يقول :

وَوَدَّوا لوْ أنَّ الأرْضَ ينْشقَّ ظهْرُهَا بهمْ وصَبُورُ القوْم ثمَّ جَزُوعُ

ونجد الكناية أيضا في قوله :

وَمُجْنِبُنَا جُرْدًا إلى أهْل يَثْربَ عَناجيجَ مِنْهَا مُتلدٌ ونَزيعُ

وهي كناية عن قوة المشركين وشدتهم وشجاعتهم من جهة ، عندما يقول أننا خرجنا إلى يثرب نسير بخيلنا دون أن نركبها ، وكأن يثرب على مرمى حجر من مكة ، وكناية عن كثرتهم وحسن استعدادهم للحرب في عجز البيت ، عندما يقول أنهم خرجوا إلى يثرب في خيل حسان مختلفة الأنواع والفصائل من جهة أخرى .

أمّا البديع ، فلم يحفل به الشاعر ، وجاء قليلا ، وبالرغم من ذلك فقد زاد النـصّ جمالا وبهاءً ، ومن ذلك : السجـع في البيت الأول بين : " دمُوع " و " قطوع " ، يقول :

الا ذرَفتَ مِنْ مُقلتيْكَ دُمُوعُ وقدْ بَانَ مِنْ حَبْل الشّبَاب قطوعُ

والسجع أيضا في البيت الثاني ، بين : " دار " و " المزار " ، يقول :

وشَطّ بمَنْ تهْوَى المَزارُ وفرّقتْ نَوَى الحَيِّ دَارٌ بالحَبيبِ فجُوعُ

وفي البيت الثالث بين : " دموع " و " رجوع " ، حين يقول :

وليْسَ لمَا ولَىّ على ذِي حَرَارةٍ وإنْ طالَ تذْرافُ الدَّمُوع رُجُوعُ

كما نجد الترادف في المعنى بين : " جردا " و " عناجيج " و " متلد " و " نزيع " ، وتعني الخيل ، وذلك في قوله :

وَمُجْنِبُنَا جُرْدًا إلى أهْل يَثْربَ عَنَاجيجَ منْهَا مُتلدٌ وَنَجيعُ

والمقابلة في البيت السادس بين : " ضرور الأعادي " و " للصديق نفوع " ، يقول :

عَشيَّة سِرْنَا في لهَام يَقودُنَا ضَرُورُ الأعَادِي للصَّدِيق نَفوعُ

والترادف بين : " غدير " و " نقيع " ، في قوله :

نَشُدَّ عليْنَا كلَّ رَغْفٍ كأنَّهَا غَدِيرٌ في ضَوْج الوَادِيَّيْن نَقيعُ

كما نجد طباق الإيجاب بين : " صبور " و " جزوع " ، في قوله :

وَودَّوا لوْ أنَّ الأرْضَ يَنْشقَّ ظهْرُهَا بهمْ وصَبُورُ القوْم ثمَّ جَزُوعُ

وقد أضفى البديـع ـ على قلته ـ لطافة و سَعَة على معاني الشاعر وأسلوبه ، كما أدى دورا هاما في تقوية المعنى ، وإحداث نغم موسيقي متميز في الأسلوب .

كما استعمل الشاعر بحـــر الطويل الممتد التفعيـلات المناسب للأغـــراض الجادة .

وإذا كان أغلب الدارسين أو لنقل جلهم ، يجمعون على أن ابتداع الصـوّر المركبة خاصية من ابتداع أبي تمام ؛ فإنني أقول بما لا يدع أي مجال للشـكّ أن ابتداع الصور المركبة خاصية قديمة ــ وإن توسع فيها الطائي (أبو تمام) ــ وما أوْرَدْتُـهُ من صور مركبة في شعر ابن الزبعرى دليلٌ على ذلك ناهيك عـمّا في شعر هذا العصر من صور أخرى أغفلها الدارسون .

2 ــ قصيدة من شعر ضرار بن الخطاب الفهري :

أ ــ القصيدة : (ومَشفقةٍ)

قال ضرار بن الخطاب الفهري يوم الخندق[1] : [من الوافر]

1 ــ ومُشفِـقةٍ تظنّ بنَا الظنُونَا وقـدْ قدنَا عَرَنْدسَة طـحُونَا

(1) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 90 ـ 92 .

2 ــ كأنّ زُهاءَهَا أحُـدٌ إذا مَـا بَـدَتْ أرْكانُـهُ للنّاظِرينـا

3 ــ ترَى الابْدان فيهَا مُسبَغـاتٍ على الابْطال و اليَلبِ الحَصِينَا

4 ــ وجُرْدًا كالقِـداح مُسوّمـاتٍ نـؤُمّ بهَا الغـواةَ الخاطِيينَا

5 ــ كأنّهُم إذا صَالُـوا وصُلْنَا ببَاب الخنْدقيْـن مُصافـحُونَا

6 ــ أنَاسٌ لا نَرَى فيـهم رَشيـدًا وقـدْ قالُـوا ألسْنَا رَاشدِينَا ؟

7 ــ فأحْجَرَناهُم شَهْـرًا كَريـتا وكنّا فوقـهُم كالقاهِـريـنَا

8 ــ نُراوحُهُم و نَغدُو كلّ يـوْمٍ عليْهمْ في السِّـلاح مُدجّجينا

9 ــ بأيْدينَا صَوارمُ مُرْهفـاتٌ نَقدّ بهَا المَفارقَ و الشّـؤونَا

10 ـ كأنّ ومِيضَـهُنّ مُعَرّياتٍ إذا لاحَـتْ بأيْدي مُصْلتِينَا

11 ــ ومِيضُ عَقيـقةٍ لمَعت بليْلٍ ترَى فيـهَا العَقائِـقَ مَسْتبينَا

12 ـ فلولا خنْـدَقٌ كانُوا لديْهِ لدمّـرْنَا عليْـهمْ أجْمَعِـينَا

13 ــ ولكنْ حَـالَ دُونَهُم وَكانُوا بهِ مـنْ خوْفِـنَا مُتعوّذينَا

14 ــ فإنْ نرْحَـلْ فإنّا قد تركنَا لدَى أبْياتكُم سَعْـدًا رَهِينَا

15 ـ إذا جَنّ الظلامُ سَمِعْت نَوْحَى على سَعْـدٍ يُرجّعْن الحَنينَا

16 ــ وسَوف نزُورُكم عمّا قريبٍ كمَـا زُرْناكـمْ مُتوَازِرِينَا

17 ـ بجَمْعٍ منْ كنَانة غيْرَ عُزلٍ كأسْدِ الغاب قدْ حمَت العَرِينَا

ب ــ شرح الألفاظ[1] :

1 ـ مشفقة : خائفة ، العَرَندسَة : الناقة الشديدة القوية الطويلة القامة ، الظنون : الشكوك ، الطحُونا : التي تطحن كل ما مرت به .

2 ـ زهاءَها : تقدير عددها ، ومقاربة حجمها .

3 ــ الأبدان : الدروع ، مسبغات : كاملة ، اليلب : الترسة ، وقيل الدرق ، وقيل بيضات ودروع كانت تتخذ من جلود الإبل ، وتلبس على الرؤوس خاصة .

4 ــ الجرد : الخيل العتاق ، القداح : السهام ، المسومات : المُعْلمة ، نؤم : نقصد ، الغواة : يقصد المسلمين ويخص القرشيين الذين خرجوا على ملتـــهم القديمة .

7 ـ أحجرناهم : حاصرنهم ، كريّا : كاملا وتاما ، القاهر : الغالب .

9 ــ مرهفات : قاطعة ، نقدّ : نقطع ، المفارق : جمع مفرق ، وهو حيث يتفرق الشعر في أعلى الجبهة ، الشؤون : جمع شأن ، وهو مجمع العظام في أعلى الرأس .

10 ــ الوميض : اللمعان ، المُصلت : الذي جرد سيفه من غمده .

11 ــ العقيقة : ما يبقى في السحاب من شعاع البرق .

12 ــ دمرنا عليهم : أهلكناهم .

13 ـ المتعوذ : اللاجيء والمعتصم .

14 ــ سعد : هو سيد الأنصار سعد بن معاذ الذي أصيب بسهم يوم الخندق ، وقد مات منه شهيدا .

15 ــ النوحى : جماعة النساء اللائي ينحن على الميت ، يرجّعن : يردّدن .

(1) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 90 ـ 92 ؛ ابن هشام : السيرة النبوية : 183/3 ؛ الفيروزبادي : القاموس المحيط .

16 ــ متوازرين : أي متحدين مع حلفائهم .

17 ـ كنانة : كنانة قبيلة وقريش منها .

ج ــ التحليل والنقد :

1 ــ جو القصيدة :

ورد في ديوان ضرار بن الخطاب الفهــري ، انّـه قال هذه القصيـدة يوم الخندق[1] ، وهو ما جاء في السيرة كذلك[2] .

والقصيدة نونية من بحر الوافر ، متكونة من سبعة عشر بيتا .

2 ــ موضوعات القصيدة :

إذا تابعنا المعاني والأفكار التي قامت عليها القصيدة ، أمكننا تقسيمـها إلى سبعة أقسام :

1 ـ سير جيش المشركين إلى المعركـة ، والخـوف الذي انتاب المشركات من عاقبة هذه المعركة .

2 ـ وصف جيش المشركين ، والفخر بحسن بعدته وعتاده .

3 ـ رمي المسلمين بالغي والخروج عن الرشد والحق .

4 ـ تصوير حصار المشركين ليثرب يوم الخنـدق ، والفـخر بجيش المشركين وأسلحته المتعددة .

5 ـ وصف تحصن المسلمين وراء الخندق مما حال دونهم والهلاك .

6 ـ الفخر بإصابة سعد بن معاذ ، وإظهار الشماتة والتشفي بذلك .

(1) ضرار بن الخطاب : الديوان ، ص 90 .
(2) ابن هشام : السيرة النبوية : 183/3 .

7 ـ تهديد المسلمين بالغزو مرة أخرى .

وقد استهل الشاعر قصيدته بالدخول في موضوعه مباشرة دون أن يمهد له بمقدمـة طللية أو غزلية كما جرت العادة عند الشعراء الجاهليين ، وغيرهم من الشعراء حتى في عصره ، وكأن طبيعة الموقف الحربي وضَـيق الوقت فرَضَا عليه ذلك .

إذ نراه يتحدث عن سير المشركين إلى يثرب يوم الخندق ، واصفا خـوف نسائهم عليهم من عاقبة هذه الحرب ، فيقول :

ومُشفقةٍ تظنّ بنا الظنُونا وقد قدْنَا عَرندسَة طحُونَا

وبعد حديثـه عما اعترى المشركات من خـوف على مصير جيشـهـن ، وفرسانه ، نراه ينتقل بسرعة في عجز البيت إلى الحديث عن قوة جيش المشركين وعظمته ، وكأنه يريد أن يطمئن القرشيات عن حال الجيش وسادته ، فيؤكد انهم خرجـوا في جيـش جرّار لا سبـيل للمسلمـين إليه ، بل انـه سيطـحَنُ أي شيءٍ يمُرّ عليه .

ثم يصف جيش المشركـين وعظمته ، فيشبهه لكثرته وشدة تجمع جنوده ، بجبل أحد إذا ما بدت أطرافه للناظرين ، يقول :

كأنّ زُهَاءَهَا أحْدٌ إذا مَا بَدَتْ أرْكانهُ للنّاظرينَا

وبعد ذلك يتحدث عن جنود المشركين ، فيصف أسلحتهم ولباسهم ، وحسن استعدادهم للحرب ، فيقول :

ترَى الأبْدَانَ فيهَا مُسْبغاتٍ على الأبْطال واليَلب الحَصينَا

ويصور سيرهم في خيل عتاق ضامرة كأنها قداح مسومات ، يقصدون بها الصابئين من القرشيين في يثرب ، فيقول :

وجُردًا كالقِدَاح مُسَوَّمَاتٍ نَؤُمَّ بهَا الغُوَاة الخاطيينَا

ثم يصور التقاء الجيشان ، وتقاربهم بمحاذاة الخندق ، كأنهم يتصافحون ،

فيقول :

كأنّهُمْ إذا صَالوا وَصلْنَا ببَاب الخَنْدقيْن مُصَافحُونَا

وبعد ذلك نراه يرمي المسلمـين بالغَـيّ والخروج عن الهـدى والرشد ، ويستهزىء بما اتبعوه من دين الله ، فيقول :

أناسٌ لا نَرَى فيهمْ رَشِيدًا وقدْ قالوا : ألسْنَا رَاشدينَا ؟

وما يلبث الشاعر أن يصل إلى حصار يثرب ، فيفخر بحصارهم للمسلمين شهرا كاملا ، وإقامتهم في أعلى المدينة وحول ضفافها ، فيقول :

فأحْجَرْنَاهُمْ شَهْرًا كَريتا وكُنّا فوْقهُمْ كالقاهرينَا

ثم يزهو بغدوهم ورواحـــهم على أهـل يثرب ، وهـــم مدججين بمختلف الأسلحة ، فيقول :

نُراوحُهُمْ وَنَغدُو كلّ يَوْمٍ عليْهمْ في السِّلاح مُدَجَّجينَا

كما يصور هذه الأسلحة تصويرا دقيقا ومفصلا ، فيصف سيوفهم القاطعة ، التي سيشقون بها مفارق رؤوس المسلمين ، ومجامع العظام منها ، فيقول :

بأيْدينَا صَوارمُ مُرهَفاتٍ نَقدّ بهَا المَفارقَ والشّؤُونَا

ثم يشبه هذه السيوف المُصلْتة ، وهي تلوح بأيديهم فتضيء وتتلالأ في سماء المعركة ، يشبهها ببقايا لمعان البرق في السحاب ، وفي ليل مظلم ، فيقول :

كأنّ وميضهُن مَعرّياتٍ إذا لاحَتْ بأيْدي مُصلْتينَا
وَميضُ عَقيقةٍ لمَعَتْ بليْلٍ تَرَى فيهَا العَقائقَ مسْتبينَا

وبعد أن استقصى ابن الخطاب الوصف ، فـي تصويره لجيـش المشركين وعُدته وعَتاده ، وحُـسْن استعداده للحـرب ، وصـولا إلى حصار يثرب شهرا كاملا ، نجده يصل إلى الحديث عمّا حال دونهم وإهلاك المسلمين ، فيتحسّر على عدم التمكن منهم بعد تحصّنـهم وراء الخنـدق الذي حفروه ليعصمهم من بطـش

المشركين ، فيقول :

فلوْلا خَندَقٌ كانُوا لدَيْهِ لدَمّرْنَا عَلَيْهِمْ اَجْمَعينَا

ولكنه يعّزي نفسه بعد ذلك لأن المسلمين ما حفروا الخندق إلا ليعتصموا به خوفا من فرسان القرشيين وسيوفهم القاطعة ، فيقول :

ولكنْ حَالَ دُونَهُمْ وكانُوا بهِ مِنْ خوْفنَا مُتعَوّذينَا

ثم يعزي نفسه مرة اَخرى لانهم اَصابوا سيد الأنصار سعد بن معاذ ، ولأن رجعوا إلى ديارهم غير قاهرين للمسلمين ، فإنهم تركوا سعد بن معاذ قعيدا رهينَ جراحِهِ ، فيقول :

فإنْ نَرْحلْ فإنّا قدْ تركَنَا لدَى اَبْياتكمْ سَعْدًا رَهِينَا

ويظهر شماتته وتشفيه بإصابة سَعْد بن مُعَاذ ، فيصور نَوْحاهُ وهُنّ يُردّدنَ ما يثير الحنين الشوق إلى ماضيه في النفوس ، ويبعث الألم والحزن على حاضره في القلوب ، فيقول :

إذا جَنّ الظلامُ سَمعْتَ نَوْحَى على سَعْدٍ يُرَجّعْنَ الحَنينَا

ورغم اَن الشاعـر قد عزّى نفسـهُ مِرارًا لعدم تمكنهمْ من المسلمـين يوم الخـندق ، وخاصة عندما راح يتشفى بإصابة سَعد بن مُعاذ ، إلا اَنّ ذلك لم يشفي غليله ، بل زاده اَلما وحزنا وحسرة ، فراح يهدد المسلمين ويتوعدهم بغزوهم مرة اَخرى عما قريـب ، بجيش عظيم لقريش وحلفائها ، بل بجيش من كنانـة كلها ، مدججين بالأسلحة ، كأسد الغاب هبّتْ تحمي عرينها ، فيقول :

وسَوْفَ نَزُورُكمْ عَمّا قريبٍ كـمَا زُرْنَاكمْ مُتوَازريـنَا
بجَمْع مِنْ كنِانَة غير عُزلٍ كاَسْدِ الغَابِ قدْ حَمَت العَرينَا

3 ــ الأسلوب وسماته :

إن المتأمل للنص الذي بين اَيدينا يرى اَنه يعجّ بالألـفاظ الغريبة والصعبة ،

مثل : " عرندسة ، طحونا " ، في قوله :

ومُشفقةٍ تَظنّ بنَا الظنُونَا وقدْ قدْنا عَرَنْدسَة طحُونَا

ومثل : " الأبدان ، اليلب ، مسبغات " ، في قوله :

وترَى الأبْدَانَ فيهَا مُسْبغاتٍ على الأبْطالِ واليَلبَ الحَصينَا

ومثل : " أحجرناهم ، كريتا " ، في قوله :

فأحْجَرْناهُمْ شَهْرًا كَرِيتا وكنَّا فوْقهُمْ كالقاهرينَا

ومثل : "صوارم ، مرهفات ، المفارق ، الشؤونا " ، في قوله :

بأيْدينَا صوَارمُ مُرْهَفاتٍ نَقدّ بهَا المَفارقَ والشّؤُونَا

وكذلك " عقائق " ، في قوله :

وَميضُ عَقيقةٍ لمَعَتْ بليلٍ ترَى فيهَا العَقائقَ مُسْتبينَا

إلا أنّ القِسْـمَ الثاني من القصيدة جاء خلافا للقِسْـم الأول منها ؛ حيث كان أقرب إلى لغة الحاضرة السهلة السلسة ، البعيدة عن الغرابة والتعقيد ، مما أدى إلى وضوح المعنى بيسر وسهولة .

وتبدو الروح الجاهلية جليّـة في نص ابن الخطاب ، إذ نراه يفخر بجـيش قومه ويعتز بقوته وعظمته ، فيجعل منه أحد ، فيقول :

كأنّ زُهَاءَهَا أحْدٌ إذا مَا بَدتْ أرْكانهُ للنّاظِرينَا

كما نجده يفخر بحسن استعدادهم للحرب ، وما خرجوا به من سلاح ، وخيل متنوعة ، ليؤكد أنه لا سبيل للوقوف في وجههم ، في صياغة جاهلية واضحـة ، وخاصة عند ما راح يصف المسلمين بالغواة الخاطيينا ، يقول :

ترَى الأبْدانَ فيهَا مُسْبغَاتٍ على الأبْطالِ واليَلبَ الحَصينَا
وَجُرْدًا كالقِدَاح مُسَوّمَـــاتٍ نَؤُمّ بهَا الغواةَ الخاطيـــيـــنَا

و يرميهم بالغي مرة آخـرى ، ويستهزأ بما هم عليه من رشد وحق ، وكأنه يريد تأكيد مروقهم وضلالهم لإتباعهم لدين الله ، فيقول :

أنَاسٌ لا نَرَى فيهمْ رَشِيدا وقدْ قالوا : ألسْنا رَاشدينَا ؟

ونراه في آخر القصيدة يظفر تشفيه وشماتته بإصابة سعد بن معاذ ، فيقول :

فإنْ نَرْحَـلْ فإنّا قدْ تركنَا لدَى أبْياتكمْ سَعْدًا رَهينَا
إذا جَنّ الظلامُ رَأيتَ نَوْحَى على سَعْدٍ يُرَجِّعْنَ الحَنينَا

كما يهدد المسلمين ويتوعدهم ، بغارة جديدة تقودها كنانة وحلفاؤها من شتى القبائل كما فعلوا يوم الخندق ، فيقول :

وسَوْفَ نزُورُكمْ عَمّا قريبٍ كمَـا زُرْناكمْ مُتـوَازرينَا
بجمْع مِنْ كِنَانَة غيْرِ عُزلٍ كأسْدِ الغَاب قدْ حَمَت العَرينَا

ولم يكتف الشاعر بذلك بل حول فخـره عن لغة الفرد إلى لغة الجمـاعة ، جماعة القبيلة التي ملأت عليه كيانه ، وجعلته يتنازل عن الفخر الشخصي الذاتي ، ليعوضه بفـخر جماعي سادت فيه ظمائر الجماعة وألفاظها ، مثل : " تظن بنا ، قدنا ، نؤم بها ، صلنا ، كنا فوقهم ، مدججينا ، لدمرنا عليهم ، ... " ، وغيرها .

وقد سيطر على النص جو من الرّصَانة ، لا يعـودُ إلى طبيعـة الموضوع فحسب ، وإنما أيضا إلى متانـة الأسلوب وقـوة السبك وجمال العرض ؛ فنظرة فاحصة إلى الأبيات تؤكد أن ضرار بن الخطاب ينتقـي ألـفاظه انتقاءً رائـعًا ، ويصوغها في عبارات قويـة وموحيـة ، تفيض بالحيويـة والجرس الموسيقـي العذب ، مثل : " ومشفقة تظن بنا الظنونا ، قدنا عرندسة طحونا ، الأبدان فيـها مسبغات ، بأيدينا صوارم مرهفات ، المفارق والشؤونا ، سعدا رهينا ، يرجّعن الحنينا ، زرناكم متوازرينا ، ... " ، وغيرها .

كما استخدم مجموعـة من الالفاظ المناسبـة للوصف والفخر ، مثـل : " طحونا ، أركانـه ، الأبطـال ، الأبدان ، اليلـب ، الحصينا ، جردا ، القداح ، السلاح ، صوارم ، المفارق ، أسد ، ... " ، وغيرها .

وقد أجاد الشاعر في التنسيق بين جمله وتراكيبـه ، بالتنويـع في استخدام أدوات الربط ، كحرف الجر ، والعطف ، وغيرها ، مما خلق نوعا من الاتسـاق والانسجام بين عبارات وتراكيبه .

وعندما نتأمل النص ندرك أن الشاعر قد التزم فيه الأساليب الخبرية فقـط ، وهي الأساليب التي تلاءم مواضيع الفخر والوصف ، وهي مواضيع لا تحتاج إلى استعمال الأمر والنهي والاستفهام إلا نادرا .

وفي أساليبه الخبريـة ، التزم الشاعر أسلوب الشـرط في أربعة أبيات ، ليصور في كل منها قوة المشركين وحسن عدتهم وعتادهم ، وقد قرن الشرط في الأبيات : الثاني ، والخامس ، والعاشر ، بصور بيانية متميـزة ، في حين جاء الشرط في البيت الخامس عشر ليتشفى من خلاله بإصابة سعد بن معاذ ، ويصور النائحات عليه تصويرا دقيقا ، وكأن صورتهن ماثلة أمامه .

ولم يستخدم الأسلوب الإنشائي إلا في قوله :

اناسٌ لا نَرَى فيهمْ رَشيدا وقدْ قالوا : ألسْنا رَاشدينَا ؟

وهو أسلوب إنشائـي مـن نوع الاستفـهام ، غرضـه البلاغـي الاستهزاء والتحقير .

4 ــ الصور وأبعادها :

ينفرد نـص ابن الخطاب بكثـرة الصـور والأخيلة ، إذا ما قارناه بنـص ابن الزبعرى ، أو بنصيْ كعب والعباس بن مرداس ؛ فالشاعر لا يكاد يغادر بيتا إلا وهو موشّى بصورة من صـور التشبيـه أو الاستعارة ، مما يدل على خيال خصب غني بالمشاهد الحسية .

وقد استعان الشاعر بالبيان لتوضيح معانيه وتجميل أسلوبه ، ومن ذلك : تلك الصورة المركبة الرائعة في البيتين الأول والثاني ؛ حيث نجـده يشبه كتيبة جيش المشركين القوية المتراصّة بالناقة الشديدة الضخمـة التي تطحن كل ما مرت به ، فيذكر المشبـه به وهو العرندسـة " الناقـة " ، ويحذف المشبـه " الكتيبـة " ،

ويترك شيئا من لوازمه ليدل عليه " طحـونا " ، وذلك علـــى سبيل الاستعارة المكنيـــة ، يقول :

ومُشفقةٍ تظنّ بنَا الظنُونَا وقدْ قدنَا عَرنْدسَة طحُونَا

ثم نراه بعد ذلك في البيت الثاني ، يشبه الكتيبة نفسها لكثرة عددها وشـدة تجمعها بجبل أحد حين تبدو أطرافه للناظرين ، وذلك على سبيل التشبيه العادي ، فيقول :

كأنّ زُهاءَهَا أحْدٌ إذا مَا بدَتْ أرْكانهُ للنّاظرينَا

كما نجد التشبيه في البيت الرابع ، حين يشبه الخيل العتاق الضامرة بالسهام المُعْلمة ، وذلك على سبيل التشبيه العادي ، يقول :

وجُردًا كالقدَاح مُسَوّماتٍ نَؤُمّ بهَا الغواةَ الخاطيينَا

ونجده في البيت الخامس ، يصـور لقاء المشركين بالمسلمين على حواف الخندق ، تصويرا رائعا ؛ إذ يشبـه التقاء الجيشان وقربهم من بعضهم البعض بالمتصافحين ، فيقول :

كأنّهُمْ إذا صَالوا وصُلنَا ببَابِ الخنْدقيْنِ مُصَافحُونَا

ويشبه حصارهم ليثرب شهرا كاملا وإقامتهم في أعلاها ، بالجيش المنتصر الذي قهر أعداءه ، فيقول :

فأحْجَرْناهُمْ شَهْرًا كريتا وكنَا فوقهُمْ كالقاهرينَا

كما يشبـه وميـض سيوفـهم القاطعـة ، وهـي تلوح فـي أيديـهم ، ببقايا لمعان البرق في السحاب في ليـل مظلم ، وذلك على سبيل التشبيه العادي ، فيقول :

كأنّ وميضَهُنّ مُعَرّيَـــاتٍ إذا لاحَتْ بأيْدي مُصْلتينَا
وَميضُ عَقيقةٍ لمَعَتْ بليلٍ ترَى فيهَا العَقائقَ مُسْتبينَا

ونجده في آخر القصيدة يشبه جمع بني كنانة المدجج بالأسلحة ، الذي سيخرج لحرب المسلمـين ، بأسد الغاب التي هبت لتحمي مواضعها ومقر إقامتها ، وذلك على سبيل التشبيه العادي المكتمل الأركان ، يقول :

وسَوْفَ نزُورُكمْ عمّا قريبٍ كـمَا زُرْناكمْ مُتـوَازرينَا
بجَمْع مِنْ كنِانَة غَيْر عُزلٍ كأَسْدِ الغَابِ قدْ حَمَت العَرينَا

أما ألوان البديع فهي قليلة في النص ، وما ورد منها ورد عفو الخاطر إلا أنه جاء في موضعه اللائق لتحلية المعنى وتأكيده ، ومن ذلك : السجع في البيت الأول بين : " الظنونا " و " طحونا " ، وبين : " مشفقة " و " عرندسة " ، يقول :

ومُشفقةٍ تظنّ بنَا الظنُونَا وقد قدْنا عَرَنْدسَة طحُونَا

والطباق في البيت الثامن بين : " نراوح " و " نغدو " ، وهو طباق إيجاب ، حيث يقول :

نرَاوحُهُمْ ونَغدُو كلّ يَوْم عليْهم في السِّلاح مُدجّجينَا

كما نجد الترادف في المعنى بين : " وميض " و " لمعت " ، في قوله :

وَميضُ عَقيقةٍ لمَعتْ بليلٍ تَرى فيهَا العَقائقَ مُسْتبينَا

وغيرها من الصـور البيانيـة والمحسنات البديعيـة التـي اثرت النص ، وأضفت عليه حلة جمالية رائعـة ، كما ساهمت في توضيح المعنـى وتجمـيل الأسلوب .

والأكيد أن هذه القصيدة قد قدمت لنا صورة متميزة عن فترة صدر الإسلام ، وخاصة إذا تعلق الأمر بالمعسكر المناهض للدعوة الإسلامية ، والذي شهد إهمال الرواية لشعرهم ، كما شهد تجاهل دوره في إثراء الساحة الأدبية خلال هذه الفترة المتميزة .

وتعد هذه القصائد الأربعة ككل ، من أهم القصائد الشعرية في هذه الفترة ، في تفردها وتنوعها ، واختلاف أسلوبها وصياغتها الفنية ، وإن اشتركت جميعها

في الموضوع (الحرب) . هذا من جهة ، كما أنها لا تختلف عن قصائد العصر الجاهلي في جودتها ، وقيمتها الفنية ، من جهة أخرى . وهذا ما ينقض فرضية ضعف الشعر في هذه المرحلة ، أضف إلى ذلك أنها يمكن أن تعـد ــ حسب رأيي ــ نموذجا متميزا من نماذج الإبداع الشعري في فترة حاسمة ، كانت بحاجة ماسة إلى الإنفراد ببعض السمات الخاصـة التي فرضتها الحياة الجديدة في ظل الإسلام .

خاتمـة :

لقد تناولت في هذا البحث ، شعر الدعوة والمعارضة في صدر الإسلام من نواحيه المختلفة ، محاولا أن ألمس أثر الدعوة الإسلاميـة في أشعار هذه الفترة ، في موضوعاته ، ولغته ومعانيه ، وأسلوبه .

فكان لابد أن أتبيّن أثر الشعر في الحياة العربية ، وأتحدث عن مكانة الشاعر في ظل العصرين : الجاهلي والإسلامي ، في المدخل .

وكان لظهور الإسلام أثره في تفتح قلوب العرب ويقظة أبصارهم ، فلم يجدوا بُدّا من الانجذاب نحوه ، مسلمـين مذعنين ، أو معارضين منكرين ، وكان الشعر يرصد هذا التأثير .

ولهذا كان شعر المسلمين ــ أو ما اصطلحت عليه بشعر الدعوة ــ قد ورد في قسمين متميزين : أولهما شعر المدينة ، وتحديدا لدى حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك ، وعبد الله بن رواحة ، وثانيهما شعر المهاجرين ، و أبرزهم عبـد الله ابن الحارث السّهمي ، وعبد الله بن جحش، وصفية بنت عبد المطلب ، وغيرهم ، وقد سجل شعرهم بواكر الإسـلام ، أي من الهجرة إلى الحبشة أولا ، ثم المدينة ، ويلاحظ عن شعرهم ان اغلبه مقطعات وابيات لم تبلغ القصيدة، كما انه لا يضاهي شعر المدينـة في جودته ، لأن شعراء المدينـة من الشعراء الفحول المجيدين في الجاهلية .

ومن حيث الأغراض فقد هجر شعراء الدعوة الأغراض التي تتنافى والدين وتعاليمه ، كالغزل الفاحش ، والفخر الكاذب ، والهجاء المقذع ، واشتقوا لأنفسهم موضوعات تتلاءم وطبيعة الفكر والحياة الجديدين ، كالوعظ والإرشاد ، والهجرة في سبيل الله ، والثبات على العقيـدة ، وغيرها . وقد عالجت ذلك في الفصـل الأول .

أما ما استمر من موضوعات عُرفت من قبل ، كالمدح ، والفخر ، والهجاء ، فقد أصبح تناولها من قبل شعراء الدعوة تناولا يحمل طوابـع لم تكن من قبل ، كالفخر الذي أصبح ينبعث من العقيدة ، لا من الأثرة ، كما اقترنت الصـورة في الرثاء بسيرة المرثي الإسلامية ، وقربه من النبي (ص) ، وادائه واجب الشهادة في سبيل الله .

أما فن المعارضات الشعرية فلا يجب أن نغفلـه ، لأن الصراع بين قـوى الإيمان في المدينـة ، وقوى الكفر في مكة ، كان له الأثر الفعّـال في ازدهار الشعر ، وتطـور فن النقائض الحربية ، وفن الرثاء الذي تثيـره الحرب ، بما يسقـط في أتونـها من صرعى ، ثم فن الحماسة الذي ينظمـه كل من الغالبين والمغلوبين ، حيث يُعدّون العدّة دائما لجولة جديـدة ، فيكون الشعـر ممهدا لها ، ومثيـرا لنارها، ومخلدا لأحداثها ، ومعلنا مفاخر فرسانها من الأحياء والأموات .

ولدى المشركين ، شعـر يجيبه و يناهضه ويعاديه ، ولا سيما في مكـة ، والطائف، والقرى اليهودية . وإذا كان أغلب الباحثين يذهب إلى أن مكة لم تعرف بشعر في جاهليتها ؛ فإنني أرى انها كانت تزخر بعدد غير قليل من الشعـراء ، وإن لم يبلغوا درجة الفحول ، ولا ادل على ذلك ممّا تناقلته كتب الادب و التاريخ والتراجـم والسير من قصائد ومقطعات لشعراء قريش غير كافية ، لا تقف أمام ثراء القبائل العربية .

ولمّا جـاء الإسـلام عادت العصبية القبلية ، والحمية الجاهلية لدى شعـراء لم يعرفوا بالشعـر من قبـل ، كأبـي سفيان بن الحارث ، الذي شارك عبـد الله ابن الزبعرى ، وهبيرة بن أبي وهب ، وضرار بن الخطاب ، وهند بنت عتبـة ، وغيرهم ، عداوة الله ورسوله ، والرد على شعراء المدينـة ، والوقوف في وجه الدعوة الإسلامية المظفرة .

وإلى جانب شعراء المعارضة في مكـة ، وقف بعض شعـراء الطائـف ، يناهضون الإسـلام ، ويثيرون قومهـم ضد الرسـول (ص) وصحابته ، وكان أشهرهم، أمية بن أبي الصلت ، وأبي محجن الثقفي ، وكنانة بن عبد ياليل ، وكان أمية أبرز هؤلاء الثلاثة ، وأشدهم عداوة لرسول الله (ص) ، وحسدا له ، وحقدا عليه .

كما سلك اليهـود مسلك شعراء الطائف في مناصرة المشركين ، ومناهضة الإسـلام والمسلمـين ، وبرز فيهم كعب بن الأشرف ، وسماك اليهودي ، وجبل ابن جوال الثعلبي .

ومن يستعرض موضوعات شعر المعارضة يجدها لا تخرج في أغلبها عمّا كان سائدا ومتداولا في العصر الجاهلـي ؛ إذ بقيت هذه الموضوعات تفوز بحظ

وافر من اهتمام الشعراء الذين ظلوا يتناولونها بالأسلوب التقليـدي المحافظ على المعاني المأثورة ، والمباني المعروفة ، وشكل القصيدة ، وتعدد موضوعاتها .

وكان أبرز هذه الموضوعات ، التحريض على قتال المسلمـين ، وهجائهم ، والفخر بأحسابهم وأنسابهم ، والمدح ، والرثاء ، والاعتذار ، وغيرها .

وقد حاولت قدر الإمكان أن أبرز أهم شعراء وشاعرات الدعوة والمعارضة ، خاصة من عرف منهم بكثرة شعـره وجودته ، دون أن أغفـل بعض الشعـراء المقلين أو المغمورين الذيـن كان لشعرهم أثره البارز في هذا العصر . وكان هذا في الفصل الأول .

ولعل أهم ما لفت انتباهي أثناء عرضي لشعـر الدعوة والمعارضة هو الشك في نسبة بعض الاشعار من جهـة ، والضياع والإهمال الذي تعرضت له بدافـع الدين أو العصبية من جهة أخرى .

أما الشك في شعر هذا العصر فقد فطـن إليه نقادنا القدامى ، كابن هشـام المعافري ، وابن سلام الجمحي ، وغيرهم ؛ و ابن هشـام مثلا : كثيرا ما يعلق على بعض الأبيات أو القصائد ، فيقول " وأغلب أهل العلم بالشعر ينكرها لفلان" ، وهذا من بوادر النقد لشعر هذه المرحلة .

أما ضياع الشعـر وطمسـه وعدم روايته ، فلا شـك أن ذلك يعـود إلى التحرج من روايته من جهة ، ونهي الرسول (ص) عن رواية بعض الشعـر من جهة أخرى ، أضف إلى ذلك ، وقـوف الخلـفاء الراشدين موقفا حازما إزاء هذا الشعـر، لأن روايته تثير الحزازة في النفـوس ، بإثارة ما كمن من أحقـاد وثأر لقتلى الطرفين ، وتداول أي شعـر من هذا القبيل سيؤدي حتما إلى خلافات عفا عليها الإسلام . وقد تناولت هذه القضية النقدية في الفصل الأول .

وإلى هنا أكون قد انتهيت مـن رصد شعر الدعوة والمعارضة في مضامينه وأغراضه ، ليبدأ جانب آخر يتعلق بأثر الدعوة الإسلامية في شعر صدر الإسلام .

لقد أثرت الدعوة الإسلامية في شعر المسلمين ، في لغته و ألفاظه وتراكيبه ومعانيـه ، وإن عرف شعرهم تفاوتا في درجـة التأثر ؛ فشعـر الوافديـن ، كالعباس بن مرداس ، وكعب بن زهير ، وأخيه بُجير ، والنابغة الجعدي ، أكثر

الشعر تأثرا بالدين الإسلامي ، واكثر صدقا ووعيا في تمثـل قيمه ومبادئه ، ولو قيض لهؤلاء الشعـراء أن يسلموا في وقــت مبكر ، أو يتصلوا بالمسلميـن في حاضرتهم ، لكان الشعر الإسلامي أغزر واشد خصوبة مما هو عليه ، ولا سيما وأن أكثر هؤلاء الشعراء من الفحول البارزين في الجاهلية .

كما أن شعر المهاجرين لم يكن أقل تمثلا لمبادىء الديـن الحنيف ، وقيمـه من شعر الوافدين ، خاصّة وأنه جاء خاليا من ألـفاظ الجاهلية وأسلوبها ، وشبيها بأسلوب القرآن الكريم ، في ألفاظه وتعابيره ومعانيه ، إذا ما استثنينا شعـر النساء مثل : صفية بنت عبد المطلب ، وهند بنت أثاثة ، إذ كان شعرهن في مجمله شعر ندب وعويل .

أما شعر الأنصار ، من خلال أعلامه كحسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحة، فإنهم لم يوفقوا التوفيق الكافي في تمثل الإسلام تمثلا حقيقيا، وواعيا ، وإن كان شعرهم على أية حال يمثل صورة عن ذلك العصـر الذي لم يستطع التخلص من عادات الجاهليـة ، وتقاليدها تخلصا كافيا ، مع تفاوت في الجودة والموضوع .

وإن كان بعض الدارسين يرون أن الشعر الإسلامي لديهم لم يوفق التوفيق الكامل في إبراز وجه الدعوة الإسلامية ، وتعاليم الدين الحنيف ، فإنني أرى أن أيّ تمثل للدين الإسلامي في هذا الشعر ــ وإن كان ضئيلا ــ يعد مكسبا وانتصارا هاما للدعوة الإسلامية ولشعـراء المسلمين ، كيف لا ونحن نعلم أن التخلص من آثار القديم لا يتأتى على الإطلاق في فتـرة زمنيـة محدودة وخاصة حين يتصل الأمر بمقومات نفسية بعيدة الغور في نفوس أصحابها ، أو بقيم فنية أصبحت تقاليد موروثة ،لا يمكن الخلاص منها فجأة أو الاهتداء إلى غيرها من قيم جديدة . وهذا ما عالجته في الفصل الثاني .

أما ما صدر عن شعراء المشركين من شعـر فهو في حقيقته امتداد للشعـر الجاهلي ، في صوره ومعانيه وروحه وكل خصائصه ، لأن هؤلاء الشعراء كانوا لا يزالون على الجاهليــة في تفكيرهم ونزعاتهم وتقاليدهم . ولا يمكن القـول بأن شعراء مكة أو الطائف أو حتى اليهود ، تأثروا في شعـرهم بالإسـلام لأنهم لم يؤمنوا بهذا الدين حتى يتأثروا بروحه وتعاليمه .

وإن كان غياب اي اثر للإسلام او للدين عامة في شعر مكة طبيعي ، فإنه كان من المؤمل أن نجد في شعـر الطائف أو شعر اليهود خاصة ، وهم أصحاب دين وكتاب ، ذكر للدين ، او محاججة للرسول (ص) وصحابته بأمور الدين ، إلا أن شيئا من ذلك لم يكن ، بل الذي كان ، أن شعرهم وشعر مكة سار على النهـج الجاهلي ، ولولا ما فيه من ذكر للمعارك ، أو رثاء للقتلى ، وتسميتهم بأسمائهم ، لصلح أن تنسب أشعارهم إلى يوم من أيام العرب في الجاهلية .

أما عن بناء القصيدة وشكل الأشعار، فيلاحظ على شعر الدعوة والمعارضة عامة ، أن أغلبه جاء في مقطوعات قصيـرة وأبياتها معدودة ، وغالبا لا تحتوي إلا على غرض واحد ، كما لم تتـعدد الموضوعات في القصيـدة او المقطـوعة الواحدة كما هو الشأن في قصائد العصر الجاهلي،كما أن شعر الدعوة والمعارضة عامّة متقطع محدود يمثل شعر مرحلة لابد منها؛ إذ أنه ليس امتدادا للشعر الجاهلي من جهة ، وليس شعرا إسلامـيا من جهـة اخرى ، وهذا ما دعاني إلى القـول بأنه حلقـة الوصـل الضرورية بيـن العصرين ؛ فإذا كان عصر صدر الإسلام هو حلقة الوصل بين العصرين الجاهلي والأمـوي ، فكذلك شعر هذه المرحلة ؛ لذا وجب العنايـــة بدراسته وتحليله ، وحفـظ ما تبقى من الإهمال الضياع ، لكي نتمكن من رصد هذه الظواهر الموضوعية والفنية .

وتناولت في الفصل الثالث نصوصا تطبيقية لأربعة قصائد من شعر الدعوة والمعارضة ، اكدت الي مدى تأثر شعراء المسلمين بالدعوة الإسلامية ، و بمبادىء الدين الحنيف ، وإن اختلفوا في درجة التأثر، إذ أننا نجد العباس بن مرداس يزاوج في قصيدته كما في شعـره ، بين أسلـوب الجاهلية ومعانيه ، وأسلوب الإسـلام وقيمه ، في حين نجد كعب بن مالك يتمثل الإسـلام تمثلا حقيقيا واعـيا وعميقا ، في كل أجزاء قصيدته ، أسلوبا وألفاظا ومعاني .

وعلى النقيض من ذلك ، فقد تبينت في قصيدتـي : عبد الله بن الزبعرى ، وضرار بن الخطاب الفهـري ، غياب أي أثـر للديـن فيهما ، وإن تعلق الأمر بالنصرانيـة أو اليهـودية ، أو غيرهما مـن الأديان ، من جهـة ، كما جاءت قصيدتاهما منظومتان على منوال الجاهلييـن شكـلا ومضمونا ، وإن لاحظـت استغناء ضرار عن اي مقدمة لموضوعه ، واغلب الظن ان ذلك يعود إلى طبيعة الموقف الذي فرض عليه الدخول في موضوعه المنشود مباشرة ، كما هو حال

أغلـب قصائد هذه الفتــرة التي قيــلت أثناء المعارك و الحروب . وهكذا تباينت الأشعار بين الموقفين في الموضوعات وبناء القصائد والأسلوب .

وختاما ، أقول لقد بذلت في البحث ما استطعت، وأرجو أن أكون قد وفقت ، فإن لم يكن هذا فحسبي أني اجتهدت غاية الجهد في الجمـع والبحـث والتحليـل والموازنـة والاستنتاج ، يحذوني الأمـل في التوفيق بين أيدي أساتذتي الكرام ، أعضاء لجنة المناقشة الموقرين ، سائلا المولى تعالى التوفيق والسداد .

Résumé de Thèse :

On a étendis dans cette Thèse le terme de " la Poésie dans la période de début islam entre la prédication et la contradiction " (étude comparative) , dans ses des devers cotés , essayant de trouver l'effet et les traces de la prédication islamique , et l'effet et les traces préislamique sur la poésie de cette période , dans ses thèmes , sa langue , sa sémantique et son style .

Notre but principal de cette étude , c'est d'avoir une aperçu sur la poésie de la période de début islam , de point du vue prédication et contradiction , une étude objective descriptive concernant son contenu et ses types , et la comparaissaient entre elles , ainsi l'effet de l'islam sur cette poésie .

Pour atteindre ces buts , on a partagé notre étude a un avant-propos et trois chapitres commençant par une introduction et on a terminé par une conclusion .

On a consacré l'avant-propos pour parler sur la poésie dans la période préislamique , et le statut du poète dans ces deux périodes .

Le premier chapitre est consacré pour parler sur la poésie de la prédication et celle de la contradiction de point de vue types , thématique et ses principaux célèbres .

Le deuxième chapitre étude de l'effet de la prédication islamique dans la poésie de la période de début islam , et ses caractéristiques . On était obligé d'étudier l'effet de la prédication islamique sur la poésie des musulmans d'une part et l'effet de la période préislamique su la poésie des mécréants

d'autre part , pour terminer avec une conclusion des caractéristiques générales de la poésie prédicatoire et contradictoire .

Le troisième chapitre est consacré pour l'étude et l'analyse de quatre poèmes de la poésie de la prédication et celle de la contradiction pour confirmer ce qu'on a dit concernant l'influence de la prédication sur la poésie des musulmans ainsi que l'influence de la période préislamique sur la poésie des mécréants .

En fin , on a terminer par une conclusion dans laquelle on a résumé les résultats de cette étude .

قائمة المصادر والمراجع :

ــ القــرآن الكريم (**برواية حفص عن عاصم**) ، مطبعــة الشربجي ، دمشــق ، سوريا ، ط1 : 1416 هـ .

1 ــ إبتسام مرهون الصفار : الأمالــي في الأدب الإسلامــي ، دار المناهــج ، عَمّان ، الأردن ، 2005 م .

2 ــ إبراهيم عوضين : الادب العربي بين البادية والحضر ، مطبعــة السعــادة ، مصر ، 1402 هـ / 1982 م .

3 ــ إبراهيــم النعانعــة : شعر بني كنانة في الجاهلية وصدر الإســلام ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط1 : 1428 هـ / 2007 م .

4 ــ ابن الأثير (ت 630 هـ) : الكامل في التاريــخ ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط6 : 1415 هـ / 1995 م .

5 ــ إحسان سركيس : الظاهرة الادبية في صدر الإســلام والدولة الاموية ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1981 م .

6 ــ إحسان النص : حسان بن ثابت حياته وشعــره ، دار الفكــر ، دمشــق ، سوريا، ط3 : 1405 هـ / 1985 م .

7 ــ أحمد حسن الزيات : تاريــخ الأدب العربــي ، دار المعرفــة ، بيروت ، لبنان ، ط8 : 1425 هـ / 2004 م .

8 ــ أمية بن أبي الصلت : الديــوان ، جمع وتحقيق ودراســة : عبد الحفيــظ السطلي ، المطبعة التعاونية ، دمشق ، سوريا ، الطبعة الثالثة .

9 ــ إيليا الحاوي : فن الهجــاء وتطوره عند العرب ، دار الثقــافة ، بيروت ، لبنان .

10 ــ البخاري : صحيح البخاري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان .
11 ــ بطرس البستاني : أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان .

12 ــ بهجت عبد الغفور الحديثي : نصوص من الشعر الجاهلي والإسلامي والأموي ــ دراسة وتحليل ــ ، المكتب الجامعي الحديث ، الإسكندرية ، مصر ، 2008 م .

13 ــ الجاحظ (أبو عثمان عمرو بن بحر) : البيان والتبيين ، شرح وتحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان .

14 ــ جرجي زيدان : تاريخ آداب اللغة العربية ، مراجعة : يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1426 هـ / 2005 م .

15 ــ جواد علي : المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : منشورات جامعة بغداد ، ط1 : 1413 هـ / 1993 م .

16 ــ جورج غريب : شاعرات العرب في الجاهلية ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1984 م .

17 ــ ابن حجر العسقلاني (ت 852 هـ) : الإصابة في تمييز الصحابة ، حقق أصوله وضبط أعلامه ، ووضع فهارسه : علي محمد البجاوي ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ / 1992 م .

18 ــ حسان بن ثابت الأنصاري : الديوان ، شرح : يوسف عيد ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ / 1992 م .

19 ــ حسين الحاج حسن : حضارة العرب في صدر الإسلام ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ / 1992 م .

ــ النقد الأدبي في آثار أعلامه ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر

والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1416 هـ /1996 م .

21 ــ خليل شرف الدين : حسان بن ثابت الأنصاري ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ /1992 م .

22 ــ رحاب عكاوي : حسان بن ثابت شاعر النبوة والإسلام ، دار الفكر العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1416 هـ / 1996 م .

23 ــ ابن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) : العمدة في محاسن الشعر وادابه ونقده ، حققه وفصله ، وعلق على حواشيه : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع ، القاهرة ، مصر ، ط1 : 1416 هـ / 2006 م .

24 ــ زكريا عبد الرحمن صيام : دراسات في أدب العصر الجاهلي وصدر الإسلام ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ابن عكنون ، الجزائر ، 1984 م .

25 ــ زكي مبارك : المدائح النبوية في الأدب العربي ، دار الشعب ، القاهرة ، مصر ، 1391 هـ / 1971 م .

26 ــ الزمخشري : الكشاف ، تحقيق : محمد مرسي عامر ، دار المصحف ، القاهرة ، مصر ، ط2 : 1977 م .

27 ــ الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد) : شرح المعلقات العشر ، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1427 هـ / 2007 م .

28 ــ سالم المعوش : القواعد المعرفية الإسلامية في أدب صدر الإسلام ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1422 هـ / 2001 م .

29 ــ سامي مكي العاني : الإسلام والشعر ، عالم المعرفة ، الكويت ، ع : 66 ، 1983 م .

30 ــ سعد بوفلاقة : شعر الصحابة (دراسة موضوعية فنية) ، مؤسسة بونة للبحوث والدراسات ، عنابة ، الجزائر ، ط1 : 1428 هـ / 2007 م .

31 ــ ابن ســـلام الجمحي (ت 231 هـ) : طبقات فحـــول الشعـــراء ، قرأه وشرحه : أبو فهر محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، العربية السعودية ، 1980 م .

32 ــ السيد محمد ديب : شعراء الطائف في الجاهلية والإســـلام ، دار الطباعـــة المحمدية ، القاهرة ، مصر ، ط1 : 1410 هـ / 1989 م .

33 ــ شارل بلا : تاريـــخ اللغة والآداب العربيـــة ، تعريب : رفيق ابن وناس ، صالح جيزم ، والطيب العشّاش ، دار الغـــرب الإســـلامـــي ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1997 م .

34 ــ شكري فيصل : تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرىء القيس إلى ابن أبي ربيعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط7 : 1986 م .

35 ــ شوقـــي ضيـــف : تاريـــخ الادب العربـــي (العصر الإسلامـــي) ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة السادسة .

ــ التطـــور والتجـــديـــد في الشعـــر الأمـــوي ، دار المعارف ، مصـــــر ، ط7 : 1987 م .

37 ــ شوقي عبد الحليم حمادة : الأدب العربـــي بين الصدق الفني والأخلاقي في صدر الإسلام ، مكتبة النهضة ، مصر .

38 ــ صلاح الدين الهادي : الأدب في عصر النبوة والراشدين ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر ، ط3 : 1407 هـ / 1987 م .

39 ــ ضرار بن الخطاب الفهري : الديوان ، جمـــع وتحقيـــق : فاروق اسليم بن أحمد ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1416 هـ / 1996 م .

40 ــ الطبري (ابن جرير) : تاريـــخ الطبري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 1993 م .

41 ــ طه احمد إبراهيم : تاريـــخ النقد الادبي عند العرب من الجاهلية إلى نهاية

القرن الرابع هجري .

42 ــ عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطىء) : قيــم جديدة للأدب العربـــي القديم والمعاصر ، دار المعارف ، مصر ، ط2 : 1970 م .

43 ــ العباس بن مرداس السلمي : الديوان ، جمع وتحقيــق : يحي الجبوري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ / 1991 م .

44 ــ عبد الباسط بدر : مقدمـــة لنظرية الأدب الإســـلامي ، دار المنارة للنشـــر والتوزيع ، جدة ، السعودية ، ط1 : 1405 هـ / 1985 م .

45 ـ عبد البديع صقر : شاعرات العرب ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، سوريا ، ط1 : 1387 هـ / 1967 م .

46 ــ ابن عبد البر(أبو عمرو يوسف بن عبد بن محمد) : الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيــق : علي محمد البجـــاوي ، دار الجيـــل ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1412 هـ / 1992 م .

47 ــ ابن عبد ربه الأندلسي (ت 328 هـ): العقد الفريد ، تحقيق : عبد المجيد ترحيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1404 هـ / 1983 م .

48 ــ عبد الرحمن خليل إبراهيم : دور الشعـــر في معركة الدعوة الإسلامية أيام الرسول (ص) ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، الطبعة الثانية .

49 ــ عبد العزيز عتيق : تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان .

ــ في الشعـــر الإسلامـــي والامـــوي ، دار النهضـــة ، بيروت ، لبنـــان ، ط1 : 2001 م .

51 ــ عبد عون الروضان : موسوعة شعـــراء صدر الإسلام والعصر الاموي ، دار أسامة للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1 : 2001 م .

52 ــ عبد القادر القط : في الأدب الإســـلامي والأموي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1407 هـ / 1987 م .

53 ــ عبد الله التطاوي : حركة الشعــر في ظـــلال المؤثرات الإســـلامية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، 1998 م .

54 ــ عبد الله بن الزبعرى : الديــوان ، تحقيــق : يحي الجبوري ، مؤسســة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 : 1401 هـ / 1981 م .

55 ــ عصام قصبجي : أصول النقد العربي القديــم ، منشورات جامعــة حلب ، سوريا ، 1411 هـ / 1991 م .

56 ــ عفت وصال حمزة : شعر النساء زمن الرســول (ص) ، دار ابن حزم ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1422 هـ / 2001 م .

57 ــ علي أحمد علام : شعراء فرسان تحت راية الإســـلام (تاريــخ وظواهر فنية) ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، مصر ، ط1 : 2001 م .

58 ــ علي بن أبي طالب : الديــوان ، اعتنى به : عبد الرحمـــن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1428 هـ / 2007 م .

59 ــ عمر فروخ : تاريــخ الادب العربي (الادب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) ، دار العلم للملايين ، بيروت ، لبنان ، ط4 : 1981 م .

60 ــ غازي طليمات ، عرفان الأشقر : الشعــر في عصر النبــوة والخلافــة الراشدة ، دار الفكر ، دمشق ، سوريا ، ط1 : 1428 هـ / 2007 م .

61 ــ فايز ترحيني : الإسلام والشعــر ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1990 م .

62 ــ أبو الفرج الأصبهاني : الأغاني ، تقديم : محمد حسين الأعرجي ،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ، الجزائر ، 1992 م .

63 ــ فؤاد سزكين : تاريخ التراث العربي (الشعر إلى حوالي 430 هـ) ، نقله إلى العربية : محمود فهمي حجـازي ، راجع الترجمة : عرفــة مصطفى ، سعيــد عبد الرحيم ، دار الثقافة والنشـر ، جامعة الإمــام محمد بن سعود الإســلامية ، العربية السعودية ، 1411 هـ / 1991 م .

64 ــ فوزي محمد أمين : في شعــر صدر الإســلام والعصر الأمــوي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، 2000 م .

65 ــ الفيروزبادي (أبو الطيب) : القامــوس المحيــط ، مؤسسة الرسالــة ، بيروت ، لبنان ، 1993 م .

66 ــ ابن قتيبة الدينوري (عبد الله بن مسلم) : الشعر والشعراء ، حققه وضبط نصه ، ووضع حواشيه : مفيد قميحة، محمد أمين الضناوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط2 : 1426 هـ / 2005 م .

67 ــ القرشي (أبو زيد بن محمد بن أبي الخطاب) : جمهرة أشعــار العرب ، شرحــه وضبطه وقدم له : علي فاعور ، دار الكتب العلميــة ، بيروت ، لبنان ، ط 3 : 1424 هـ / 2003 م .

68 ــ قصي الحسين : النقد الأدبــي عند العرب واليونان (معالمه وأعلامه) ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 : 2003 م .

69 ــ ابن قيم الجوزية : زاد المعاد ، مؤسســة الرسالــة ، بيروت ، لبنان .

70 ــ كامل فرحان صالح : الشعــر والدين (فاعلية الرمز الديني المقدس في الشعر العربي) ، دار الحداثة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 2005 م .

71 ــ ابن كثير الدمشقي : البداية والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ، لبنان .

ــ تفسير ابن كثير ، دار الأندلس ، ط3 : 1981 م .

ــ السيرة النبوية ، تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، لبنان ، 1964 م .

74 ــ كعب بن زهير : الديــوان ، صنعة : أبي سعيــد الحســن بن الحسيــن العسكري ، قدم له ووضــع هوامشه وفهارسه : حنّا نصر الحتــّي ، دار الكتاب العربــي ، بيروت ، لبنان ، 1424 هـ / 2004 م .

75 ــ كعب بن مالك الأنصاري (ت 50 هـ) : الديوان ، تحقيق : عبد الرحمن المصطاوي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1428 هـ / 2007 م .

76 ــ محمد أحمد درنيقة : معجم أعلام شعراء المدح النبوي ، تقديــم وضبــط الأشعار : ياسين الأيوبي ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1996 م.

77 ــ محمد التونجي : شاعرات في عصر النبــوة ، دار المعرفــة ، بيروت ، لبنان ، ط1 : 1423 هـ / 2002 م .

78 ــ محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ) : كتاب الطبقات الكبير ، تحقيــق : علــي محمد عمــر ، مكتبــة الخانجــي ، القاهــرة ، مصــر ، ط1 : 1421 هـ / 2001 م .

79 ــ محمد عبد العزيز الكفراوي : تاريخ الشعر العربي في صدر الإسلام وبني أمية ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، مصر .

80 ــ محمد عبد المنعم خفاجي ، علي صبــح ، عبــد العزيــز شرف : الأدب الإسلامــي (المفهــوم والقضــية) ، دار الجيــل ، بيــروت ، لبنــان ، ط1 : 1412 هـ / 1992 م .

ــ الحياة الأدبيــة في عصر صدر الإســلام ، دار الكتاب اللبنانــي ؛ مكتبة المدرسة ، بيروت ، لبنان ، ط3 : 1404 هـ / 1984 م .

82 ــ محمد محمد حسين : الهجــاء و الهجاؤون في الجاهليــة ، دار النهضــة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط3 : 1389 هـ / 1970 م .

83 ــ محمد العيد الخطراوي : شعر الحرب في الجاهلية عند الأوس والخزرج ، مؤسسة علوم القرآن ؛ دار الفكر، بيروت ؛ دمشق، ط1 :1400 هـ / 1980 م .

84 ــ محمد مصطفى هدارة : الشعر في صدر الإســـلام والعصر الأموي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، 1995 م .

85 ــ مصطفى صادق الرافعي : تاريـــخ آداب العرب ، دار الكتاب العربـــي ، بيروت ، لبنان ، ط5 : 1420 هـ / 1999 م .

86 ــ منذر معاليقي : دراسات نقديـــة في الأدب الإســـلامي ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، طرابلس ، لبنان ، ط1 : 2004 م .

87 ــ النبوي عبد الواحد شعلان : الحياة الأدبية في عصر النبوة والخلافة ، دار قباء للنشر والتوزيع ، عبده غريب ، القاهرة ، مصر ، ط2 : 1998 م .

88 ــ هرسك مفتي سابقـــي وحلا دار الفنون ادبيات عربيـــه معلمى موسارلى ، حابى زاده على فهمى : حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة ، در سعادت (روشن مطبعه سى) ، إيران ، 1324هـ .

89 ــ ابن هشام المعافري (أبو محمد عبد الملك) : السيـــرة النبوية ، ضبط وتعليق : أحمد عبد الرزاق الخطيـــب ، أشرف عليها وخرج أحاديثها : مكتب التحقيـــق بدار الإمـــام مالـــك ، (دار الإمـــام مالـــك) ، الجـــزائر ، ط1 : 1429 هـ / 2008 م .

90 ــ ياقوت الحموي : معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، 1986 م .

91 ــ يحي الجبوري : شعر المخضرمين وأثر الإســـلام فيه ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، لبنان ، ط2 : 1401 هـ / 1981 م .

الفهارس العامة :

1 ـ فهرس الايات القرانية .

2 ــ فهرس أسماء الشعراء .

3 ــ فهرس الأبيات الشعرية .

4 ـ فهرس المحتويات .

1 ــ فهرس الآيات القرآنية[1] :

الآية	رقمها	السورة	الصفحة
ــ إلا الذين امنوا ...	227	الشعراء	22
ــ هل يستوي	09 ، 32 ، 22 ، 04	الزمر	39 ، 115 ، 152 ، 200
ـ لقد جاءكم رسُولٌ ...	128 ، 40 ، 20 ، 33 ، 33 ، 118 ، 51 ، 88 ، 128	التوبة	93 ، 94 ، 114 ، 145 ، 154 ، 154 ، 189 ، 200 ، 200
ـ هذا ما وعدنا الله ...	22 ، 24 ، 09 ، 45 ، 40 ، 38 ، 45 ، 40	الاحزاب	93 ، 93 ، 95 ، 113 ، 128 ، 134 ، 152 ، 152
ـ إنْ ينْصرُكم الله ...	160 ، 123 ، 124 ، 103 ، 125 ، 160 ، 53 ، 169 ، 07 ، 04 ، 05 ، 185 ، 04 ، 27 ، 53 ، 142	آل عمران	93 ، 93 ، 93 ، 95 ، 105 ، 116 ، 122 ، 123 ، 125 ، 130 ، 137 ، 138 ، 141 ، 141 ، 151 ، 200
ــ وإنّا أو إيّاكمْ ...	24	سبأ	94

(1) حسب ورودها في البحث .

ـ يقولون لئن رجعنا ...	08	المنافقون	94
ــ أيّ الفريقيْن ...	73	مريم	94
ـ فأوردَهُمُ النّار ...	98 ، 07	هود	115 ، 95
ـ فقد استْمْسك بالعُرْوة ...	256 ، 24 ، 136 112 ، 217 ، 82 119 ، 231 ، 177 53 ، 218 ، 24 275	البقرة	113 ، 107 ، 95 123 ، 119 ، 114 137 ، 135 ، 128 200 ، 143 ، 141 202
ــ وقال الكافرون	04 ، 65 ، 04	ص	201 ، 200 ، 104
ــ كذلك ما أتى الذين ...	52 ، 58 ، 58	الذاريات	201 ، 138 ، 105
ــ وإذا أراد الله بقوم ...	11 ، 34 ، 02	الرعد	142 ، 114 ، 105
ـ ولا يرد بأسُهُ ...	147 ، 79 ، 102 147 ، 70	الأنعام	130 ، 120 ، 105 202 ، 201
ـ تنزل الملائكة ...	04	القدر	105
ــ أنّي مُمدّكم ...	09	الأنفال	105
ــ وكلمَ الله موسى ...	164 ، 105 ، 80 36 ، 36 ، 60	النساء	125 ، 112 ، 106 152 ، 137 ، 130
ــ حتّى إذا أتَوْا ...	18 ، 79	النمل	130 ، 106
ــ والذين كفروا ...	04 ، 08 ، 33	لقمان	115 ، 109 ، 107
ــ ومن يُطع الله ...	17 ، 17 ، 17 29 ، 10	الفتح	125 ، 112 ، 109 199 ، 188

ـ وأنْزلنَا إليْك الكتاب ...	48 ، 02	المائدة	111 ، 119
ــ ما تتنزّلُ الملائكة ...	08 ، 64	الحجر	112 ، 130
ـ ولقد آتيْنا مُوسى ...	49 ، 12 ـ 14	المؤمنون	113 ، 142
ــ وأطيعوا الله ...	33 ، 33 ، 07	محمد	114 ، 126 ، 145
ـ فاسْجُدوا لله ...	62	النجم	114
ــ سَرابيلهُم منْ	50	إبراهيم	114
ـ فاصبْرْ إنّ ...	75 و77	غافر	115
ـ ألَيْس في جهنّم ...	67 ، 57 ، 06	العنكبوت	115 ، 138 ، 143
ـ ويحمل عرْش ...	17	الحاقة	115
ـ وكانّ عرْشهُ ...	07	هود	115
ـ عليْها ملائكة ...	06	التحريم	115 ، 201
ــ تتجافى جنوبهم ...	16	السجدة	116
ــ أوْحيْنا إليْك ...	07 ، 27	الشورى	116 ، 122
ــ فلهُم أجْرٌ ...	06	التين	122
ــ ونضعُ الموازينَ ...	47 ، 34 ، 35	الأنبياء	122 ، 134 ، 138
ــ واجْعل لي وزيرًا ...	29 ، 46 ، 73	طه	123 ، 137 ، 152
ــ سبحان الذي ...	01 ، 97	الإسراء	125 ، 156
ـ وأوفوا بعهد الله ...	91 ، 90 ، 110	النحل	128 ، 137 ، 200
ــ قل إن الموت ...	08	الجمعة	134

ــ كتابٌ فصلت ...	03	فصلت	135
ـ اَدْعُوا إلى الله ...	108	يوسف	137
ـ فإذا جاء اَجلهُم ...	34 ، 199 ، 23	الأعراف	138 ، 140 ، 152
ـ المال والبنون ...	46 ، 96	الكهف	138 ، 201
ـ لتركبُنّ طبقا ...	19	الإنشقاق	138
ـ هو الله الخالق ...	24	الحشر	142
ــ وجاهدُوا في الله ...	78 ، 27 ، 78	الحج	143 ، 154 ، 200
ــ ليس على الاعمى ...	61	النور	143
ــ هو الذي اَرسل ...	09	الصف	145
ــ إنّ الشيْطانَ ...	06	فاطر	145
ــ إنّما اَمْرُهُ ...	82	يس	189 ، 195 ، 199 ، 201
ـ وما تشاؤون ...	29	التكوير	199
ـ وما تشاؤون ...	30	الإنسان	199
ــ وللذين كفرُوا ...	06	الملك	200
ــ فاَنذرتكمْ نارا ...	14	الليل	200
ــ يَطوفونَ بيْنها ...	44	الرحمن	201

2 ـ فهرس أسماء الشعراء :

الشاعر	الصفحة
الهمزة	
ــ أخت مقيس بن صُبابة	84
ـ أبو أسَامة مُعاوية بن زهير	61
ـ أسَيْد بن سَلَمَة	33
ــ الأعشى	4
ــ امرؤ القيس بن حجر الكندي	185 ، 210
ــ أمّ كلثوم بنْت عَبْد وُدّ	85
ــ أمَيّة بن أبي الصّلت	71 ، 80 ، 162
ــ أنَس بن عبّاس السّلمي	82
الباء	
ــ بُجيْر بن زُهيْر بن أبي سُلمى	30 ، 143
الجيم	
ــ جَبَل بن جَوّال الثعْلبي	78
ــ جرير	5
الحاء	
ــ الحارث بن حلزة اليشكري	4
ــ الحَارثُ بن هشام	66 ، 87 ، 157

ــ حَسّان بن ثابت الأنصاري 10 ، 11 ، 13 ، 62
ــ الحُطيئة (جرول بن أوس) 5

الخاء

ــ خُبيْب بن عُدي الانصَاري 31
ــ أبو خرَاش الهُذلي 84

الزاي

ــ الزّبرْقانُ بن بَدْر 82
ـ الزَّبيْر بن عبْد المُطلب 45
ــ زوجَة عثمان بن مظعُون 37

السين

ــ سَاريّة بن زَنيم 86
ــ أبو سُفيان بن الحَارث 45 ، 53 ، 155
ــ أبو سفيان بن حرْب 55 ، 80 ، 83 ، 157
ــ سَمّاك اليَهُودي 76 ، 167

الشين

ــ شدّاد بن الأسْود 63
ــ شَدّاد بن عَارض الجَشمِي 30

الصاد

ــ صِرْمَة بن أبي أنَس الانصَاري 28

ـ صَفيّة بنت عَبْد المُطلب 26 ، 122
ـ صَفيّة بنت مُسَافر 69 ، 161
ـ الصّلصَال بن الدّلهْمَس بن جنْدلة 39

الضاء

ـ ضرَارُ بن الخطاب الفهْري 41 ، 83 ، 153 ، 221

الطاد

ـ أبو طالب بن عبد المُطلب 45
ـ الطفيل بن عَمْرُو الدّوْسي 30

العين

ـ العبّاسُ بن مرْدَاس السّلمي 39 ، 125 ، 178
ـ عَبْدُ بن جَحْش 23 ، 120
ـ عبْدُ الله بن جَحْش 22 ، 119
ـ عبْدُ الله بن الحَارث السّهْمي 24 ، 32 ، 122
ـ عبدُ الله بن حُذافة السّهْمي 45
ـ عبدُ الله بن رَواحَة 10 ، 19 ، 112

ـ عبدُ الله بن الزِّبَعرَى 41 ، 46 ، 81 ، 148 ، 207
ـ عبد يغوث بن وقاص الحارثي 3
ـ عُبَيْدة بن الحارث 38
ـ أبو عزّة الجُمحي 45 ، 64

ـ عَصْماءُ بنت مَرْوان 81
ــ علي بن أبي طالب 34
ـ عَمّارُ بن يَاسر 31
ــ عَمْرُو بن العَاص السّهمي 60 ، 82

القاف

ــ قتِيلة بنت النّضرِ 70
ــ أبو قيس بن الأسْلت 10
ــ قيْسُ بن الخَطيم 10

الكاف

ــ كعْب بن الأشْرف 42 ، 75 ، 165
ــ كعْب بن زُهير بن أبي سُلمَى 132
ــ كعْب بن مَالك الأنصاري 10 ، 16 ، 103 ، 192
ــ كنَانة بن عَبدِ ياليل 74 ، 164

الميم

ــ مَازن بن العَضُوب العُمَاني 29
ــ أبو محجَن الثقفي 73
ــ مَرْحب اليَهُودي 82
ــ مُسَافر بن أبي عَمْرُو بن أمَية 45
ــ مَسَافع بن عبْدِ مَناف الجُمَحي 59 ، 158
ــ مقيَسُ بن صبُابة 62

ــ مَيْمُونة بنت عبْدِ الله البَلويّة 42

النون

ــ النّابغة الجَعْدي 34 ، 39 ، 139

ــ نبَيْه بن مُسَافر 44

ــ نُعم بنت سَعيد 27

الهاء

ــ هُبيْرة بن أبي وَهب المَخزُومي 45 ، 52 ، 86 ، 154

ــ هنْد بنت أثــَاثة 26

ــ هند بنت عُتبَة 41 ، 66 ، 81 ، 159

الواو

ــ وَرَقة بن نوفل 44

3 ـ فهرس الأبيات الشعرية :

المطلع	القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
		الهمزة		
ـ آذنتنَا	الثواءُ	المتدارك	الحارث بن حلزة اليشكري	4 ، 185
ـ وردناهُ	الغطاء	الوافر	كعب بن مالك	34
ــ ألا أبْلغ	هواءُ	الوافر	حسان بن ثابت	36
ـ يا نبيّ	لجاء	الخفيف	ضرار بن الخطاب	51 ، 154
ـ أتهجوهُ	الفداءُ	الوافر	حسان بن ثابت	94
ـ عفت	خلاءُ	الوافر	حسان بن ثابت	98
ـ فلا تعجل	كداءُ	الوافر	كعب بن مالك	105
ــ يا عينُ	المصطفى	المتقارب	كعب بن مالك	111
ــ إذا أدّيتني	الحساء	الوافر	عبد الله بن رواحة	117
		الباء		
ــ قوم	الذنْبَا	البسيط	الحطيئة	5
ـ فغضّ	كلابَا	الخفيف	جرير	5
ـ لمّا رأتني	أرهبُ	الطويل	عبد بن جحش	24
ـ ومواعظٌ	الأثوابُ	الكامل	كعب بن مالك	29

ـ فينا	الشهبُ	البسيط	كعب بن مالك	33
ــ تحنّنَ	بنَاصبِ	الطويل	ميمونة بنت عبد الله البلوية	42 ، 166
ـ ألا فازجرُوا	مُقارب	الطويل	كعب بن الأشرف	43 ، 166
ــ ولو شئتُ	شعُوبِ	الطويل	أبو سفيان بن حرب	56
ــ لولا دفاعي	مُجيب	الطويل	شداد بن الأسود	64
ــ أعَينيّ جودَا	ينقلب	المتقارب	هند بنت عتبة	66
ــ يريبُ	يُغالبهْ	الطويل	هند بنت عتبة	67
ــ رجعتُ	مطلبي	الطويل	هند بنت عتبة	68
ــ قد علمتْ	مُجرّبْ	الرجز	مرحبْ اليهُودي	82
ـ فلا والله	مشوب	الوافر	حسان بن ثابت	91
ــ يناديهم	القليب	الوافر	حسان بن ثابت	93
ــ حتى إذا	الأسلاب	الكامل	حسان بن ثابت	95
ــ فقلت لها	يركب	الطويل	عبد بن جحش	120
ـ حي الديارَ	الأحقاب	الكامل	عبد الله بن الزبعرى	150
ــ وسَلي الذي	نجيب	الطويل	أبو سفيان بن حرب	158
ــ يا عينُ	الرقبهْ	مجزوء الرجز	هند بنت عتبة	160

التاء

ــ يا نفسُ	صُليتِ	الرجز	عبد الله بن رواحة	118

الجيم

ــ باسْتِ	الخزرج	المتقارب	عصماء بنت مروان	81
ــ وقتلاهم	المخرج	المتقارب	كعب بن مالك	109

الحاء

ـ ألا بكيت	الممادح	مجزوء الكامل	أمية بن أبي الصلت	71 ، 162
ـ لله	ناكح	مجزوء الكامل	أمية بن أبي الصلت	80

الدال

ـ وببئر بدرٍ	محمد	الطويل	كعب بن مالك	17
ـ ولكنّني	الزبدَا	البسيط	عبد الله بن رواحة	21 ، 117
ـ تعدُّونَ	راشدُ	الطويل	عبد الله بن جحش	23 ، 119
ــ حبّذا	عوادي	الرجز	عبد بن جحش	24
ـ ألا أبلغ	المردّ	الوافر	الطفيل بن عمرو الدوسي	30
ــ أغر عليْهِ	يشهدُ	الطويل	حسان بن ثابت	33 ، 101
ــ وإنّ الذي	فتوحدَا	الكامل	أسيد بن سلمة	33
ــ فينَا	محدودُ	البسيط	حسان بن ثابت	35
ـ وهل	بمهتدِ	الطويل	حسان بن ثابت	39
ـ لعمركَ	محمد	الطويل	أبو سفيان بن الحارث	55 ، 156
ـ الله يعلمُ	مزبد	البسيط	الحارث بن هشام	58 ، 85
ــ أعكرمُ	خالدُ	الطويل	أبو أسامة معاوية ابن زهير	62

ـ منْ مبلغُ	حميدُ	الطويل	أبو عزة الجمحي	65
ــ يا منْ لعَيني	يعُدِ	البسيط	صفية بنت مسافر	69
ــ وأمسَى	ينادِي	الوافر	عبد الله بن الزبعرى	81
ــ لو كانَ	الأبد	البسيط	أم كلثوم بنت عبد ود	85
ـ تعلّمْ	منْجدِ	الطويل	سارية بن زنيم	86
ــ أبلغ	تتمجدَا	الكامل	حسان بن ثابت	92
ــ عزيزٌ	يهتدُوا	الطويل	حسان بن ثابت	93
ـ وقد زعمتمْ	مورود	البسيط	حسان بن ثابت	94
ــ عظيمُ	المهندِ	الطويل	كعب بن مالك	108
ــ ما ينتهونَ	عضدُ	البسيط	ضرار بن الخطاب	153
ــ قومي	بعْدِ	البسيط	صفية بنت مسافر	17

الراء

ــ تداركتُ	منذرَا	الطويل	ضرار بن الخطاب	13 ، 49
ـ لستَ إلى	ضمّرَا	الطويل	حسان بن ثابت	13
ــ تفاقدَ	نصيرُ	الوافر	حسان بن ثابت	14 ، 92
ــ عجبتُ	قاهرُ	الطويل	كعب بن مالك	17 ، 41 ، ...
ــ فخبرُونِي	مضر	البسيط	عبد الله بن رواحة	20
ــ نجالدُ	السورُ	البسيط	عبد الله بن رواحة	20 ، 116
ــ وتلكَ	الحجرُ	الطويل	عبد الله بن الحارث السهمي	25

ـ أسائلةً	خيبر	الطويل	صفية بنت عبد المطلب	26
ــ خزيتِ	الكفر	الرجز	صفية بنت عبد المطلب	27
ــ لا تنصرُوا	ينتصرُ	البسيط	شداد بن عارض الجشمي	30
ـ تبعتُ	نيرَا	الطويل	النابغة الجعدي	34 ، 139
ــ فكبَّ	غائرُ	الطويل	كعب بن مالك	36 ، 107
ـ تسائِل	جسورُ	الطويل	حسان بن ثابت	37
ـ ولا خيرَ	يكدرَا	الطويل	النابغة الجعدي	39
ــ عجبتُ	بصائرُ	الطويل	ضرار بن الخطاب	41 ، 49
ــ نحنُ	سُعْر	الرجز	هند بنت عتبة	42 ، 68
ــ خزيتِ	الكفر	الرجز	هند بنت عتبة	42
ـ فإنْ	ظاهرُ	الطويل	ضرار بن الخطاب	50
ــ أدامَ	السعير	الوافر	أبو سفيان بن الحارث	55
ــ ألا	الصدر	الطويل	الحارث بن هشام	58
ــ لمّا	نزرا	الطويل	عمرو بن العاص	60
ــ ولمّا أنْ	لنفرِ	الوافر	أبو أسامة معاوية ابن زهير	62
ــ ويهًا	الدارْ	مجزوء الرجز	هند بنت عتبة	68 ، 81 ، 160
ــ أرقتُ	قصير	الوافر	سماك اليهودي	77
ــ ألا يَا سعدُ	النضير	الطويل	جبل بن جوال الثعلبي	78
ـ تركت	الاعاصرُ	الطويل	انس بن عباس السلمي	82

ــ يا رسُولَ	بورُ	الخفيف	عبد الله بن الزبعرى	86 ، 152
ــ أشرتْ	الكفر	الكامل	حسان بن ثابت	97
ـ فمن يتبعهُ	الكفور	الوافر	كعب بن مالك	108
ــ إني تفرستُ	نظروا	البسيط	عبد الله بن رواحة	113
ــ وتلك قريشٌ	الحجر	الطويل	عبد بن جحش	122
ــ فقال الخبيرُ	وزير	الطويل	صفية بنت عبد المطلب	123
ــ واذكر بلاءَ	مفتخر	البسيط	العباس بن مرداس	126
ــ فإن يهدُوا	السمير	الوافر	العباس بن مرداس	127
ــ ورجْراجَةٍ	الحسر	المتقارب	العباس بن مرداس	132
ـ منْ سرّهُ	الأنصار	الكامل	كعب بن زهير	136
ــ فيا لؤيّ	الفخر	الطويل	الحارث بن هشام	157
ــ نحنُ	سُعر	الرجز	هند بنت عتبة	161
ــ أرقتُ	قصيرُ	الوافر	سماك اليهودي	168

السين

ـ يا عينُ	أبّاس	البسيط	نُعَم بنت سعيد	27
ــ لأحمينّ	الشمس	الرجز	شداد بن الأسود	64
ــ لعمْري	بمقيس	الطويل	أخت مقيس بن صُبابة	84

العين

ـ وفينَا	ساطعُ	الطويل	عبد الله بن رواحة	21
ــ طحنتْ	تدمعُ	الطويل	كعب بن الاشرف	42 ، 84 ، 165

ــ القومُ	القاع	البسيط	ضرار بن الخطاب	50
ـ شفى	الأخادع	الطويل	مقيس بن صُبابة	63
ـ عينُ	زمعهْ	الخفيف	أمية بن أبي الصلت	72 ، 163
ــ نبّئتُ	جُدّعُوا	الكامل	كعب بن الأشرف	75
ـ نحنُ	البيعُ	البسيط	الزبرقان بن بدر	82
ـ وفينَا	نتطلعُ	الطويل	كعب بن مالك	106
ــ لقد علمَ	نوادعُ	الطويل	كعب بن مالك	109
ــ يبيتُ	المضاجعُ	الطويل	عبد الله بن رواحة	116
ـ نُصر النبي	ننفعُ	الطويل	العباس بن مرداس	126
ــ أمامَ	لامعُ	الطويل	العباس بن مرداس	131
ــ رحلتُ	الجوامعُ	الطويل	كعب بن زهير	137
ـ الا ذرفتَ	قطوعُ	الطويل	عبد الله بن الزبعرى	149 ، 210 ..
ـ عفا مجدلٌ	المصانع	الطويل	العباس بن مرداس	178 ، 181

الفاء

ــ قضينَا	السيوفا	الوافر	كعب بن مالك	19
ــ إن تفرحُوا	الأشرف	المتقارب	سماك اليهودي	77 ، 167
ــ نطيعُ	رؤوفا	الوافر	كعب بن مالك	110
ــ بمَكة	خطفا	الطويل	العباس بن مرداس	132
ــ ضربناهُم	الخفاف	الخفيف	بجير بن زهير	144
ــ عَرفت	أصدف	المتقارب	علي بن أبي طالب	167

القاف

ــ لعمري	تحرقُ	الطويل	الأعشى	4
ــ أرقتُ	الطريق	الوافر	صفية بنت عبد المطلب	26
ــ خرجنَا	المنطق	الطويل	عمرو بن العاص	61 ، 82
ــ نحنُ	النمارق	مجزوء الرجز	هند بنت عتبة	68
ــ يا راكبًا	موفق	الكامل	قتيلة بنت النضر	70
ــ وانت لمّا	الأفق	البسيط	العباس بن مرداس	128
ــ أعلم أنّي	شفق	البسيط	كعب بن زهير	138

الكاف

ــ لعمري	مشاركا	الطويل	العباس بن مرداس	39 ، 129
ــ أحسّانُ	كذلك	الطويل	أبو سفيان بن الحارث	54
ـ أبوكَ	وخالكا	الطويل	أبو سفيان بن الحارث	54 ، 155
ــ يا خاتمَ	هداكا	الكامل	العباس بن مرداس	128
ـ ألا أبلغا	هل لكا	الطويل	كعب بن زهير	143
ــ شقيتم بهَا	مالك	الطويل	أبو سفيان بن الحارث	156

اللام

ـ بكتْ	العويل	الوافر	كعب بن مالك	17
ــ خلوّا	رسوله	الخفيف	عبد الله بن رواحة	21
ــ ابتْ كبدي	انامل	الطويل	عبد الله بن الحارث	25
ـ لقد ضمنَ	العقل	الطويل	صفية بنت عبد المطلب	27

ــ يا بنيّ	طوال	الخفيف	صرمة بن أبي أنس الأنصاري	29
ـ كسرتُ	بتضلال	البسيط	مازن بن العضوب العماني	29
ــ جزَى الله	جهل	الطويل	عمار بن ياسر	31
ـ ألم ترَ	فضل	الطويل	علي بن أبي طالب	34
ــ طاوعُوا	الفشل	الخفيف	حسان بن ثابت	36
ــ تجنبْ	يفعل	الطويل	الصلصال بن الدلهْمس	39
ــ يا غرابَ	فعلْ	الرمل	عبد الله بن الزبعرى	46
ــ أنشدُ	المقبل	الطويل	عبد الله بن الزبعرى	47
ــ لعمركَ	القتل	الطويل	هبيرة بن أبي وهب	53 ، 86
ـ أرهطَ	الكهلا	الطويل	أبو سفيان بن حرب	56
ــ كرّوا	نفلُ	البسيط	أبو سفيان بن حرب	56 ، 80 ، 158
ــ عجبتُ	بطل	الطويل	الحارث بن هشام	57
ــ عمرُو	يليَل	البسيط	مسافع بن عبد مناف الجمحي	58 ، 159
ــ عمرُو	تنعلُ	البسيط	مسافع بن عبد مناف	60
ــ لعمركَ	يخذل	الطويل	جبل بن جوال الثعلبي	78
ــ جزى الله	عواطل	الطويل	ضرار بن الخطاب	83
ــ عجّفَ	الأرامل	الطويل	أبو خراش الهذلي	85

ــ إذا تذكرتُ	فعلا	البسيط	حسان بن ثابت	94
ــ شهدتُ	عِلُ	الطويل	حسان بن ثابت	96
ـ أتعرفُ	الهاطل	السريع	حسان بن ثابت	98
ــ ويوم بَدر	جبريل	البسيط	كعب بن مالك	108
ــ بانت سُعادُ	مكبول	البسيط	كعب بن زهير	133
ــ حتى اتَى	جهالا	البسيط	النابغة الجعدي	140
ــ يا ابنة عَمّي	فعلا	البسيط	النابغة الجعدي	142
ـ يا غرابَ	فعل	الرمل	عبد الله بن الزبعرى	148
ــ فلا تبعدنْ	مثلي	الطويل	هبيرة بن أبي وهب	155
ــ ألا يا لهفَ	قتيل	الوافر	الحارث بن هشام	157
ــ أجلت	أول	الكامل	مسافع بن عبد مناف	159
ــ قفا نبْكي	حومل	الطويل	امرؤ القيس بن حجر الكندي	185
ــ كأنّي	حنظل	الطويل	امرؤ القيس بن حجر الكندي	211

الميم

ــ ابكِ	سجّام	الكامل	حسان بن ثابت	13 ، 41
ــ لا تعدمنّ	لئيم	الكامل	حسان بن ثابت	15
ــ منع الرقادُ	بهيم	الكامل	عبد الله بن الزبعرى	15 ، 47
ــ فإنْ يكُ	المعظم	الطويل	كعب بن مالك	18 ، 106

ــ أبلغ	ندامهْ	مجزوء الكامل	عبد بن جحش	24 ، 121
ـ إلى الله	تسلم	الطويل	بجير بن زهير	30
ــ فذو العَرش	مطعمي	الطويل	خبيب بن عدي الأنصاري	31
ــ ماذا	كرام	الكامل	عبد الله بن الزبعرى	41 ، 84 ،..
ـ يا مال	التذمم	الرجز	مسافع بن عبد مناف	58 ، 159
ــ إذا المرءُ	يمّما	الطويل	عمرو بن العاص	60
ــ جللتهُ	ينصرم	البسيط	مقيس بن صُبابة	63
ــ تحيّا	سلام	الوافر	شداد بن الأسود	63
ـ أيُوعدُنَا	وهام	الوافر	شداد بن الأسود	64
ــ إيهًا	حامْ	الرجز	أبو عزة الجمحي	65
ـ هابتِ	سلمهْ	المديد	أبو محجن الثقفي	73
ــ أراحل أنتَ	بالحرم	البسيط	كعب بن الأشرف	76 ، 166
ــ وإني تخيرتُ	أتلوم	المتقارب	أبو سفيان بن حرب	83
ــ الله أكرمنَا	الإسلام	الكامل	حسان بن ثابت	100
ـ فابلغ	وتسْلم	الطويل	عبد الله بن رواحة	114
ــ سرينَا	محكمَا	الطويل	العباس بن مرداس	125
ــ من مبلغُ	يممَ	الطويل	العباس بن مرداس	129
ــ على الخَيل	عرمرمَا	الطويل	العباس بن مرداس	131
ـ الحمدُ لله	ظلما	البسيط	النابغة الجعدي	141

ــ من مبلغُ	أحزم	الطويل	بجير بن زهير	143
ـ يا خيرَ	غشوم	الكامل	عبد الله بن الزبعرى	151

النون

ــ سألت بك	هجينا	المتقارب	كعب بن مالك	18
ــ يا راكبًا	الدين	البسيط	عبد الله بن الحارث السهمي	25 ، 32
ــ يا عين جُودي	مظعون	البسيط	زوجة عثمان ابن مظعون	38
ــ فما شكرتَ	محجون	البسيط	هند بنت عتبة	66 ، 160
ــ لحى الرحمنُ	الحجون	الطويل	هند بنت عتبة	67
ـ ألا يا من لعين	فان	الهزج	صفية بنت مسافر	70
ـ ألا أنعي النبيّ	المسلمينا	المتقارب	كعب بن مالك	111
ــ شهدتُ	الكافرينا	الوافر	عبد الله بن رواحة	115
ــ أقسمتُ	لتكرهنّهْ	الرجز	عبد الله بن رواحة	118
ـ إنا وجدنَا	الهون	البسيط	عبد بن جحش	122
ــ لولا الإلهُ	جبان	البسيط	بجير بن زهير	144
ــ ومشفقةٍ	طحونا	الوافر	ضرار بن الخطاب	15 ، 221 ،..

الهاء

ـ سقنا كنانة	يزجيها	البسيط	هبيرة بن أبي وهب	14
ــ سقتم كنانة	مخزيها	البسيط	حسان بن ثابت	14

ـ ولو حلفت	يمينها	الطويل	عبد بن جحش	23
ـ ما بالُ هم	عواديهَا	البسيط	هبيرة بن أبي وهب	52 ، 151
ـ لئن كنْتِ	حبالهَا	الطويل	هبيرة بن أبي وهب	53
ـ مَنْ كانَ	نريمُهَا	الكامل	كنانة بن عبد ياليل	74 ، 164

الياء

ــ أقولُ	لسانيا	الطويل	عبد يغوث بن وقاص الحارثي	3
ـ فإن تقطعُوا	دانيا	الطويل	عبيدة بن الحارث	38
ـ لله عينَا	رجاليه	مجزوء الكامل	هند بنت عتبة	84
ــ وعدنَا	وافيا	الطويل	عبد الله بن رواحة	114
ـ الا يا رسُولَ	جافيا	الطويل	صفية بنت عبد المطلب	123

ملحـــق رقم 1 :

غــزوات الرسـول (ص) ، وتاريخها[1] :

الغزوة	تاريخـها
ــ ودّان (الابْواء)	صفر (2هـ)
ــ بُوّاط	2هـ
ــ العشيرة	2هـ
ــ سَفوَان (بدر الاولى)	2هـ
ــ بدر الكبرى	2هـ
ــ بني سليم بالكدَر	2هـ
ــ السّوّيق	ذي الحجة (2هـ)
ــ ذِي اَمَرْ (غطفان)	3هـ
ــ الفُرْع منْ بحران	3هـ

(1) ابن هشام : السيرة النبوية : 207/4 ، واختلف في عدد غزوات الرسول (ص) ، ففيل 27 غزوة ، كما روى ابن هشام عن ابن إسحاق ، وجاء في البخاري عن زيد ابن أرقم أن عدد غزواته (ص) ، 19 غزوة ، وعن أبي يعلى من طريق أبي الزبير عن جابر ، أن عدد غزواته (ص) ، 21 غزوة ، وعن سعيد بن المسيب أن عدد غزواته (ص) ، 24 غزوة .

الغزوة	تاريخها
ــ أحُد	3هـ
ــ حَمْراء الأسد	شوال (3هـ)
ــ بني النّضير	صفر (4هـ)
ــ ذات الرّقاع	4هـ
ــ بدر الاخرة	شعبان (4هـ)
ــ دَومَة الجَنْدل	ربيع الأول (5هـ)
ــ الخندق (الاحزاب)	شوال (5هـ)
ــ بني قريظة	5هـ
ــ بني لحْيَان	جمادى الاولى (6هـ)
ــ ذي قردْ	6هـ
ــ بني المصطلق	6هـ
ــ الحُديبيّة	شعبان (6هـ)

الغزوة	تاريخها
ــ عُمرة القضاء	ذي القعدة (8هـ)
ـ فتح مكة	رمضان (8هـ)
ــ حُنين	(8هـ)
ــ الطائف	(8هـ)
ــ تبوك	جمادى الأولى (8هـ)
ــ مُؤتة	رجب (9هـ)

4 ـ فهرس المحتويات :

العنوان **الصفحة**

مقدمة : ..... أ ــ و

مدخل : الشعر في العصر الجاهلي ومكانة الشاعر في ظل العهدين الجاهلي والإسلامي 1 ـ 6

الفصل الأول : شعر الدعوة والمعارضة ، مضامينه وأغراضه 7 ـ 87

أولا : شعر الدعوة : 10

1 ــ شعراء الدعوة : 10

أ ــ شعراء المدينة : 10

1 ــ حسان بن ثابت الأنصاري : 11

2 ــ كعب بن مالك الأنصاري : 16

3 ــ عبد الله بن رواحة : 19

ب ــ الشعراء المهاجرون : 22

1 ــ عبد الله بن جحش : 22

2 ــ عبد بن جحش : 23

3 ــ عبد الله بن الحارث السهمي : 24

4 ـ صفية بنت عبد المطلب : 26

5 ــ هند بنت أثاثة : 26

6 ــ نعُم بنت سعيد : 27

2 ــ مضامين شعر الدعوة واغراضه : 28

أ ــ الوعظ والإرشاد : 28

ب ــ التبرئة من عبادة الأصنام وإعلان الإسلام : 29

ج ــ محاججة المشركين : 30
د ــ الثبات على العقيدة في مكة : 31
هـ ـ الهجرة في سبيل الله : 32
و ــ المديح : 32
ز ــ الفخر والحماسة : 33
ح ــ الهجاء : 35
ط ــ الرثاء : 36
ي ــ الحكمة : 38
ك ــ النقائض : 40

ك1 ــ النقائض بين شعراء الدعوة وشعراء المعارضة : 40
ك2 ــ النقائض بين شواعر الدعوة وشواعر المعارضة : 41
ك3 ــ النقائض بين شواعر الدعوة وشعراء المعارضة : 42

ثانيا : شعر المعارضة : 44
1 ــ شعراء المعارضة : 44
أ ــ شعراء مكة : 44

1 ــ عبد الله بن الزبعرى : 46
2 ــ ضرار بن الخطاب الفهري : 49
3 ــ هبيرة بن أبي وهب المخزومي : 52
4 ـ أبو سفيان بن الحارث : 53
5 ــ أبو سفيان بن حرب : 55
6 ــ الحارث بن هشام : 57
7 ــ مسافع بن عبد مناف الجمحي : 59
8 ـ عمرو بن العاص السهمي : 60
9 ــ أبو أسامة معاوية بن زهير : 61
10 ــ مقيس بن صبابة : 62
11 ــ شداد بن الأسود : 63
12 ــ أبو عزة الجمحي : 64

13 ـ هند بنت عتبة : 66
14 ــ صفية بنت مسافر : 69
15 ــ قتيلة بنت النضر : 70

ب ــ شعراء الطائف : 71

1 ــ أمية بن أبي الصلت : 71
2 ــ أبو محجن الثقفي : 73
3 ــ كنانة بن عبد ياليل : 74
ج ــ شعراء اليهود : 75

1 ــ كعب بن الأشرف : 75
2 ــ سماك اليهودي : 76
3 ــ جبل بن جوال الثعلبي : 78
2 ــ مضامين شعر المعارضة وأغراضه : 80

أ ــ التحريض على قتال المسلمين : 80
ب ــ الهجاء : 81
ج ــ الفخر والحماسة : 82
د ــ المدح : 83
هـ ـ الرثاء : 83
و ــ الاعتذار : 85

الفصل الثاني : أثر الدعوة في موضوعات شعـر صدر الإسـلام ، وسماته الفنيـة 88 ـ 175

أولا : أثر الدعوة في لغة الشعر وألفاظه وتراكيبه 89

1 ــ في شعر الدعوة : 89

أ ــ شعر الأنصار : 89
ب ــ شعر المهاجرين : 119

ج ــ شعر الوافدين من البادية : 124
2 ــ الأثر الجاهلي في شعر المعارضة : 147
أ ــ شعر مكة : 147
ب ــ شعر الطائف : 161
ج ــ شعر اليهود : 164
ثانيا : مميزات شعر الدعوة والمعارضة وسماته الفنية : 173
1 ــ مميزات شعر الدعوة وسماته الفنية : 173
2 ــ مميزات شعر المعارضة وسماته الفنية : 174
الفصل الثالث : نماذج لقصائد محللة من شعر الدعوة والمعارضة 176 ـ 233
أولا : قصيدتان من شعر الدعوة : 178
1 ــ قصيدة من شعر العباس بن مرداس السلمي : 178
أ ــ القصيدة (عفا مجدل) : 178
ب ــ شرح الألفاظ : 179
ج ــ التحليل والنقد : 180
1 ــ جو القصيدة : 180
2 ــ موضوعات القصيدة : 180
3 ــ الأسلوب وسماته : 184
4 ــ الصور وأبعادها : 190
2 ــ قصيدة من شعر كعب بن مالك الأنصاري : 192
أ ــ القصيدة (تلظى عليهم) :..... 192
ب ــ شرح الألفاظ : 193
ج ــ التحليل والنقد : 194
1 ــ جو القصيدة : 194

2 ــ موضوعات القصيدة : 194
3 ــ الأسلوب وسماته : 197
4 ــ الصور وأبعادها : 204

ثانيا : قصيدتان من شعر المعارضة : 207

1 ــ قصيدة من شعر عبد الله بن الزبعرى : 207
أ ــ القصيدة (ألا ذرفت) : 207
ب ــ شرح الألفاظ : 208
ج ــ التحليل والنقد : 209

1 ــ جو القصيدة : 209
2 ــ موضوعات القصيدة : 209
3 ــ الأسلوب وسماته : 213
4 ــ الصور وأبعادها : 218

2 ــ قصيدة من شعر ضرار بن الخطاب الفهري : 221
أ ــ القصيدة (ومشفقة) : 221
ب ــ شرح الألفاظ : 223
ج ــ التحليل والنقد : 224

1 ــ جو القصيدة : 224
2 ــ موضوعات القصيدة : 224
3 ــ الأسلوب وسماته : 227
4 ــ الصور وأبعادها : 230

خاتمة : 234

Résumé de Thèse : 240
قائمة المصادر والمراجع : 242
الفهارس العامة : 251

1 ــ فهرس الآيات القرآنية : 252
2 ـ فهرس أسماء الشعراء : 256
3 ــ فهرس الأبيات الشعرية : 261
ــ ملحق رقم (1) : غزوات الرسول (ص) وتاريخها : ... 274
4 ــ فهرس المحتويات : 277